

النِّصْرَانِيَّةُ وَأَدَابُهَا بَيْنَ عَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ

للأب لويس شيخو اليسوعي

مع فهارس بالمواد والمؤلفين وأعلام الرجال والنساء
وأسماء القبائل والأديان والبلدان والأمكنة والمفردات اللغوية

طبعة ثانية



دار المشرق شرمة

© جميع الحقوق محفوظة . طبعة ثانية ١٩٨٩

منشورات دار المشرق ش.م.م

ص.ب. ٩٤٦ . بيروت - لبنان

ISBN 2-7214-5975-9

توزيع المكتبة الشرقية

ص.ب. ١٩٨٦ . بيروت - لبنان

النَّصْرَانِيَّةُ وَآدَابُهَا بَيْنَ عُرَى الْجَاهِلِيَّةِ

القِسْمُ الْأَوَّلُ

في تاريخ النصرانية وقبائلها في عهد الجاهلية



القِسْمُ الثَّانِي

في الآداب النصرانية في عهد الجاهلية

القسم الثاني

في الآداب النصرانية في عهد الجاهلية

* * *

الجزء الأول

اتينا في قسنا الاول بما وقفنا عليه من النصوص التاريخية والشواهد الثابتة العيانة عن نفوذ النصرانية في كل انحاء العرب حتى اقصاها بعدا وانحائها حدا ثم عددنا القبائل التي نسب اكتبها اليها عموماً او الى بعض بطونها الذين بالدين المسيحي

وها نحن اليوم نباشر بالقسم الثاني من كتابنا نجمع فيه ما ينوط بآداب نصارى العرب في الجاهلية . وزيد بالآداب كل ما خلفوه لنا من مآثرهم في الكتابة واللغة والامثال والحكم والانشاء والشعر والخطب مما رواه عنهم ائمة الادباء الذين جمعوا شوارد اللغة العربية وآثارها في القرن الثاني بعد الاسلام . فان هذه البقايا مع ما تضعع منها بتوالي الزمان تنبئ بترقي النصرانية بين اهل الجاهلية وتثبت من وجه آخر سعة نفوذها في جزيرة العرب . ويضاف الى هذه المآثر الادبية عادات ألفها عرب الجاهلية قبل الاسلام واستعاروها من نصارى فتجدهم في اطوار حياتهم الدينية والمدنية يتقلدونهم ويأخذون مأخذهم حتى لا نكاد نرى في بعض الانحاء اثرأ من وثنيتهن السابقة . فكل هذه الظواهر يشهد عليها الشعراء القدماء والرواة الذين نقل الكتب المسلمون عنهم اخبار الجاهلية فنثبتها على عللتها مع الاشارة الى مواضعها كما فعلنا سابقاً

الفصل الاول

النصارى والكتابة العربية

اول خدمة اداها نصارى العرب لقومهم تعليمهم الكتابة . وهي قضية يشهد عليها تاريخ الكتابة العربية واصولها
لما ظهر الاسلام في العشر الثاني من القرن السابع للمسيح لم تكن جزيرة العرب كما زعم البعض حديثة العهد بالكتابة . وانما كانت الكتابة شائعة في بعض الانحاء دون غيرها . فكان لاهل اليمن كتابة يسمونها المسند شاعت في بني حمير بينها وبين الكتابة الحبشية في كثير من الحروف شبه ظاهر . وكانت حروفها منفصلة . وقد وجد سياح الفرنج كارتزو وهالوي وغلاذر من آثارها في هذه السنين الاخيرة الوفاً من الكتابات يرقى عهد اولها الى ما قبل المسيح بنحو ٤٠٠ او ٥٠٠ سنة ومنها ما كتب في القرون التابعة للميلاد حتى القرن السادس . وهذه الكتابة التي حلوا اسرارها ونشروها في عدة تأليف صابئية ليست عربية كما ظن البعض منهم كابن خلدون في مقدمته (٢ : ٣٤١ من طبعة باريس) حيث قال : « وكان لحمير كتابة تسمى المسند . . . ومن حمير تعلمت مضر الكتابة العربية الا انهم لم يكونوا يجيدون لها »

وكان في جزيرة العرب كتابة أخرى شاعت في شمالي بلاد العرب وفي غربها وهي الكتابة النبطية وقد ظهرت على صورتين صورة منها ربعة الحروف محكمة الصنع مع صلابة في شكلها شاعت خصوصاً في شمالي العرب واستعملوها في النقود والابنية لها علاقة مع الخط الآرامي المعروف بالاسطرنجلي وصورة أخرى مستديرة الشكل خشية الصنع جرى استعمالها غالباً في نسخ المعاملات والصكوك وما شاكلها فهذه الكتابة النبطية على صورتها هي اصل الكتابة العربية . ويدعوها العرب بالجزم اخذوها عن الامم المجاورة لهم . وكان النصارى هم الذين علموها العرب سواء قيل انهم وضعوها او انهم نقلوها كقوم وسط . ولنا على ذلك شواهد تثبت قولنا . فان العرب الذين بحثوا عن اصل الكتابة العربية نسبوها الى رجال من

بُولَان من قبيلة طيء كانوا على دين المسيح يسكنون الانبار فقاسوها على شكل
السريانية . قال السيوطي في الزهر (١ : ٣٩٠)

« انَّ اوَّل من كتب بخطنا هذا وهو الجزم مرامر بن مرّة واسلم بن سدرة وعامر بن
جدرة وهم من عرب طيء... علّموه اهل الانبار ومنهم انتشرت الكتابة في العراق والحيرة
وغيرها فتعلّموا بشر بن عبد الملك (١) وكان له صحبة بحرب بن اميّة لتجارته عندهم فتعلّم
حرب منه الكتابة. ثم سافر معه بشر الى مكة فتعلّم منه جماعة من قريش قبل الاسلام وسُمي
هذا الخط بالجزم لانه جُزم اي قُطع من الخط الحميري وتعلّمه شرذمة قليلة منهم... »

وكذلك نقل صاحب الفهرست (ص ٤) عن ابن عباس قوله :

« اوَّل من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بُولَان وهي قبيلة سكنوا الانبار واتّهم اجتمعوا
فوضعوا حروفاً مقطّعة وموصولة وهم مرامر بن مرّة (ويقال مروة) واسلم بن سدرة وعامر بن
جدرة (ويقال جدلة) . فامّا مرامر فوضع الصور وامّا اسلم ففصل ووصل وامّا عامر فوضع
الإعجام . وسُئل اهل الحيرة : ممّن اخذتم الخط العربي . فقالوا : من اهل الانبار »

ومثلها ابن عبد ربّه في العقد الفريد (٢ : ٢٠٥) :

« وحكوا انّ ثلاث نفر من طيء اجتمعوا ببقعة وهم مرامر بن مرّة واسلم بن سدرة
وعامر بن جدرة فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلّمه قوم من
الانبار وجاء الاسلام وليس احد يكتب بالعربية غير بضعة عشر انساناً »

وروى البلاذري في فتوح البلدان (ص ٤٧١) مثل هذا القول لكنّه روى
« ببقة » بدلاً من « البقعة » وبقة مدينة قرب الانبار . ثم زاد ايضاحاً بقوله عن
بشر :

« وكان بشر بن عبد الملك اخو أكيندر بن عبد الملك بن عبد الحنّ الكندي ثم السكوني
صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم بها الحين وكان نصرانياً فتعلّم بشر الخط العربي من اهل
الحيرة ثم اتى مكة في بعض شأنه فرآه سفين بن اميّة بن عبد شمس وابو قيس بن منّاف بن
زُهرة بن كلاب يكتب فسألاه ان يعلّمهما الخط فعلّمهما الهجاء ثم اراهما الخط فكتبا ثم
انّ بشراً وسفين وابا قيس اتوا الطائف في تجارة فصحبهم غيلان بن سلمة الثقفي فتعلّم
الخط منهم وفارقهم بشر ومضى الى ديار مضر فتعلّم الخط منه عمرو بن زُرارة بن عدس
فسمي عمرو الكاتب ثم اتى بشر الشام فتعلّم الخط منه اناس هناك . وتعلّم الخط من الثلاثة
الطائيين ايضاً رجل من طابخة كلب فعلمه رجلاً من اهل وادي القرى فاتي الوادي يتردّد
واقام بها وعلم الخط قوماً من اهلها »

قال الشاعر كندي من اصل دومة الجندل يخاطب بني قريش :
 لا تجحدوا نساء بشرٍ عليكم فقد كان ميمون النقية ازهرا
 اناكم بخط الجزم حتى حفظتم من المال ما قد كان شقي مبعثرا
 واتقنتم ما كان بالمال مهملًا وطامنتم ما كان منه منفرا
 فأجربتم الاقلام عودًا وبداةً وضاهيتكم كتاب كسرى وقيصرا
 واغنيتم عن مسند القوم حمير وما دبّرت في الكتب اقيال حميرا

فهذا الخط هو الذي بعدئذٍ نسب الى الكوفة لما عني اساتذة الكوفة بتحسينه في
 اوائل الاسلام . اما الخط الثاني النسخي فالظاهر ان العرب اخذوه من نصارى النبط
 المجاورين لجهات الحجاز ومن رهبان مدين ووادي القرى الذين ذكرهم شعراء العرب
 ويؤيد ذلك قول بعض الكتبة ان واضعي الكتابة العربية كانوا من طسم وجديس
 وقال ابن النديم في الفهرست (ص ٤) والحاج خليفة في كشف الظنون (٣ : ١٤٥)
 « كانوا من ملوك مدين » وذكر رأي من ادعى انهم وضعوا الخط العربي على اسمائهم
 وهي الجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت . فذكرهما لمدين وذكر البلاذري لوادي
 القرى يؤيد قولنا (راجع ما ورد في القسم الاول عن النصرانية فيهما)

وقد وجد العلماء من هذا الخط النسخي امثلة عديدة يرتقي عهدها الى عهد
 الخط الآخر . ومن ثم لم يعد يجوز القول كما ورد في كتاب القلقشندي عن الخط
 (المشرق ٤ : ٢٨٠) بان « الخط الكوفي هو العربي . وان الخط النسخي وضعه ابن
 مقلة في القرن الثالث للهجرة » وعلى كل حال لا بُدَّ من الاعتراف بفضل النصارى
 لتشجيع الخط في جهات العرب

وما عدا هذه الشواهد التي تنسب الكتابة الى قوم من النصارى قد ورد في
 تراجم الشعراء وقصائدهم ما يشير الى شيوع الكتابة بين النصارى قبل الهجرة . فمن
 ذلك ما روى صاحب الاغاني (٢١ : ١٩٥) وغيره من قدماء الكتبة عن طرفة
 والمتلمس وعن الرسالتين اللتين كتبهما عمرو بن هند لعامله المكعب في البحرين
 موهما بأنه يوصي لهما بنخير وهو يضمّر لهما الشر . ففض المتلمس صحيفته واعطاها
 غلاماً عبادياً من غلمان الحيرة فقرأها له : « باسمك اللهم من عمرو بن هند الى المكعب .
 اما بعد اذا جاءك كتابي هذا من المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً (١) فلما

عرف مضمونها فرَّ هارباً . امّا طرفة فلم يشأ ان يقف على محتويات صحيفته فمات قتلاً وُضرب المثل بصحيفة المتلمس للمتهور في التهلكة . وفي هذا دليل على انَّ العباديين وهم قوم من النصارى في جهات الحيرة كانوا يعرفون الكتابة ويعلمونها غلمانهم . وفي الاغاني (٥ : ١٩١) ان المرقش الاكبر واخاه حمله « دفعهما ابوهما الى نصراني من اهل الحيرة فعلمهما الخط »

ولنا دليل اخر في المعلقات التي زعموا انها كتبت على الحرير وعُلقت على استار الكعبة واخص المعلقات لشعراء من قبائل نصرانية كتغلب وبكر وكندة ففي كتابتها برهان على شيوع فن الخط بين النصارى ومن الادلة على ذلك ما جاء في شعراء النصرانية من الاشارة الى الكتابة كقول حاتم الطائي (الاغاني ٧ : ١٣٢) :

أَتَعْرِفُ آثارَ الدِّيارِ تَوْهُمًا كَخَطِّكَ فِي رِقٍّ كِتَابًا مَنَّمَنَا

وقال المرار بن منقذ يصف اخية دار :

وترى منها رسوماً قد علّتْ مثل خطِّ اللام في وحي الزُّبرِّ

ومثلهما لبيد حيث قال :

وجلا السيول عن الطلال كأنّها زُبرٌ نَحْدُ مُتَوَحّا أَفْلَها

وسبقهم امرؤ القيس فشبه طلل الدار بوحى الزبور في عسيب ياني :

لَمَن طَلَّلْ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبٍ يَانِي

وقال ايضا مخصصاً زبور الرهبان :

فقا نبيكي من ذكرى حبيب وعرفانٍ ورسمٍ غفّ آياته منذ أزمانٍ

اقت حججٌ بعدي عليها فأصبحت كخطِّ زبورٍ في مصاحف رهبانٍ

وقد افتخر امية ابن ابي الصلت بقومه اياد لعلمهم بالكتابة . فقال :

قومي ايادُ اَهمُّ اَهمُّ او لو أقاموا فَتَهَزَلُ النِّعمُ

قومُ لهم ساحةُ العراق اذا ساروا جميعاً والقطّ والقلمُ

القط هو الكتاب . وقد بينا سابقاً ان بني اياد من اول القبائل المنتصرة .

ومنهم كان لقيط الايادي (راجع القسم الاول ص ٧٥) الذي ارسل لقومه صحيفةً ينذرهم فيها بما يتهددهم من الاخطار من جانب كسرى (١) اولها :

سلامٌ في الصحيفة من لقيطٍ الى من بالجزيرة من اباد

هذا ومما ينفي كل شك في ما نقوله ان الكتابتين العربيتين اللتين وُجِدتا حتى اليوم من عهد الجاهلية هما لقوم من النصارى . فاقدُهما الكتابة التي رسمنا صورتها في القسم الاول الباب التاسع (ص ١٠٣-١٠٤) وهي الكتابة المكتشفة في زُبد في جوار الفرات يرقى عهدها الى السنة ٥١٢ للمسيح اي قبل الهجرة بمئة وعشر سنين وهي في ثلاث لغات اي اليونانية والسريانية والعربية تُصرَح بان المشهد الذي أُقيم هناك انما سُيِّد تذكراً للقديس سرجيوس الشهيد وفي اولها الاسم الكريم او دعاء له تعالى (١) والاثر الثاني وجد في حرَّان من اعمال بلاد حوران مكتوباً باليونانية والعربية تاريخه ٥٤ قبل الهجرة اي السنة ٤٦٣ لبُصرى و ٥٦٨ للمسيح ورد فيه ان هناك «مرطول» (Martyrium) اي مشهد لتذكار القديس يوحنا المعمدان هذا اوله بالعربية انا شرحيل بر (بن) طلمو (ظالم) بنيتُ ذا المرطول سنة ٤٦٣ . . .

وقد رسمنا مع هذه الكتابة كتابتين اخريين عربيتين الواحدة بالحرف النبطي وجدها في غارة في الصفا الرحالة الفرنسي رينه دوسو وهي مكتوبة على ضريح احد ملوك الحيرة يُدعى امرء القيس بن عمرو تاريخ وفاته ٧ كسلول من السنة ٢٢٣ لبُصرى الموافق لسبعة كانون الاول من السنة ٣٢٨ للمسيح . والاخرى عن صفيحة قرآن كُتبت على الرق من القرن الثالث للهجرة وهي خاصة مكتبتنا الشرقية فكل هذه الحجج والبيّنات دعت بالعلماء المستشرقين الى ان ينسبوا الكتابة العربية او على الاقل انتشارها بين العرب الى النصارى واوّلهم امامهم دي ساسي (B^{on} S. de Sacy) الذي كتب في هذا الصدد مقالة واسعة اثبت فيها استعارة العرب فن الكتابة من نصارى العراق وما بين النهرين قال في المجلة الاسيوية (J. A., I^{re} Série, X. 210-211) مشيراً اليها :

J'établissais par des preuves de toute espèce que l'écriture . . . fut apportée dans le Hedjaz de la Mésopotamie, où les Syriens l'avaient propagée parmi les tribus arabes qui avaient, du moins en partie, reçu la religion chrétienne, ce culte auquel la mauvaise foi

(١) اطلب رحلة المسيو دوسو (R. Dussaud) الى بادية الشام (ص ٢٢٤, ٢١٦)

وكتاب ليرسكي (Lidzbarski) في الكتابات الآرامية (ص ٤٨٤)

جدول اقدم الكتابات العربية

١ كتابه عربيّة بخط نبطي تاريخها سنة ٢٢٣ لُبصرى ٣٢٨ للمسيح
وجدها في غارة من اعمال حوران المستشرق دوسو

صورة الكتابة مأخوذة عن الحجر

رسم الكتابة بالخط

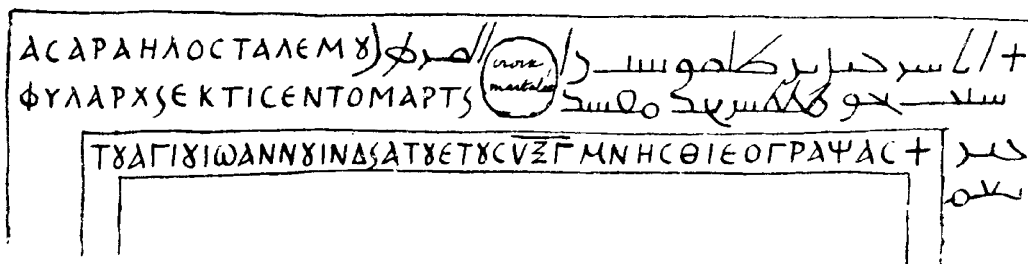
تي نفس امرء القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج
وملك الاسدين وتارادو وملوكهم وهرب محجو عكدي وجاء
بزجاي (?) في حنج نجران مدينت شتر وملك معدو وبين بني
الشعوب ووكلهن فارسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه
عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بالسعد ذو ولده
رسم الكتابة بخط عربي (نقلًا عن كتاب دوسو)

صورة القلم الحميري

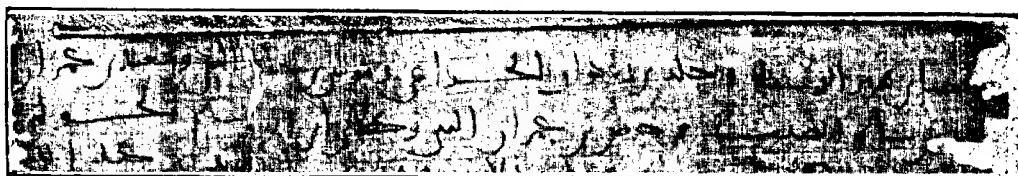
صور ونصب سعداوم دمدمرم

٢ كتابة زَبَد في ثلث لغات يونانية وسريانية وعربية
على مشهد اقيم ذكراً للار سرجيوس تاريخها ٨٢٣ للاسكندر ٥١٢ للمسيح
اطلب صورتها في القسم الاول (الصفحة ١٠٤)

٣ كتابة عربية يونانية وُجدت في حرّان من اعمال حوران
تاريخها سنة ٤٦٣ لبصري و٥٦٨ للمسيح



٤ مثال خط عربي نسخي على البردي تاريخه السنة ٢٤ للهجرة (٦٤٦ م)



٥ قطعة من سورة البقرة عن رق من القرن الثالث للهجرة في مكتبتنا الشرقية



ودونك رسمها بالحرف الاسطرنجي للمقابلة بين الخطين

هــسـرـت	مـم	كـلـمـكـا	فـيـهـ	بـالـحـرـفـ	هــزـهـ	هــكـهـ
وكـصـيـب	مـن	الـسـمـاء	فـيـهـ	ظـلـمـات	وـرـعـد	وـبـرـق
يـجـلـلـهـ	كـمـكـحـمـم	فـي	كـمـكـمـم	مـم	كـلـمـهـكـم	
يـجـلـلـون	اـصـابـعـهـم	فـي	اـذاـنـهـم	مـن	الصـوـاقـع	
هــزـهـ	كـلـمـكـا	هــكـلـلـمـ	جـسـمـهـ	كـلـلـحـفـم	هــكـكـا	كـلـلـمـهـم...
حـزـر	المـوت	والـلـه	مـحـيـط	بـالـكـفـرـين (كـذا)	وـيـكـاد	الـبـرـق ...

a si souvent reproché de favoriser l'ignorance, et qui, comme l'histoire en fait foi, a toujours amené à sa suite l'art d'écrire et le goût pour l'étude.

وقال الاثري الشهير فيليب برجه في كتابه عن اصول الكتابة (Ph. Berger: *Histoire de l'Ecriture dans l'Antiquité*, 2^{de} éd., 287) ان الكتابة العربية وجدت قبل محمد وكانت نصرانية قبل ان تتحول الى اسلامية «

L'écriture arabe existait avant Mahomet, elle a été chrétienne avant d'être musulmane.

ومثلها المستشرق العلامة وهوزن (J. Wellhausen: *Reste arab*, *Heidentums*, p. 232) أكد بان الكتابة العربية شاعت أولاً بين النصارى ولاسيما العباديين في الحيرة والانبار فقال :

Die Christen haben das Arabische wol zuerst als Sprichsprache gebraucht. Namentlich die Ibaedier von Hira und Anbar scheinen sich in dieser Beziehung Verdienste erworben zu haben.

ويوافق هؤلاء الكتبة الدكتور الالماني روثستين (G. Rothstein: *Die Dynastie d. Labmiden in al Hira*, p. 26) والاستاذ المجري الشهير غولدسير (J. Goldziher: *Muhammedanische Studien*, I, 110)

فهذه الشواهد كافية لتثبت حقيقة قولنا بان الفضل الكبير في تعليم الكتابة العربية للمسلمين يرجع لنصارى العرب وان لم ننكر ان لليهود ايضاً حصة في ذلك لاسيما في المدينة كما ذكر البلاذري . وكذلك روي ان بعض العرب كتبوا في الجاهلية بالعبرانية الا ان عبرانية ذلك العهد هي الآرامية او السريانية كقول صاحب الاغانى (١٤:٣) عن ورقة بن نوفل « انه كان يكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء » والله اعلم

الفصل الثاني

الالفاظ النصرانية في لغة عرب الجاهلية

كثيراً ما كنّا نسمع في حداثة سننا بان اللغة العربية لغة القرآن وانها كلها

اسلامية وقد قرأنا ذلك في بعض كتب الاوربيين الذين لم يفقهوا الامر ورموا الكلام على عواهنه ولعلهم قالوا ذلك لأن القرآن أول كتاب دونه العرب على الرق أو الجلد أو البردي أو رقاق العظام . على أن اللغة العربية سبقت الاسلام كما هو معروف ونطق بها قبائل شتى منها قبائل نصرانية كشفنا القناع عن دينها المسيحي . ثم اثبتنا فضل النصارى في سبقهم الى الكتابة العربية . وليست غايتنا هنا ان نتبّع كل مفردات لغتنا الشريفة فنروي ما جاء منها على ألسنة النصارى فإن ذلك مستحيل اذ كانت العربية مع وفرة لهجاتها واحدة في القبائل النصرانية وغيرها كما أن لغة النصراني في عهدنا لا تختلف عن لغة المسلم ومع اقرارنا بذلك يمكننا ان نجمع عدّة مفردات وردت في المعجمات العربية القديمة دخلت في اللغة بواسطة نصارى العرب لاسيما شعرائهم . ومجموعها دليل واضح على تأثير النصرانية في لغة اهل الجاهلية وتسهيلاً لبيان الامر زوي هذه الالفاظ على حسب معانيها مباشرة بالالفاظ الدالة عليه تعالى وكلماته واسمائه الحسنى

١ الاسم الكريم واسماؤه الحسنى في الجاهلية

ان الوثنية كانت عمّت قبل المسيح كل جهات جزيرة العرب كما سبق لنا بيانه وشهدت عليه المآثر المتعددة . فان وجدنا فيها ديانة التوحيد ووصف كلماته تعالى والفاظاً دالة على ذلك بعد المسيح فلا بُدّ من القول ان العرب الذين فاهوا بها كانوا موّحدين فهم امّا يهود وامّا نصارى وعلى الاقلّ انهم استعاروها من اولئك الموحّدين . على اننا نعرف الجهات التي كان يسكنها اليهود في جزيرة العرب اما النصارى فكانوا منبثين في كل انحاءها فيجب القول بان هذه الالفاظ هي غالباً للمسيحيين دون اليهود

(الله تعالى) لا مراء بان اسمه عزّ وجلّ كالاله الحق سبحانه وتعالى قد سبق عهد الاسلام وشاع في كل انحاء العرب وقد وجدته صاحب الشريعة الاسلامية مكرّماً معظماً بين ابناء جنسه المكّيّين فهو يكرّر اسمه في القرآن كالاله العظيم الذي ليس فوقه إله وان كان بعض منهم يشركون به آلهة غيره دونه وتبّة

أما اشتقاق هذا الاسم فلم يتفق عليه كتبة العرب وقد زعموا غالباً أنه عربي الأصل وأنه مركب من لفظة اله مسبوقه بال التعريف كأنه « الاله » اختصروه بالله .
 أما علماء اللغات السامية فيجمعون على أن هذا الاسم مشتق من اصل آرامي (ايل
 « ܐܝܠ ») مفتح بزيادة الهاء . فجاء في الكلدانية والسريانية على صورة آلهأ (ܐܠܗܐ)
 « ܐܠܗܐ » فقالوا بالعربية الله بلام أصلية مفتحة . وقد جاء الاسم الكريم في الكتابات
 النبطية والصفوية فانبطية ذكرته منسوباً إليه كزيد الله وعبدالله وتيم الله وورد في
 الكتابات الصفوية منفرداً . ولما كانت النصرانية دخلت الى بلاد العرب خصوصاً
 من جهات الشام وتمكنت بين احياء النبط اطلقوا اسم الله في لهجتهم على الاله الحق
 كما شاع بين طوائف السريان ونقلوه في اسفار العهدين القديم والحديث منذ اوائل
 القرن الثاني للمسيح . وخلاصة القول ان اسم الله دخل في جزيرة العرب بنفوذ
 النصرانية خصوصاً . وعليه قد تكرر هذا الاسم الكريم في الشعر الجاهلي الذي
 كان معظمه لشعراء نصارى من قبائل نصرانية كربيعة وبكر وايد وغيرهم . ولا
 نرى حاجة الى ذكر امثلة عديدة لهذه الحقيقة لثباتها وكثرة استعمال اسم الله في الشعر
 الجاهلي . أما بقية آلهة العرب فقل ما ورد ذكرها اذ كانت الديانة الوثنية قد تقلص
 ظلها قبل ظهور الاسلام . وكفى بايراد اقوال بعضهم في الاسم الكريم على صورته
 « الله » او « اله » قال زيد بن عمرو (عن رواية ابن هشام) :

الى الله أهدي مدحتي وثنائيا وقولا رصيناً لا يني الدهر باقيا
 الى الملك الاعلى الذي ليس فوقه إله ولا رب يكون مدانيا
 رضيت بك اللهم رباً فلن أرى ادين إلهاً غيرك الله ثانيا

وقال الاعشى (شعراء النصرانية ص ٣٦٥) :

وذا النصب المنصب لا تسكننه ولا تعبد الاوثان والله فاعبدا

وقال بعض الاياديين (كتاب البيان للجاحظ ١ : ١٩٠) :

ونحن اباد عبيد الاله ورهط مناجيه في السلم

وقال امية بن ابي الصلت :

إله العالمين وكل ارض ورب الرايات من الجبال

ويقرب من اسم الاله اسم الرب كقول بن أوس بن حجر :

اطعنا ربنا وعصاه قوم فذقنا طعم طاعتنا وذاقوا

(الاسماء الحسنی) يريد العرب المسلمون بالاسماء الحسنی صفاتِ الله تعالى تدلُّ على اخص كمالاته عزَّ وجلَّ استخرجوها من بعض اقوال القرآن وعدوها ٩٩ اسماً . و اسماء الله لا عداد لها كما هو معروف لأن كمالاته تعالى لا يضمُّ بها احصاء ومهما وُصفت به الذات الالهية فما تلك الاوصاف الا نقطة من بحر . ولا نتبع كل اسم من هذه الاسماء وانما نكتفي بما هو ادلُّ على جلاله تعالى وعظمته وقدرته وعلمه ورحمته فنجدها كلها سبقت على السنة اهل الجاهلية واذ كان الله الواحد الصمد قد عرفه العرب كما قلنا بواسطة الموحدين ولا سيما النصارى وجب القول بان هذه الصفات استعارها ايضاً كتبة العرب وشعراؤهم عن الدين النصراني والاسفار المقدسة التي كان يتداولها ارباب هذا الدين

وكالاته تعالى على صنفين صنفٌ منها يعرف الذات الالهية في نفسها بقطع النظر عن المخلوقات كلها والصنف الآخر يشعر بصفات العزة الالهية بالنسبة الى الكائنات الخارجة عنه

فمن الصنف الاول ما دلَّ على وجوده تعالى الواجب وقيامته بذاته وجلاله وعلمه وحكمته وقدرته وغناه وابديته . وكل هذه الصفات قد عرفها اهل الجاهلية من نصارى العرب واستعاروها من الاسفار المقدسة من العهدين القديم والحديث . فمن ذلك قول امية بن ابي الصلت يصف عظمته وجلاله وفي كلامه كثير مما ورد في القرآن من الاسماء الحسنی فقال (شعراء النصرانية ص ٢٢٧) :

لَكَ الْحَمْدُ وَالنِّعَاءُ وَالْمَلِكُ رَبَّنَا فَلَا شَيْءَ اَعْلَى مِنْكَ مَجْدًا وَاِجْدُ
مَلِكٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيَّمِنٌ لِعِزَّتِهِ تَغْنُو الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ
عَلَيْهِ حِجَابُ النُّورِ وَالنُّورُ حَوْلُهُ وَاخَارُ نُورٍ حَوْلُهُ تَتَوَقَّدُ
فَلَا بَشَرٌ يَسْمُو إِلَيْهِ بِطَرَفِهِ وَدُونَ حِجَابِ النُّورِ خَلْقٌ مُؤَيَّدُ

ومنها في وحدانيته وصمدانيته وملكه المتعالي :

فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْخَلْقُ قَدْرَهُ وَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ
وَمَنْ لَمْ تَنَازِعْهُ الْخَلَائِقُ مُلْكُهُ وَإِنْ لَمْ تَفَرِّدْهُ الْعِبَادُ فُفَرِّدُ
مَلِكِ السَّمَاوَاتِ الشَّدَادِ وَارْضَاهَا وَلَيْسَ لَشَيْءٍ عَنْ قَضَائِهِ تَأْوُدُ

وفي وحدانيته وقدرته وبقائه قال ورقة بن نوفل (الاغاني ٣ : ١٤) :

سُبْحَانَ ذِي الْعَرْشِ سُبْحَانًا يَعَادِلُهُ رَبُّ الْبَرِّيَّةِ فَرْدٌ وَاحِدٌ صَمَدُ
مُسَخَّرُ كُلِّ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُنَاوِيَ مُلْكُهُ أَحَدُ

لا شيء مما نرى تبقى بشاشته يبقى الاله ويودي المال والولد
ولزيد بن عمرو في ربوبيته وولائه وابديته قوله (كتاب البد والتاريخ ١ :
٦٢ وسيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٦) :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ غَيْرَ رَبَّنَا وَهُوَ مِيرَاثُ الَّذِي كَانَ فَنِيَا
وَلِيٌّ لَهُ مِنْ دُونِ كُلِّ وِلَايَةٍ إِذَا شَاءَ لَمْ يُمَسُوا جَمِيعًا تَوَالِيَا
وَأَنْ يَكُ شَيْءٌ خَالِدًا وَمَعْمَرًا تَأْمَلُ تَجِدُ مِنْ فَوْقِهِ اللَّهَ بَاقِيَا
لَهُ مَا رَأَتْ عَيْنُ الْبَصِيرِ وَفَوْقَهُ سَمَاءُ الْإِلَهِ فَوْقَ سَمَاءِ سَمَائِيَا

وروى الصغاني: « فوق ست سماءيا » . وسماه أمية مقدساً وذا الجلال فضلاً عن
بقائه فقال :

فكل معمر لا بُدَّ يوماً وذي الدنيا يصيرُ إلى الزوالِ
ويبقى بعد جدته ويبلى سوى الباقي المقدس ذي الجلال

ودعاه زيد بن عمرو (الاتقان للسيوطي ص ١٥٤) بالعزيز والواسع فقال :
أَنَّ الْإِلَهِ عَزِيزٌ وَاسِعٌ حَكَمٌ بِكَفِّهِ الضَّرُّ وَالْبَأْسَاءُ وَالنِّعَمُ

فترى في كل هذه الابيات عدداً عديداً من اسمائه عز وجل كالواحد والاحد
والفرد والصمد والاول والاخر والباقي والعزيز والعظيم والكبير والعلي والمتعالي
والمحتجب والماجد والمجيد والقادر والقوي والقهار والمقتدر والمالك ومالك الملك
وذي الجلال والمقدس والحق والعليم والحكيم والغني وكلها من اوصافه الدالة على
كالاته الذاتية . اما الصفات الالهية المنبئة بالعلاقة بين الخالق والمخلوق فورد منها
كثير في الشعر الجاهلي ومصدرها كما في الصفات السابقة التعاليم النصرانية الشائعة
في جزيرة العرب . فن جميل ابيات امية بن ابي الصلت قوله يصف خالق البرية
(شعراء النصرانية ص ٢٢٨) :

هو الله باري الخلق والخلق كلهم اياه له طوعاً جميعاً واعبد
وانى يكون الخلق كالخالق الذي يدوم ويبقى والخلقة تنفذ

ووصفه هناك بالمحيي المميت :

وفنى ولا يبقى سوى الواحد الذي يُميت ويُحيي دائماً ليس بجمد

وله في وصف تكوين العالم اقوال كثيرة كقوله في السماء (شعراء النصرانية

ص ٢٢٦)

بناها وابنى سبعا شداً بلا عمد يُرَيْن ولا رجال

وسواها وزيتها بنور من الشمس المضيئة والهلل
ومن شهب تلالاً في دجائها مراميهما اشد من النصال
وشق الارض فانجست عيوناً واحاراً من العذب الزلال
وبارك في نواحيها وزكى بها ما كان من حرث ومال

ولقس بن ساعدة في الخالق وغايته من الخلق (شعراء النصرانية ص ٢١٦) :
الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث

ومثله اعدى بن زيد وسماه مسبحاً وخلّاقاً (شعراء النصرانية ص ٤٥٤) :
ليس شيء على المنون بباقر غير وجه المسبح الخلاق
ومما يضاف الى صفته بالخالق قول امية بن ابي الصلت (العرائس للشعبي

ص ١١)

اذا قيل من رب هذي السما فليس سواه له يضطرب
ولو قيل رب سوى ربنا لقال العباد جميعاً كذب
وسماه امية كبيراً ومنشئاً ومحيياً وقديراً فقال :
بجدوا الله وهو للمجد اهل ربنا في السماء اسمى كبيراً
ذلك المشئ الحجارة والموتى وأحياءهم وكان قديراً
ووصفه قس بن ساعدة بالمهمين (شعراء النصرانية ٢١٧) :

فاعوذ بالملك المهمين مما غاله بالبأساء والنحس

ونعته امية ابن ابي الصلت بالسليط والمقتدر فقال :
ان الانام رعايا الله كلهم ان السليط فوق الارض مقتدر
وسماه الكريم فقال :

ثم يجلو النهار رب كريم بهاء شعاعها منشور
وقال اعشى قيس :

ربي كريم لا يكدر نعمة فاذا تنوشد في المهارق انشدا
وخصه زهير بن ابي سلمى بمراقبة الاعمال والانتقام لها في معاقبته :
فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفى ومهما يكنتم الله يعلم
يوخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب او يجعل فينقم
ودعاه امية حكماً فقال :

لك الحمد والمن رب العباد انت الملك وانت الحكم

وسماه علياً ومتعالياً (المرتضى ص ٣١٣)

واشهد ان الله لا شيء بعدهُ عالياً وامسى ذكره متعالياً
ووصفه بالرحمان والرحيم . قال الاعشى (شعراء النصرانية ص ٣٩١) :
فلئن ربك من رحمته كشف الضيقة عنا وقسح
وقال المثقب العبدى (شعراء النصرانية ص ٤١٥) :

لحى الرحمن اقواماً اضاعوا على الوعواع افراسي وعيسي

وقال سلامة بن جندل يصفه بالرحمان والجابر والجامع (اطلب طبعتنا ص ١٩)
عجلتم علينا حجتين عليكم وما يشأ الرحمان يعقد ويطلق
هو الجابر العظيم الكسير وما يشأ من الامر يجمع بينه ويفرق
ويروى : « هو الكاسر العظيم الامين » . ووصفه زيد بن عمرو بالرحمان والغفور
فقال (الاغانى ١٣ : ١٦) :

ارباً واحداً ام الف رب ادين اذا تقسست الامور
ولكن اعبد الرحمان ربى ليغفر ذنبى الرب الغفور

وقال امية في الرحيم (كتاب الالفاظ لابن السكيت ٤٩٠)
ثم يجلو الظلام رب رحيم بمهارة شعاعها منشور

ودعاه الورقة بن نوفل بالسميع المجيب فقال (الاغانى ٣ : ١٦) :

ادين لرب يستجيب ولا ارى ادين لمن لا يسمع الدهر واعيا
اقول اذا صليت في كل يعة تباركت قد اكرت باسمك داعيا

فهذه الاسماء كلها من صفات الله تبارك وتعالى تثبت جلياً بان اهل الجاهلية
المتنصرين لم يفتهم شيء من معرفة الاله الحق

٢ السماء والجحيم وما فيهما

كما اقتبس عرب الجاهلية معارفهم عن الحق سبحانه وتعالى من نور النصرانية
ودعائها خصوصاً كذلك يجب القول انهم عرفوا الآخرة بفضلهم وان امكنهم ان
يستعيدوا شيئاً منها من اليهود ألا ان اليهود كما سبق لنا القول كانوا مزويين في بعض
انحاء جزيرة العرب ولم يختلطوا مع اهلها الا اختلاطاً يسيراً على خلاف النصارى
الذين رأيناهم في ما مر ساكنين في كل اقطار العرب لا يخلو منهم حي واحد فلا
عجب ان يكونوا بثوا تعاليمهم عن دار الخلود بين اهل البادية والحضر كما نشروا
تعريفهم للخالق عز وجل

(السماء) معلوم انَّ السماء مقام الله حيث يتجلى للابرار وحيث يسعى في خدمته ملائكة مزهون عن الهوي . . . وقد مرَّت لنا ابيات لامية بن ابي الصلت وصف فيها تلك السماء العليا . فلا حاجة الى تكرارها وانما نضيف اليها قوله في الدارين :
دارُ دحاها ثمَّ أَعْمَرْنَا بها واقام بالاخرى التي هي امجدُ

وفي هذه السماء العليا قال ايضاً :

فَأَتَمَّ سَتًّا فَاسْتَوَتْ أَطْبَاقُهَا وَأَتَى بِسَابِعَةٍ فَأَتَى تُورَدُ

وتُدعى السماء ايضاً بجَنَّة الخلد وبالفردوس وجنان عدن . قال امية بن ابي الصلت :

رَبِّي لَا تَحْرِمْنِي جَنَّةَ الْخُلْدِ م وَكُنْ رَبِّي بِرَوْضٍ حَفِيًّا

وقال حكيم بن قبيصة يخاطب ابنه بشرًا (في الحماسة ٧٩٢ ، ed. Freytag)

فما جَنَّةُ الفردوس هاجرتَ تَبَتُّغِي وَلَكِنْ دَعَاكَ الْخَبْرُ وَالتَّمَرُ احْسَبُ

ومثله لحسان بن ثابت (تاج العروس ٤ : ٤٠٥) :

وَأَنَّ ثَوَابَ اللَّهِ كُلَّ وَاحِدٍ جَنَّاتٍ مِنَ الْفَرْدُوسِ فِيهَا يَخْلَدُ

وقال النابغة (المخصّص لابن سيده ٩ : ٥٦) :

فَسَلَامُ الْإِلَهِ يَنْدُو عَلَيْهِمْ وَفِيهِ الْفَرْدُوسُ ذَاتُ الظَّلَالِ

وللسماء في الشعر القديم اسماء غيرها منها يَرْقِع وعدن ونعيم قال امية بن ابي

الصلت (المخصّص ٩ : ٦) :

وَكَأَنَّ يَرْقِعَ وَالْمَلَائِكُ حَوْلَهَا سَدِرُ تَوَاكَلَهُ الْقَوَائِمُ اجْرَدُ

وجاء في عدن له ايضاً :

جَهَنَّمُ تِلْكَ لَا تُبْقِي بَقِيًّا وَعَدْنُ لَا يَطَالُمَا رَجِيمُ

وقال في النعيم :

لَمْ يُخْلَقِ السَّمَاءُ وَالنَّجُومُ وَالشَّمْسُ مَعَهَا قَمَرٌ يَقُومُ

قَدَرُهُ الْمُهَيَّمَنُ الْقِيُومُ وَالْحَشُّ وَالْجَنَّةُ وَالنَّعِيمُ

أَلَا لَأَمْرُ شَأْنُهُ عَظِيمُ

وسماها ايضاً دار صدق قال :

وَحَلَّ الْمُتَّقُونَ بَدَارِ صَدَقٍ وَعِيشٍ نَاعِمٍ تَحْتَ الظَّلَالِ

لَحْمٌ مَا يَشْتَهَوْنَ وَمَا تَغْنَوُا مِنْ الْأَفْرَاحِ فِيهَا وَالْكَمَالِ

(الملائكة) واخصُّ ما في السماء الملائكة . ومعلوم ان ذكر الملائكة لم يمكنه

ان يتصل الى العرب الا بطريقة وحي سابق ودين شاع فيه المعتقد بوجود
الملائكة كالنصرانية . وقد احسن امية في وصفهم فقال :

ينتابه المتنصفون بسجرة في الف الف من ملائكة تحشد
رسل يجوبون السماء بأمره لا ينظرون ثواء من يتقصّد
فهم كأوب الريح بينا أدبرت رجعت بوادي وجهها لا تكرّد
حدّ مناكبهم على اكتافهم زف يزفّهم اذا ما استجدوا
واذا تلاميذ الاله تعاونوا غلبوا ونشطهم جناح معّد
هضوا باجحة فلم يتواكلوا لا مبطئ منهم ولا مستوعد
وله من قصيدة اخرى :

ملائكة اقدمهم تحت عرشه بكفّيه لولا الله كلّوا وأبلدوا
قيام على الاقدام عاين تحته فرائصهم من شدة الخوف ترعد
وسبط صفوف ينظرون قضاءه يصيخون بالاسماع للوحي ركّد

وهناك قد ميّز طبقات الملائكة و اشار الى عددهم ومختلف اعمالهم ورتبهم
كالكرويم والحرّاس وصرّح باسماء بعضهم كجبرئيل وميخائيل قال :

امين لوجي القدس جبريل فيهم وميكال ذو الروح القوي المسدّد
وحرّاس ابواب السماوات دوحهم قيام عليها بالمقاليد رصّد
فنعم العباد المصطفون لأمره ومن دوحهم جند كفيف مجنّد
ملائكة لا يفترون عبادة كروية منهم ركوع وسجد
فساجد هم لا يرفع الدهر رأسه يعظم رباً فوقه ويمجد
وراكهم يحنول الدهر خاشعاً يردّد آلاء الاله ويحمد
ومنهم ملف في الجناحين رأسه يكاد لذكرى ربه ينفسد
من الخوف لا ذو سامة بعبادة ولا هو من طول التعبد يجهّد
ودون كثيف الماء في غامض الحوا ملائكة تنحط فيه وتصعد
وبين طباق الارض تحت بطونها ملائكة بالامر فيها تردّد

وانشد الكسائي لعقمة بن العبد يمدح الحارث بن جبلة . وتروى لشاعر من
عبد القيس يمدح النعمان وفيها ذكر الملائكة (راجع التاج في مادة ملك . وشرح بانث
سعاد لابن هشام 42 p. ed. Guidi) :

تعاليت ان تغزى الى الانس خلّة وللانس من يزوك فهو كذوب
فلست لانسى ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب

ولامية ايضاً في الملائكة الموكلين بالمخلوقات السفلى قوله (اساس البلاغة ١٩٦:٢) :

وتحت كثيف الماء في باطن الثرى ملائكة تنحط فيه وتسمع
وقد كثر ذكر الملاك جبرائيل في الشعر القديم . قال عمران بن حطان :
والروح جبريل فيهم لا كفاء له وكان جبريل عند الله مأمونا
وقال حسّان بن ثابت (ديوانه طبعة ايدن p. 42 ed. Hirschfeld) :
يا حار في سينة من نوم اولكم ام كنت وبك مغتراً بجبريل
وقال ايضاً (ib. 15) :

برجالٍ لستم أمثالهم أيدوا جبريل نصرًا فترل
وقد لقّبه حسّان في محل آخر بالروح القدس (ib. p. 2) :
وجبريل أمين الله فينا وروح القدس ليس له كفاء
ويروى : « رسول الله » . وكذلك ذكروا الملاك ميخائيل ودعوه ميكال قال
ورقة بن نوفل :

وجبريل يأتيه وميكال معها من الله وحي بشرح الصدر مُترل
وذكروا من طغيات الملائكة الكروبية وهم الكروبيم وصفهم في تاج
العروس « بسادة الملائكة والمقربين الى حاملة العرش » . كقول امية بن ابي الصلت
السابق ذكره (التاج ٤٥٤:٢) :
ملائكة لا يفترون عبادة كروبية منهم ركوع وسجدة

وقال في الساروفيم ودعاهم بالسرافيل (كتاب البدن للمقدسي ١٦٨:١ ed.)
(Huart) وعجائب المخلوقات للقزويني (ص ٥٦ ed. Wüstenfeld) :
حُبس السرافيل الصّوّافي تحته لا واهن منهم ولا مستوغد

ومما وصفه شعراء الجاهلية في السماء عرش الله الذي تكرر ذكره في الاسفار
المقدسة من العهدين العتيق والحديث . ومن البديهي ان عرش الله ليس شيئاً هيولياً
مجسماً وانما المراد به عزته تعالى وثباته . قال امية وهو غير ما سبق له (الاضداد
لابن الانباري ص ٥١)

ملك على عرش السماء ميسن تعنو لغزته الوجوه وتسجد

وقال ورقة بن نوفل (الاغاني ١٤:٣) :

سبحان ذي العرش سبحاناً يعادله رب البرية فرد واحد صمد

ويروى: «سبحاناً يدوم له . وسبحاناً يعود له» . ومثل العرش السريرُ قال
امية (كتاب البدء والتاريخ للمقدسي ١: ١٦٥):

مجدوا الله فهو للمجد اهلٌ ربنا في السماء امسى كبيراً
بالبناء الاعلى الذي سقى الخلق وسوى فوق السماء سريراً
شرحاً ما يناله بصرُ العَينِ ترى دونه الملائكة صورا

فالشرح الحشبة المربعة الطويلة وهي ايضاً العرش والسرير
(جهنم) ليست معرفة شعراء الجاهلية بجهنم وعذابات الهالكين ووجود الشياطين
دون معرفتهم بالسماء واهلها . قال كعب بن مالك في وصف جهنم (اتقان علوم
القرآن للسيوطي ١: ١٥٨):

تَلَطَّى عليهم حينَ أَنْ شَدَّ حَمِيها بَزُرُ الحديدِ والحجارة ساجرُ
وقال امية بن ابي الصلت (فيه ١: ١٥٩):

فأركسوا في حميم النار انهم كانوا عتاتاً يقولون الكذب والزورا
ويروى: «في جهنم انهم كانوا عصاة» . وقال وقد اجاد في بيان حال الهالكين
(شعراء النصرانية ١: ٢٢):

وسيقَ المجرمون وهم عُراةُ الى ذات المقامع والنكال
فنادوا ويلنا ويلاً طويلاً وعجوا في سلاسلها الطوال
فليسوا ميّتين فيستريحوا وكأهم ببحر النار صال

وقال فيهم (خزانة الادب ٢: ٣٤٦):

فهم يطفون كالاقداء فيها لئن لم يغفر الرب الرحيمُ
وقال النابغة الجعدي مستغفراً وطالبا النجاة من جهنم (خزانة الادب ٤: ٤)
يا مالك الارض والسماء ومن يفرق من الله لا يخف اثنا
اني امرؤ قد ظلمت نفسي وإلا م تعف عني اغلا دماً كثيراً
أطرح بالكافرين في الدرك الاسفل يا رب اصطي الضرماً
وقال امية بن ابي الصلت يذكر الابرار ونعيمهم والاشرار وجحيمهم:

هما فريقان فرقة تدخل الجنة حفت بهم حدائقها
وفرقة منهم قد أدخلت النار فسأعهم مرافقها
لا يستوي المترلان ثم ولا م الاعمال لا تستوي طرائقها

وكما جعلوا الملائكة في السماء كذلك عينوا جهنم لابليس وفرقتهم من الشياطين

والجن الذين هبطوا من السماء بخطيئتهم فاخذهم الله بعضيانهم . قال امية (لسان العرب ١٥ : ٤٠٩) :

وفيها من عباد الله قومٌ ملائكةٌ ذُلُّوا وهم صوابٌ
وقال امية ايضاً ودعا الشيطان شاطناً (اللسان والتاج والصحاح في مادة عكا) :
أَيُّمًا شَاطِنٌ عَصَاهُ عَكَاهُ ثُمَّ يُلْقَى فِي السَّجْنِ وَالْأَغْلَالِ
ودعاهُ عَدِيَّ بن زَيْدِ ابْلِيسَا (تاريخ العصامي سمط النجوم العوالي ص ١٩) :
وَأَهْبَطَ اللَّهُ ابْلِيسَا وَأَوْعَدَهُ نَارًا تَلْهَبُ بِالْإِسْعَارِ وَالشَّرَرِ

وقال امية بن ابي الصلت :

وترى شياطيناً تروغُ مُضَاعَةً وَرَوَاغُهَا صَبْرٌ إِذَا مَا يُطْرَدُ
تُلْقَى عَلَيْهَا فِي السَّمَاءِ مَذَلَّةٌ وَكَوَاكِبٌ تُرْمَى بِهَا فَتُعْرَدُ

وفي هذه السماء العليا قال ايضاً :

فَأَمَّ سَتًّا فَاسْتَوَتْ أَطْبَافُهَا وَأَتَى بِسَابِعَةٍ فَأَتَى تُورَدُ

وقد كثر في الشعر الجاهلي ذكر الدينونة والحساب وما يتبعهما من ثواب او عقاب

قال زهير بن ابي سلمى في معلقته يتهدد المنافقين بالدينونة :

فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي صَدُورِكُمْ لِيخْفِيَ وَمَهْمَا يُكْتَمَنَّ اللَّهُ يَعْلَمُ
يُوَخِّرُ فَيُوضِعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخِرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجِّلُ فَيُنْقِمُ

وقال امية بن ابي الصلت :

يُوقَفُ النَّاسُ لِلْحِسَابِ جَمِيعًا فَشَقِيٌّ مَعَذَّبٌ وَسَعِيدٌ

وقال الثابتة الذبياني يذكر معتقد بني غسان بالدينونة :

فَلَا يَحْسِبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرًّا بَعْدَهُ وَلَا يَحْسِبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةً لَا زَبَّ

وقال لبيد (ديوانه ص ٢٨ . ed. Huber) :

وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيُعْلَمُ سَعْيُهُ إِذَا كُشِفَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْمُحَاصِلُ

ويروى في المخصص (١٢ : ٧١) : « إذا حصلت عند الاله الحصائل » . وروى

السيوطي لأمية بن ابي الصلت (في اتقان علوم القرآن ١ : ١٥٨)

ولا يوم الحساب وكان يوماً عبوساً في الشدائد فظريرا

وقال امية ايضاً (فيه . وفي الاغانى ٣ : ١٩٠) :

أَنَّ يَوْمَ الْحِسَابِ يَوْمٌ عَظِيمٌ شَابَ فِيهِ الصَّغِيرُ شَيْبًا طَوِيلًا

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي قَلَالِ الْجِبَالِ أَرعى الْوَعُولَا

كلّ عيشٍ وان تطاول دهرًا منتهى امره الى ان يزولا
وأجعل الموت نصب عينك واحذر غولة الدهر انّ للموت غولا
وقال ايضاً (خزانة الادب ٧: ٤) :

لا تخلطن خبيثات بطيبة واخلع ثيابك منها وانج عريانا
كل امرئ سوف يجزى قرضه حسناً او سيئاً ومديناً كالذي دانا

وهم يذكرون مع الدينونة والحساب يوم الحشر وبعث الاجساد وقيامتها من قبورها وجزاء العالمين الاخير . قال امية ووصفه تعالى بالباعث للموتى :

الوارث الباعث الاموات قد ضمنت ايام الارض في دهر الدهارير

وقال قس بن ساعدة (الشريشي ٢٧٥: ٢) ومحاضرات ابن العربي ٦٧٠: ٢
وكتاب المعتمرين لابي حاتم السجستاني ص (٧٦) :

يا ناعي الموت والاموات في جدث عليهم من بقايا خزهم خرق
دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم فهم اذا انقبهوا من نومهم فرق (١)
حتى يعودوا بحال غير حالهم خلقاً جديداً كما من قبلها خلّقوا
منهم عراة وموتى في ثيابهم منها الجديد ومنها الأورق الملقى

وقال عبيد بن الابرس يذكر القيامة (خزانة الادب ١٦٠ : ١) :

انت المليك عليهم وهم العبيد الى القيامة

وقال امية وله السهم الافوز في وصف الدينونة وذكر ايضاً العرش وميزان الحساب والزُّبر اي الاسفار المقدسة التي اوحى بها الله لهداية العالمين (كتاب البدء

: ١٤٦: ٢)

ويوم موعدم ان يحشروا زمراً يوم التغابن اذ لا ينفع الحذر
مستوسقين مع الداعي كاهم رجل الجراد رفقه الريح تنشر
وأبرزوا بصعيد مستو حرز (٢) وأترل العرش والميزان والزُّبر
وحوسبوا بالذي لم يحصيه احد منهم وفي مثل ذلك اليوم معتبر
فمنهم فرح راض بمبعثه وآخرون عصوا مأوام السقر
يقول خزانها : ما كان عندكم ألم يكن جاءكم من ربكم نذر
قالوا : بلى فتبعنا فتية بطروا وغرنا طول هذا العيش والعمر
قالوا : امكثوا في عذاب الله ما لكم الا السلاسل والاعلال والسعر
فذاك عيشهم لا يبرحون به طول المقام وان صحوا وان ضجروا

(١) وروى الباقلاني في اعجاز القرآن (ص ٧٢) : كما ينبئ من نوماته الصعق

(٢) كذا في الاصل . والصواب جرّ . يقال ارض جرّ وجرّ وجرّ اي مجدبة

وآخرون على الأعراف قد طعموا
 انَّ الانام رعايا الله كلهم
 وهو القاتل ايضاً في وصف الجحيم والنعيم (المقاصد النحويّة في هامش خزنة
 الادب ٢ : ٣٤٦ ومنتخب ربيع الابرار (Ms Wien, ff 16^v)

سلامك ربنا في كل فخر
 عبادك يخطئون وانت رب
 غداة يقول بعضهم لبعض
 فلا تدنو جهنم من بري
 فهم يطفون كالاقذاء فيها
 جهنم تلك لا تبقي بغيّاً
 فلا لغو ولا تأثيم فيها
 اذا بلغوا التي اُجروا اليها
 وخُففت النذور واردفتهم
 بريئاً ما تليق بك الذموم
 بكفيتك المنايا والختوم
 ألا يا ليت أمكم عقيم
 ولا عدن يحل بها الاثيم
 لئن لم يغفر الرب الرحيم
 وعدن لا يطالعها الرحيم
 ولا حين ولا فيها مليم
 تقبلهم وحلل من يصوم
 فضول الله وانهت القسم

فهذه الاوصاف كلها لا تُرى في غير الاسفار المقدسة التي كانت في ايدي
 النصارى فاخذها عنهم شعراء العرب قبل الاسلام . ولا مية المذكور ابيات ذكر فيها
 انتظار البشر ليوم الدينونة وظهور المسيح ليدين العالم (كتاب البدء ٢ : ١٤٥) :

والناس راث عليهم امر ساعته
 ايام يلقي نصاراهم مسيحهم
 هم ساعدوه كما قالوا لهم
 فكلهم قائل للدين ايانا (١)
 والكاثنين له وداً وقربانا (٢)
 وارسلوه يريد الغيث دسفانا (٣)

ومعلوم في معتقد المسلمين انَّ السيّد المسيح (عيسى) هو الذي ينزل في آخر
 العالم ليدين العالمين . فكفى بهذه الشواهد دليلاً على انَّ كل الالفاظ الواردة في
 القرآن والحديث عن الدينونة واحوالها قد سبق اليها اهل الكتاب في الجاهلية كما
 سبقوا الى اسماء الله الحسنی

(١) راث اي تأخر . يريد ان الناس يكونون في انتظار الساعة فيقول بعضهم لبعض
 ايانا اي متى يحل يوم الدين

(٢) كذا في الاصل . ونظن ان الصواب « الكاثنين » اي الخاضعين

(٣) الدُسفان المرسل . يريد انَّ المسيح تقدّمهم كالرائد الذي ينتجع الكلاء . ولعل في هذا
 اشارة الى قول السيّد المسيح في انجيل يوحنا (١٤ : ٢) : « اني ذاهب لاعدكم المكان » . وفي
 كتاب البدء : وارسلوه كسوف الغيب . وفي اللسان : يسوف الغيث

٣ الدين ومقاماته ومناسكه

كان لعرب الجاهلية شركهم كما سبق ألا ان الآثار العربية الباقية من العهد السابق للاسلام قلما تُشعر بالتوثن لنفوذ التوحيد بينهم بفضل الدين المسيحي . وها نحن ذا ندون الالفاظ النصرانية الواردة في شعرهم المثبتة لقولنا (الدين) ان لفظة الدين بمعناها الخاص اي العبادة لله قد سبقت للاسلام واول ما نجد لفظها في الشعر العربي مدلولها الدين النصراني . قال النابغة عدح ملوك غسان النصاري بدينهم :

مجلتهم ذات الاله ودينهم قومٌ فارجون غير العواقب
وروى اللسان محلتهم اي الارض المقدسة . ومثله ما انشده نبي الاسلام عن شاعر جاهلي « لما افاض من عرفة الى مزدلفة وكان في بطن محسر الذي كان موقف النصاري » (تاج العروس ٣ : ١٤٠ و ٣٦٢ : ٩) . وفي الابيات اشارة الى الناقة التي كان راكبها في مسيره الى الحرم :

اليك تعدو قلقاً وضئها معترضاً في بطنها جنيهاً
مخالفاً دين النصاري دينها

وكذلك روينا لورقة بن نوفل النصراني قوله (الاغاني ٣ : ١٦) :

ادينُ ربّ يستجيب ولا اري ادينُ لمن لا يسمعُ الدهرَ واعيا
اقول اذا صليتُ في كل يعة تباركت قد اكرت باسمك داعيا
ولأمية في معناه قوله :

رضيتُ بك اللهم رباً فلن اري ادينُ الها غيرك الله ثانياً
ومن حكم عدي بن زيد قوله :

نرقع ديانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعُ

والدين ايضاً بمعنى الحكم والقضاء والحساب . قال السيد المسيح (متى ٧ : ٢-١) : « لا تدينوا لئلا تُدانوا فانكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون » فجاءت اللفظة في الشعر الجاهلي مقبسة عن الآية السابقة . قال خويلد بن نوفل الكلبي يخاطب الحارث بن ابي شمر (التاج ٩ : ٢٠٧) :

يا حارِ أيقن ان ملكك زائلٌ وأعلم بأن كما تدينُ تدانُ

والى هذا المعنى يعود اسمه تعالى بالديان ورد في الشعر الجاهلي . وبه دُعي

آل عبد المدان بن الديان سادة بني الحارث بن كعب النصارى «الذين كانوا يتبارون في البيع وزيتها» (البكري في معجم ما استعجم ص ٣٦٧)

(العبد ... المتعبد ... العباد ... العبادة) هي ايضاً مفردات سبقت الاسلام ودأوا بها على من يعبد الله من النصارى . قال النابغة :

لواخا عرضت لأشط راهب عبد إله ضرورة متعبد ...

وقال امية بن ابي الصلت في الملائكة :

فنعلم العباد المصطفون لأمره ومن دوزم جند كفيف مجند
ملائكة لا يفترون عبادة كروية منهم ركوع وسجد

والعباد قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على دين النصرانية فدعوا بالعباد لزهدهم . ويقال لنسك النصارى الأعباد ايضاً قال ابو دواد الايادي يصف مصابيح الرهبان في مشارف الجبال (التاج ٢ : ٤١٠) :

لحن كنار الرأس بالعلىاء تذكيها الأعباد

وكثيراً ما يطلقون اسم العباد على كل البشر ولاسيما الذين يعبدون الاله الحق
قال امية :

لك الحمد والمن رب العباد انت الملك وانت الحكم

وقال ايضاً :

ولو قيل رب سوى ربنا لقال العباد جميعاً كذب

ومثله العبادة مطلقاً خصوصاً بعزته تعالى . قال زيد بن عمرو :

ولكن اعبد الرحمان ربى ليفر ذنبى الرب الغفور

وقال ورقة بن نوفل :

لا تعبدن الها غير خالقكم فان دعوكم فقولوا بيننا حدد

(آمن ... ايمان ... المؤمن) كل هذه الالفاظ سبقت ايضاً الاسلام

فأخذها النصارى لاعتقادهم ولعلمهم استعاروها من السريان . وقد وردت في اخبار

المتنصرين في الجاهلية كرواية اصحاب الكهف (مجانى الادب ٢ : ٢٣٢ - ٢٤٠)

ورواية تنصر اهل نجران (معجم البلدان لياقوت ٤ : ٧٥٥) . لا بل ذكرها في

القرآن (سورة البقرة ع ٢٨٥) واطلقها على النصارى ايضاً فقال : «والمؤمنون كل

من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ... لا نفرق بين احد من رسله» . ومثلها

في سورة آل عمران: «ومنهم المؤمنون... من اهل الكتاب امة يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...»

(العيد) هي من الالفاظ الدينية التي استعارها النصارى في الجاهلية عن الاراميين وهي بالسريانية «حَلُّوْا» . وقد نطق بها امرؤ القيس فقال يصف سرباً من المها اي بقر الوحش :

فَأَنْتُ سَرْباً مِنْ بَعِيدٍ كَأَنَّهُ رَوَاهُ عَيْدٍ فِي مُلَاءٍ مَهْدَبٍ

اشار الى لبس الراهبات في اعياد النصارى للملاء والانسجة الطويلة الاذيال . ومثله تصريحاً قول العجاج في ثور وحش اعتاد الارباض كاعتقاد النصارى اعيادهم (الالفاظ لابن السكيت ص ٤٤٦) :

واعتاد ارباضاً لها آريُّ كما يعودُ العيدَ نصرانيُّ

(النذر) ومن عادات النصارى ان يوجبوا على نفوسهم نوافل تقوية حباً بالله . وذلك النذر من السريانية «نَمُوْا» . والنذر (٦٦٦) عند بني اسرائيل المقطوع لخدمة الله . وجاء في قصة مريم (سورة آل عمران ع ٣١) : «اذ قالت امرأت عمران ربّ اني نذرتك ما في بطني محرراً فتقبل مني» . وسبق امية بن الاشكر الكناني (راجع حماسة البحتري ع ٥٢٠) فقال :

كَمْ مِنْ اسِيرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا تَدَارَكُهُ مِنْ سَعِينَا نَذْرُ نَاذِرٍ
فَلَمَّا قَدَرْنَا انْقَذَيْتُهُ رَمَحْنَا فَأَبَى إِلَى آلِهِ غَيْرَ شَاكِرٍ

وورد لامية بن ابي الصلت يذكر نذر ابراهيم لابنه اسحاق وفيه ذكر (الاحتساب) وهي ايضاً من الفاظهم الدينية بمعنى الثواب والاجر قال (تاريخ الطبري ٣٠٨: ١) :

وَلِإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَقِّي بِنَذْرِ إِحْتِسَاباً وَحَامِلِ الْأَجْدَالِ

الى ان قال :

أُبْنِيَّ أَنِّي نَذَرْتُكَ لِلَّهِ شَهِيداً فَاصْبِرْ فَدَى لَكَ حَالِي

*

ثم للدين مقامات وابنية مخصصة بالعبادة شاع عند العرب المسجد والمعبد والمصلّى والمنسك والكعبة . . وكلّ هذه الالفاظ قد سبقت الاسلام واستعملها اهل الجاهلية ولاسيما النصارى للدلالة على دينهم

(المسجد) قال الزَّجَّاج في تعريفه (لسان العرب ٤ : ١٨٨) : « كلُّ موضع يُتَعَبَّد فيه فهو مسجد » . وقد اطلقوها على هيكل اورشليم كقول الطبري في تاريخه (١ : ٧٢٩) عن يوسف خطيب مريم : « تولَّى يوسف خدمة المسجد » وقال ابن خلدون في تاريخه عن العذراء مريم (٢ : ١٤٤) ان حنة أمها « جاءت بها الى المسجد فدفعتها الى عباده » . وقد مرَّ ايضاً ذكر « مسجد مريم » كما ورد في معرفة البلدان المقدسي (ص ٧٧) . ولا نشك أنها وردت ايضاً في الشعر القديم . ومما رواه سيوييه عن بعض الشيوخ (تاج العروس ٥ : ٤١٩) قوله :

اوصاك ربك بالتقى وأولو الشئى اوصوا معة
فاختر لنفسك مسجداً تخلو به او صومعة

(قال) الصومعة بيت النصارى . فذكر المسجد معها اشارة الى أنها في معناها شائعة ايضاً عند النصارى . وقد ورد اسم المسجد في القرآن (سورة الاسرى ع ١) دلالة على « المسجد الاقصى » في القدس الشريف وما قلناه عن المسجد يصح ايضاً في العبد والمصلّى اي مقام العبادة ومحل الصلاة ومكان النسك فان هذه الالفاظ كلها يرتقي عهدها الى الزمن السابق للإسلام (الكعبة) اصلها الغرفة المكعبة اتخذوها للكعبة الحرام في مكة . وقد استعملها ايضاً النصارى للدلالة على كنائسهم في الجاهلية كما اشرنا اليه في القسم الاول من كتابنا (ص ٦٤) عند ذكرنا كعبة نجران وكعبة اليمن دلوا بها الى كنيسة في نجران قال الاعشى :

وكعبة نجران حتم عليك حتى تُناخي بابواجا ١٠٠ الخ

وكان لكنائسهم حرم لا يجوز انتهاك حرمة ان دخله جان آمن على حياته . راجع في المشرق سنة ١٩١٠ (١٣ : ٧١) مقالة قنصل الشام المليون جيون في حمى كنيسة دمشق قبل الاسلام وعلى مثاله كان حرم مكة

وفي مساجدهم امكنة خاصة تُعرف باسمائها كالحراب والقبلة

(فالحراب) يراد بها مطلق المسجد . قال صاحب تاج العروس (١ : ٢٠٧) :

محاريب بني اسرائيل مساجدهم التي كانوا يصلون فيها . وكذلك النصارى قد سثوا صدر كنائسهم المحراب كما دل بها المسلمون بعد ذلك على صدر مساجدهم . قال

في القرآن في سورة آل عمران عن زكرياً (ع ٣٢) انه كان « يدخل المحراب على مريم » . وتكررت في الشعر القديم قال الاعشى (لسان العرب ٧ : ١٧) :

كدمية صَوَّرَ محراباً بمذهب ذي مرمٍ ماثِرٍ

وقال المسيب بن علس (التاج ١ : ٢٠٧) :

او دمية صَوَّرَ محراباً او دُرَّةً شِفَتْ الى تاجرٍ

وقال امرؤ القيس (ديوانه ص ١٥٣) :

كفرلان ردلٍ في محاربٍ اقوالٍ

وقال عدي بن زيد (شعراء النصرانية ص ٤٥٥) :

كدُمى العاج في المحارب او كما م لبّيض في الروض زهره مستنيرٌ

وقال وضّاح اليمّين :

رَبَّةٌ محرابٍ اذا جثُّها لم أَلْقَها او ارتقي سلماً

ومثل المحراب القبلة وهي وَجْهَةُ المسجد جاءت في الشعر الجاهلي روى صاحب

اللسان (١٤ : ٣١٤) والجواليقي في المعرّب (ed . Sachau, p. 9) لعبد

المطلب قوله :

عُذْتُ بما عَادَ به ابراهمُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ وهو قائمٌ

(ومما يلحق بالمساجد المنارة) وهي من النور كالمرجة وقيل من النار وقد

اشتقها العلماء من السريانية (حُلَّةٌ) بهذا المعنى والمسلمون يريدون بها المذنة .

والمنارة سبقت عهد الاسلام فاستعملها امرؤ القيس في معلقته بمعنى المصباح كان

الرهبان يوقدونه لمناسكهم في قمم الجبال ليلاً قال :

تُضيء الظلامَ بالمشاء كأنها منارةٌ تُنسى راهبٍ متبتلٍ

وكانت المناور تُسرج في الكنائس . ثم اتخذوها بمعنى المجاز فاطلقوها على

الصومعة ومقام الرهبان وحلّ عبادتهم . وفي الاغانى (٢٠ : ٨٥) وردت المنارة

والصومعة بمعنى واحد . وكثيراً ما كانت صوامع الرهبان مرتفعة مشيدة على شبه

الابراج بل اكتشف الاثريون في كنائس ما بين النهرين وشمالى سورية عدّة كنائس

كانوا شيّدوا في اعلاها ابراجاً مستديرة او مربعة يؤذنون فيها بمناسكهم او يقرعون

فيها النواقيس فلما جاء الاسلام اتخذوا المناور على مثال الصوامع وتلك البروج .

وقد اثبت العلامة غوتيل (Gottheil) من اساتذة كلية كولومبيا (١) ان المسلمين في أول عهدهم كانوا يجتمعون لصلاتهم دون اذان قال ابن هشام في سيرة الرسول (ed. Wüselfenld. p. 347) : « وقد كان رسول الله حين قدموا انما يجتمع الناس للصلاة بغير دعوة » وكذلك قال القسطلاني في ارشاد الساري (ج ٢ ص ٣) : « كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيحيون الصلاة ليس يُنادى لها » ثم « ذكروا ان يعلموا وقت الصلاة بشي يعرفونه فذكروا ان ينودوا نارا او يضربوا ناقوساً وأمر بلال (المؤذن) ان يشفع الاذان » ثم سُنَّ الاذان بعد ذلك في موضع بارز وموضع عال . وربما صعد المؤذن سور المدينة ليدعو الى الصلاة انشد ابن البرقي للفرزدق (لسان العرب ١٦ : ١٥٠) :

وحق علا في سور كل مدينة منادٍ يُنادي فوقها بأذانٍ

واثبت غوتيل ان اقدم مساجد المسلمين كمساجد بلد الحرام والمدينة والكوفة والبصرة ومسجد عمرو بن العاص في القسطنطينية لم تجهز لها المناور وان أول ما ورد ذكر المنارة في خلافة معاوية اقامها زياد بن ابي سفيان في مسجد البصرة . قال البلاذري في فتوح البلدان (ص ٣٤٧-٣٤٨) : « لما استعمل معاوية زياداً بن ابي سفيان على البصرة زاد في المسجد زيادة كثيرة . . . وبني منارته بالحجارة وهو أول من عمل المقصورة »

والمُذَنَّة (محل التأذين اي النداء الى الصلاة وردت بمعنى المنارة والصومعة . قال في تاج العروس (١٢١ : ٩) : « المُذَنَّة موضع الاذان للصلاة او المنارة كما في الصحاح . قال ابو زيد : المُذَنَّة والمُؤَذَنَة . وقال اللحياني : هي المنارة يعني الصومعة على التشبيه . والمؤذن المنادي للصلاة » . وقد جاءت في الشعر القديم قال عدي بن زيد النصراني (في معجم ما استعجم للبكري ص ٢٣٣) :

بتلّ جَحْوَشٌ ما يدعو مؤذَنهم لأمر رُشدٍ ولا يَحْتُ انفارا

ومن مرادفات المنارة عندهم ايضاً (المصباح) واصلة السراج وقد استعمله أوس بن حجر في شعره بمعنى المشعل الذي يوقده رؤساء النصارى في ليلة الفصح قال

(١) اطلب مقالته في المجلة الاسيوية الاميركية (The Origin and History of the

Minaret, JAOS, XXX, (1910) p. 132-154)

يصف سنناً (راجع شعراء النصرانية ص ٤٩٤ وديوانه ص ٢٠ ed. Geyer) :
عليه كمصباح العزير يشبه لفصح ويحشوه الذبال المفتلا
قال الشارح : « اراد السنان الشديد الائتلاق وهو مثل مشعل الجليل العظيم
الشأن من بطارقة الروم لا سيما اذا ألهمه في ليلة فصح واذا كان في مثل هذه الليلة
كان أنور وأكثر ضوءاً »

وأول الفرائض المقامة في المساجد (الصلاة) . وقد تكرر ذكرها في شعر النصارى
قبل عهد الاسلام . قال منظور الاسدي يصف بعيداً شبه موقع ثفنته اذا برك
بموقع كفي راهب على الارض اذا صلى عند الفجر (الالفاظ لابن السكيت
ص ٤١٢) :

كأن هواه على الكلكل موقع كفي راهب يصلي
في غبش الصبح او القتلي

وقال البعث يذكر صلاة الرهبان وهم قيام (التاج ١٠ : ٥٣ واللسان ١٨ :
(١١١) :

على ظهر عادي كأن أرومة رجال يتلون الصلاة قيام
(قال) « تلى فلان صلاته اي أتبع الصلاة او اتبع المكتوبة التطوع » . ثم
كانوا يصلون على الخمر في التقديس قال الاعشى يصف خمرأ :

لها حارس لا يبرح الدهر بينها وان ذبحت صلى عليها وزمما
بابل لم تنصر فسالت سلافة تخالط قنديداً ومسكاً مختماً

ومثله ما روينا عن ايمن بن خزيمة في خمر جوجان (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

وصهباء جرجانية لم يطف بها حنيف ولم ينفر بها ساعة قدرو
ولم يشهد القس المهين نارها طروقاً ولا صلى على طبخها خبر

والصلاة اكثر ما تتم بالسجود والركوع والتسبيح . وكل ذلك قد تكرر ذكره
عن نصارى العرب في الجاهلية . قال المضرّس الاسدي (معجم البلدان ٤ :
(٣٧٥) :

وسخال ساجية العيون خواذل يحماد لينة كالنصارى السجدة

(قال) « لينة ماء لبني غاضوة » . وكذلك ورد في شعر لبيد مما قاله في
الجاهلية (اطلب ديوانه في طبعة فينا ص ١١٣) وقد وصف الثور فشبهه عند اكبابه
بالمصلي الذي يقضي نذراً قال :

فبات كأنه يقضي نذوراً يلوذُ بفِرْقَدٍ خضِلٍ وضالٍ
 (قال الشارح) : ويروى : يُطيفُ بغرقدٍ . وبات اي الثور اي بات مكباً كأنه
 يصلي صلاةً يقضي بها نذوراً . والغرقد والضال نباتان
 قال آخريصف راهباً (المفضليات ed. Lyall, p. 411) :
 وأشعثُ عُنوانٌ به من سجوده كركبة عثر من عُوزِ بني صخرٍ
 وأنشد في هذا الباب عن المرأة النصرانية الساجدة (كتاب سيوييه طبعة بولاق ٢ :
 ٩٢) :

فكلتاها خرَّت وأَسجدَ رأسها كما سجدت نصرانة لم تُخَفِ
 ومن عادة النصارى ان يحنوا رؤوسهم اكراماً لرؤسائهم قال حميد بن ثور
 (المخصّص لابن سيده ١٢ : ٨٧) :
 فضولُ ازمتها أسجدت سجودَ النصارى لأربابها
 ومن قبيل السجود (الركوع) وهو اخفاض المصلي لرأسه وانكبابه لوجهه . وقد
 ورد في شعر امية بن ابي الصلت عن الملائكة قوله :
 ملائكة لا يفترون عبادةً كرويةً منهم ركوعٌ وسُجْدٌ
 فساجدُهم لا يرفعُ الدهرَ رأسه يعظمُ رباً فوقه ويمجدُ
 وراكمهم يحنو له الدهرَ خاشعاً يرددُ آلاءَ الاله ويمجدُ
 وكان الراهب لكثرة صلاته يدعى راعماً . ومثله الحنيف مرادف الراهب كما مرَّ
 قال في تاج العروس (٥ : ٣٦٣) : « وكانت العرب في الجاهلية تستمي الحنيف
 راعماً اذا لم يعبد الاوثان ويقولون ركع الى الله قال الزمخشري : اي اطمأن . قال
 التابغة الذبياني :

سبيلُ عذراً او نجاحاً من امرئ الى ربِّه ربِّ البرية راعم
 ومن آداب الصلاة (التسبيح) اي شكرُ الله وتقديس اسمه وتعظيم آلائه
 جاءت في الشعر الجاهلي قال امية (تاج العروس ٢ : ١٥٧) :
 سبحانه ثم سبحاناً يعودُ له وقبلنا سبح الجودي والحمدُ
 وقال الاعشى (لسان العرب ٣ : ٢١٠) :

وسَبَّحَ على حين المشيات والضُحَى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا
 وروي بيت عمرو بن عبد الحق للاختل على هذه الصورة (ياقوت ٤ : ٧٨١) :
 وما سَبَّحَ الرهبانُ في كلِّ بيعة ايل الايلين المسيح بن مريما

ومن الآداب الدينية (الصوم) والنصارى قد اشتهروا به . قال النمر بن تولب
 (كتاب سيبويه طبعة بولاق ٢ : ٢٩) :
 صَدَتْ كَمَا صَدَّ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ سَاقِي نَصَارَى قُبَيْلَ الْفِصْحِ صَوَّامُ
 وقال امية بن ابي الصلت عن الابرار في النعيم :
 اِذَا بَلَغُوا الَّتِي أُجْرُوا إِلَيْهَا تَقَبَّلُهُمْ وَحُلِّلَ مَنْ يَصُومُ
 ومن الفرائض الدينية (الحج) ويراد به اصطلاحاً قصدُ مَكَّةَ للنسك لكن اللفظة
 في الاصل يراد به مُطلق النسك . وهي مشتقة من العبرانية חג وتكررت في
 الاسفار المقدسة بمعنى العيد والاحتشاد . وقد استعملها المقرئ في الخطط (ج ٢
 ص ٤٧٤) لليهود . قال في ذكر اعيادهم في ايار : « وفيه عيد الموقف وهو حج
 الاسابيع ٠٠٠ ويقال لهذا العيد في زماننا عيد الغنصرة » . وكذلك استعملها الكتبة
 المسلمون لغير قصد مَكَّةَ قال الادريسي في وصف المغرب (ed. Dozy et de
 Goeje, p. ٦٤) عن قبر ابن تومرت ان المصامدة جعلوه « حجاً يقصدون اليه من
 جميع بلادهم » . ومثلهم نصارى العرب فانهم استعاروا اللفظة من السريانية
 وهي عندهم كثيرة الاستعمال للدلالة على كل الحفلات الدينية فاتخذوها بهذا المعنى
 وبمعنى زيارة الامكنة المقدسة . فقد وردت في ذكرهم للكعبة اليمنية اي كنيسة
 نجران وفي زيارة بيت المقدس وقد استعملها ابن القلانسي في كتابه ذيل تاريخ
 دمشق (ص ٦٩) لزيارة بيعة القيامة : « هذه بيعة ٠٠٠ تعظمها النصارى افضل
 تعظيم وتحج اليها عند فصحهم » . وقال ياقوت عن دير نجران (معجم البلدان ٢ :
 ٧٠٣) ان « بني عبد المدان بنوه مربعاً ٠٠٠ فكانوا يحجونه هم وطوائف
 من العرب ممن يحل الاشهر الحرم ولا يحج الكعبة . ويحج خشم قاطبة ٠٠٠ »

٤ الوحي وكتبه واثمته

ليس الدين طبعياً فقط يدرك حقائقه العقل البشري ويقررها بالادلة العقلية .
 لكنّه وضعي ايضاً وهو الذي اوحى به الله الى عباده وارشدهم اليه على يد بعض
 اصفيائه المعروفين بالانبياء كوسى كلمه تعالى ولاسيا السيد المسيح كلمة الله فطوراً
 اوحى بناسك وفرائض معلومة كالحثان والذبائح وطوراً انبأ بأسرار تفوق ادراك
 البشر كاسرار العالم الآخر وبعض الحقائق الالهية . ولا يخفى ان العرب في الجاهلية لم

يعرفوا وحياً ولم يدينوا بدين وضعي بل افسدوا الدين الطبيعي ولحقوا بالشرك وعبادة الاصنام كما تدل عليه الآثار المتعددة المكتشفة في عهدنا على ان جهلهم بالوحي انما سبق عهد المسيح وقد بينا في القسم الاول من مقالاتنا نفوذ النصرانية بين العرب ولنا في لغتهم العربية قبل الاسلام ما يثبت هذا القول . وذلك في استعمالهم للالفاظ الدالة على الوحي وكتبه وائتمه كما سترى (الوحي) هي اول لفظة تدل على قولنا . فانها وردت في الشعر الجاهلي قبل القرآن بمعنى تبليغ الله كلمته الى انبيائه . قال ورقة بن نوفل الراهب النصراني :

وجبريلُ يأتيه وميكالُ معها من الله ونحي يشرح الصدرُ مُنزلُ
فبقوله « الوحي المنزل » بين كونه يريد ديناً وضعياً بلغ به الله انبياءه . ومثله قول امية بن ابي الصلت في الملائكة واصاختهم لوحي الله :
وسبطٌ صفوفٌ ينظرون قضاءه يصيخون بالاسماع للوحي ركدُ
امينٌ لوحي القدس جبريلُ فيهم وميكالُ ذو الروح القوي المسددُ
وقد انتقلوا من معنى اللفظة الاصلي الى معناها المجازي فجعلوا الاسفار الالهية وحياً والمكتوب فيها وحياً قال جرير بهذا المعنى (معجم ما استعجم للبكري ص ١٠٦) :

لمن الديارُ بعاقلٍ فالأنعم كالوحي في ورق الزبور المعجم
واذ كانوا يحفرون بعض آيات الوحي في الصخور اشاروا الى ذلك في اشعارهم . قال زهير يشبه آثار الدار بكتابة الوحي (شعراء النصرانية ص ٥٧٥) :
« لمن طلل كالوحي عاف منازلُه »

وعلى مثاله قال حسان بن ثابت (سيرة الرسول ص ٤٥٤ . ed. Wüstenfeld)
عرفتُ ديارَ زينب بالكثيب كخط الوحي في الورق القشيب
وقد جاءت على لفظ الجمع في معلقة لبيد قال يشبه مسايل جبل ريان بقاء
كتابة الوحي في الحجارة :

مدافعُ الريان عري رسمها خلقاً كما صمن الوحي سلامها
وقد دعوا كتب الوحي بالفاظ اخرى تدل على احتوائها لكلام الله . فمنها (السفر) واصلها من العبرانية سفر والسريانية سفر ومعناها الكتاب وقد

خُصُّوا بها الكتب الالهية . قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٠٣) : « السفر الكتاب من التوراة والانجيل وما اشبهها » . وقد وردت في القرآن في سورة الجمعة وفي الحديث بالمعنى ذاته . وروى البكري في معجم ما استعجم (ص ٣٦٩) دخول الحسين بن ضحَّاك الى احد اديرة النصارى بينما كان الراهب يقرأ « سفرًا من اسفارهم » اي كتبهم المقدسة وكانوا يدعون كلًّا من تلك الاسفار (بكتاب الله) . قال عدي بن زيد (شعراء النصرانية) :

ناشدتنا بكتاب الله حُرْمَتَنَا ولم تكن بكتاب الله ترتفعُ

وقد دعوا ايضاً كتب الوحي (مجلّة) وعلى هذا رُوي بيت الثابغة في بني غسان :

مجلّتهم ذات الإله ودينهم قومٌ فا يرجون غير العواقب

قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٩١) : « المجلّة الصحيفة يُكتب فيها شيء من الحكمة . واصل الكلمة من العبرانية *מגלה* اي الوحي والتبيان . وقد وردت في سيرة الرسول لابن هشام (ص ٢٨٥ . ed. Wüstenfeld) حيث ذكر « مجلّة لقمان يعني حكمة لقمان » وفي حديث انس « ألقى الينا مجال اي صُفْحاً » وربما دعوا كتاب الوحي (بالصّحيفة) جمعاً صحائف وصُفْح واصلها من الحميرية والحبشية بمعنى الكتاب والرسالة مطلقاً . قال لقيط الايادي في أوّل قصيدة يحذّر فيها قومه من كسرى (الاغاني ٢٠ : ٣٤) :

كتابٌ في الصحيفة من لقيطٍ الى مَنْ بالجزيرة من إيادٍ

ومثلها « صُفْح موسى و ابراهيم » في القرآن يُراد بها كُتُب منسوبة الى موسى و ابراهيم

ومثلها (المصحف) بتثنية الميم اي الكتاب والمسلمون يَخْصُونها بالقرآن . وقد سبق شعراء الجاهلية فنطقوا بها واطلقوها على اسفار النصارى قال امرؤ القيس (راجع ديوانه في العقد الثمين ص ١٦١) وورد في قوله اسم (الآية) اشارة الى مضامين تلك الاسفار :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ ازمان
أنت حججٌ بعدي عليه فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان

واصل الكلمة من الحبشية ḥdḥ (مَصَحَف) من ḥdḥ (صَحَفَ) اي كَتَبَ

وقد استعملوا لفظة (القرآن) ولم يتفقوا على اصلها فمنهم من همزها وجعلها مصدرًا لقرأ بمعنى القراءة . ومنهم من رجح عدم همزها فقال قرآن واستشهدوا ببیت حسان بن ثابت في هجوه لبني جمح (سيرة الرسول ص ٥٢٦) قال (١) :
جَحَدُوا الْقُرْآنَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ وَاللَّهُ يُظْهِرُ دِينَ كُلِّ رَسُولٍ

وعليه تكون القرآن من قرَن اي جمع بمعنى مجموع الآيات . وعلى رأينا انّ الهمز افضل وهو الشائع وعلى هذا اللفظ وردت في لامية كعب بن زهير قال :
مَهْلًا هَذَا الَّذِي اعْطَاكَ نَافِلَةً مِ الْقُرْآنِ فِيهِ مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلُ

وعندنا انّ اصل الكلمة من السريانية ḥmḥ وهي مصدر ḥmḥ ومعناها القراءة وقطعة من الكتاب لا سيما الكتاب المقدس ويقال بهذا المعنى «رأس القرآن» (وَمِنْ هَؤُلَاءِ)

وقد استعملوا (الفرقان) بمعنى القرآن قالوا دُعِيَ بذلك لانه يفرق الحق من الباطل . وجاءت الكلمة في القرآن في سورة البقرة بمعنى التوراة حيث قال :
« آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ » (راجع تاج العروس في مادة فرق) . واصل هذه الكلمة على ما نرى من السريانية وهي ḥmḥ بمعنى النجاة والخلاص مع الاشارة الى الفصل والتفريق . وقد وردت بمعنى الخلاص في القرآن في سورة الانفال حيث قال : « إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا » فشرحه ابن سعيد بقوله : « الفرقان النصر على الاعداء » وكذلك شرح ابن دريد قول القرآن « يوم الفرقان » بيوم النصر ثم دعوا فصول القرآن (سورة) فهمزها بعضهم واهمل همزها غيرهم فقالوا هي البقية من الشيء والقطعة منه . وقال غيرهم هي من السورة بمعنى الرتبة والشرف كما قال النابغة عدح النعمان :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ

والمرجح ما ارتآه في ذلك العلامة نولدك (Gesch. d. Qorans, p. 24) انّ اصلها من العبرانية ḥmḥ معناها المذموم والساف من البناء ومجازاً هي سطور الكتابة والقطعة منها

ثمَّ انَّ وسيط الوحي بين الله والبشر (النبي) شرحه في تاج العروس (١) :
 (١٣٣) بقوله : « النبيُّ على فَعِيل الطريق الواضح يُهَمَز ولا يُهَمَز ٠٠ ومنه أُخذ
 الرسول لانه الطريق الموضح الموصول الى الله تعالى » وعلى رأي العلماء هذا شرح بعيد
 واللفظة من العبرانية דבשׁ والسريانية ححلم اي الناظر والرأي سلفاً لما يوحى اليه الله
 من الامور المستقبلية (١) . وقد جاءت في الشعر الجاهلي قال امية بن ابي الصلت عن
 مريم العذراء كتاب البدء للمقدسي (١٢٣ : ٣) :

فأذكرها من رَجَا ثُمَّ رَحْمَةً بصدق حديثٍ من نبيِّ مكلِّمٍ

وقال آخر :

كلَّ اهل السماء يدعو عليكم * من نبيِّ وملائك ورسولٍ
 ومثل النبيِّ (الرسول) اي المرسل من الله الى الناس قال امية في بعثة الله لموسى
 الكلبي (سيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٥) :
 وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلٍ مَنْ (٢) وَرَحْمَةٍ بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيًا
 وقال ايضاً عن لسان الملاك جبرئيل الى مريم يبشرها بالمسيح (كتاب البدء ٣ :
 ١٢٣) :

أَنْبِيِي وَأَعْطِي مَا سُئِلْتُ فَأَنْبِي رسولٌ من الرحمان يَا تَيْكُ بِأَنْبَم (٣)
 وقد استعملوا بمعنى الرسول (التذير) قال امية بن ابي الصلت (كتاب البدء
 ٢ : ١٤٦) عن لسان ابليس :
 يَقُولُ خَزَأُهَا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ أَلَمْ يَكُنْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مُذَرُّ

*

واخص ما عرفه العرب في الجاهلية من الكتب المنزلة (التوراة والزبور
 والانجيل) . فقالوا في التوراة (تورية) ايضاً وهي كتب موسى الخمسة اي التكوين
 والخروج والعدد وسفر الاحبار وتثنية الاشتراع . ثمَّ اطلقوها على اسفار العهد القديم

(١) راجع كتاب نولدك (Noeldeke : Gesch. d. Qorans, p. 25-27)

(٢) وفي خزائن الادب (١ : ١١٦) : من فضل سَنَبِ

(٣) اي ارضي يا مريم بما يطلب الله منك فابشرك بولد ابن اي المسيح . وأنتم كابن والميم

اجمالاً . ومن غريب ما قاله بعض اللغويين في اصل هذه الكلمة أنها مصدر ورى الزناد تورية اذا اخرج ناره وان التوراة لغة طي في التورية وكلاهما بمعنى الاضاءة . وفي شرح المفضليات (ص ٤٤٧ ed. Lyall) ان توراة اصلها ووراة بقلب الواو تاء . واصح من هذا ما رواه صاحب التاج عن الزجاج حيث قال : « هو لفظ غير عربي بل هو عبراني اتفاقاً » وهو في العبرانية תורה ومعناها التعليم والحكمة . وقد وردت الكلمة في الشعر القديم . قال السموءل (راجع طبعتنا لديوانه ص ١٢) :

وبقايا الاسباط اسباط يعقوب دِراسُ التَّوراةِ والتابوتُ

وقد ذكروا (موسى) صاحب التوراة كما رأيت في باب (الرسول) . وقال السموءل (ص ١٢) :

وانفلاقُ الأمواجِ طورَينِ عن موسى وبعدُ المملِكُ الطالوتُ

وقال المضرس بن ربيعي (ياقوت ٣ : ٨٧) من ابيات :

فلماً لحقناهم قرأنا عليهم نحيّة موسى ربّه اذ يجاوره

وقد اكثر العرب من ذكر (الزبور) . قال المرقش الاكبر (لسان العرب ١٦ : ٣) :

وكذاك لا خير ولا شر على احدٍ بدائم
قد خطّ ذلك في الزبور الاوليات القدائم

وقال امرؤ القيس (شعراء النصرانية ص ٦٥) :

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عيب ياني

قال ابن الكلبي في كتاب انساب العرب (Ms de Paris, ff. 160) : « ان

امرؤ القيس أول من شبه الطلل بوحي الزبور في عيب ياني . وقد مرّ بك قوله :

أتت حججٌ بعدي عليها فاصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان

وجمعوا الزبور (الزبور) قال المراء بن منقذ في المفضليات يصف داراً :

وترى منها رسوماً قد علّت مثل خط اللام في وحي الزبور

ويشبهه قول الآخر :

او زبور حمير بينها اجارها بالحيرية في عيب ذابل

وقال كذلك امية بن ابي الصلت (كتاب البد ٢ : ١٤٦) في يوم الدين :

وأبرزوا بصعيدٍ مستورٍ جزر (١) وأنزل العرش والميزان والزبور

اما اصل الكلمة فقد اشتقوه من قولهم زَبَرَ الكتابَ زَبْرًا كَتَبَهُ . قال صاحب التاج (في مادة زَبَرَ) : « قال الازهري : واعرفه النقش في الحجارة وقال بعضهم : زبرتُ الكتابَ اذا اتقنت كتابته » . وجعلوا الذَّبْرَ كالزَّبْرِ كما قال صخر الغي :

أَبْلَغَ كَبِيرًا عَنِّي مَخْلَفَةً تَبْرِقُ فِيهَا صَحَائِفُ جُدُدُ
فِيهَا كِتَابُ ذَبْرٍ لِمُقْتَرَى يَعْرِفُهُ الْبُهْمُ وَمِنْ حَسَدُوا

وروي في حديث لابن الكلبي (ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٩١) ذَبْرًا بالبدال قال في وصف صنم ود : « قد ذُبر عليه حاتان اي نُقش » . (قلنا) والصواب عندنا أن الزَّبْرَ من الزَّمَرِ والزُّبُور كالزُمُور وانما أبدلت الميم باء كما جرى في لفظة « زمن » بالعربية وهي في السريانية **أَدْبِلُ** بالباء فكذلك الزُّبُور او المزبور من العبرانية **זְבוּרִים** وفي السريانية **أَدْبِلُ** و **أَدْبِلُ** وهو التسييح

ومثل التوراة والزبور (الإنجيل) اخذاها العرب من اليونان **εὐαγγέλιον** بوساطة السريانية **ܐܘܢܓܠܝܐ** او اخذوها توارثا من الحبشية **ወንጌል** على هذه الصورة . وعلى كل حال ان اللفظة سبقت الاسلام . قال عدي بن زيد (كتاب الحيوان للجاحظ . طبعة مصر ٤ : ٦٦ و Ms de Vienne. ff. 213^r) :

وَأُوتِيَ الْمَلِكَ وَالْإِنْجِيلَ تَقْرَأُهُ نَشْفِي بِحُكْمِهِ أَحْلَامَنَا عَمَلًا
مِنْ غَيْرِ مَا حَاجَةٍ إِلَّا لِيَجْعَلَنَا فَوْقَ الْبَرِيَّةِ أَرْبَابًا كَمَا فَعَلَا

وروي البكري في معجم ما استعجم (ص ٣٦١) لشاعر لم يذكر اسمه بيتا هجا فيه راهبا هجر الرهبانية :

هَجَرَ الْإِنْجِيلَ حَبًّا لِلصَّبِيِّ وَرَأَى الدُّنْيَا غُرُورًا فَرَكَنُ
وَقَالَ فِي مَحَلِّ آخِرٍ عَنْ غَلَامٍ يَتَغَنَّى بِتِلَاوَةِ الْإِنْجِيلِ :

إِذَا رَجَعَ الْإِنْجِيلَ وَاهْتَرَّ مَائِدًا تَذَكَّرَ مَحْزُونُ الْفَوَادِ غَرِيبُ
وَالْمَرْجَحُ أَنَّ النَّابِغَةَ ارَادَ الْإِنْجِيلَ فِي ذِكْرِهِ لِمَجْلَّةِ غَسَّانَ لَمَّا قَالَ :

مَجْلَتُهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَدِينُهُمْ قَوْمٌ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ

وكذلك من المحتمل ان امية بن ابي الصلت اراد الانجيل في البيت التالي حيث وردت لفظة الرق ومعناها السفر (راجع الاضداد لابن الانباري ص ٨١ ولسان العرب ٩ : ٢٥٨) وهو يدح بني اياذ قومه النصارى :

قومٌ لهم ساحةُ العراقِ اذا ساروا جميعاً واقطُ والقلمُ

وكما ذكرنا موسى وداوود صاحبي التوراة والزبور كذلك ذكروا السيد المسيح مع ذكرهم لانجيله الشريف وهم يدعونه (عيسى) . روى ابن العربي في محاضرة الابرار (٢ : ٥٠) عن لسان قس بن ساعدة اسقف نجران : « الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث ولم يخلق الناس سدى من بعد عيسى واكثر ٤٠٠٠ . وفي اسم عيسى هذا سرٌّ من اسرار الاشتقاق الغريبة . قال في التاج (٤ : ٢٠٠) : « قال الجوهري عيسى عبراني او سرياني . قال الليث : هو معدول عن ايشوع كذا يقول اهل السريانية » على ان عدولهم هذا من باب الغرائب . ولا نجد علماً قد تبدل في العربية على هذا المنوال . وعندنا ان هذا التبديل جرى على يد اليهود الذين ادخلوه في العرب بغضاً بالنصارى فدعوا يسوع باسم عيسى او عيسو وهو اخو يعقوب الذي نفاه الله من شعبه وكان هو وقومه الادوميون يُعدّون رجساً في بني اسرائيل فقلّبوا اسم يسوع ونقلوا عينه الى اوله فجعلوا الرأس ذنباً وزعم بعضهم ان اصل عيسى « عوسى » قلبوا الواو ياء فصارت « عيسى » . قال امية بن ابي الصلت (كتاب البدء ٣ : ١٢٣) :

وفي دينكم من ربّ مريم آيةٌ منبئةٌ بالعبد (عيسى بن مريم)

وللسيد يسوع اسم آخر اشيع منه عند العرب وهو « المسيح » من العبرانية משיח والسريانية **ܡܫܝܚܐ** وهما كالعربية مسيح واليونانية **Χριστός** اي الممسوح بدهن الكهنوت والملك كما كانوا يفعلون باجبار بني اسرائيل وملوكهم وقال العرب غير ذلك . روى في تاج العروس عن شتر « ان المسيح دُعي بذلك لبركته اي لانه مُسح بالبركة . وقال الراغب : سُمي عيسى بالمسيح لانه مُسحت عنه القوة الذميمة من الجهل والشره والحرص وسائر الاخلاق الذميمة . . . وفي بعض الاقاويل المسيح من السّيح لانه كان يسبح في البراري ويذهب في الارض فاينما ادركه الليل صفّ قدميه وصلّى حتى الصباح » . وكل هذه آراء ضعيفة والصواب ما قلناه انه من المسح . وقد تكرر اسم المسيح في الشعر القديم . قال عمرو بن عبد الحق ويروى لغيره (اطلب المعاجم في مادة ابل) :

وما قدّس الرهبان في كل هيكَل ايل اليايين المسيح بن مريم

(١) في الاصل : والعبد ونظمتها تصحيفاً . وقد دعا المسيح عبداً لله من حيث ناسوته

ورُوي للسموئل (راجع ديوانه صفحة ٣٢) قوله :
وفي آخر الايام جاء مسيحنا فأهدى بني الدنيا سلامَ التكاملِ
وقال امية يذكر حجي المسيح في آخر الازمنة ليدين البشر :
ايام يلقى نصاراهم مسيحهم والكائنين له ودًا وقربانا
وذكر آخر محاربة السيد المسيح للمسيح الدجال وانتصاره عليه (راجع اللسان
في مادة مَسَحَ ٣ : ٤٣٠) :

إِذِ الْمَسِيحُ يَقْتُلُ الْمَسِيحَا

وكانوا يسمون المسيح (بالابيل) ومعناه الناسك والزاهد بالدنيا ودعوه بابليل
الابيلين لانه كان يزهد قدوة الرهبان كما مر بك
وقد عظموا ليلة مولد المسيح فدعوها ليل التمام . قال في اللسان (في مادة تم
١٤ : ٣٣٤) : « قال عمرو بن شميل : ليل التمام اطول ما يكون من الليل . . قال
الاصمعي . . ويطول ليل التمام حتى تطلع فيه النجوم كلها وهي ليلة ميلاد عيسى . . .
والنصارى تعظمها وتقوم فيها »

ولم يذكرنا فقط السيد المسيح بل ذكروا امه مريم العذراء كما رأيت . وذكرنا
القديس يوحنا الصابغ المتقدم امام وجهه وذكرنا تلامذته . وما روي عن (مريم
العذراء) بتوليئتها وبشارة الملاك اليها بابنها الالهي وجلبها الطاهر بابنها من الروح
القدس . ورد ذلك في القرآن وسبقه امية بن ابي الصلت فقال وفي قوله نظر لما
ادخله فيه من المزاعم المنقولة عن الاناجيل غير القانونية (راجع كتاب البد
للمقدسي ٣ : ١٢٣) :

وفي دينكم من رب مريم آية منبئة بالعبد عيسى بن مريم
انابت لوجه الله ثم تنبت فسبح عنها (١) لومة التلوم
فلاهي همت بالنكاح ولا دنت الى بشر منها بفرج ولا لم
ولطت حجاب البيت من دون أهلها تغيب عنهم في صحاري رميم (٢)

(١) سبَّح عنها اي أبعد عنها وترها

(٢) يقال لط الباب اذا أغلقه . ورميم عالم مكان . والريم ايضا الحشيشة المشوكة
المعروفة بالرمرام فنسب الصحاري اليها . يريد الشاعر ان مريم خرجت الى الصحراء وهناك
بشرها الملاك بمولد ابنها وهو قول استعاره الشاعر من مزاعم الكتبة غير القانونيين

بجارُ جا الساري اذا جنَّ ليلُهُ
تدلَّى عليها بعد ما نام اهلها
فقال : أَلَا تَجْزَعِي وتكذبي (٢)
أَنْبِي وأَعْطِي ما سُئِلْتُ فَأَنْبِي
فقلت لَهُ أَنَّى يَكُونُ ولم أَكُنْ
أَأَخْرَجُ بِالرَّحْمَانِ ان كُنْتَ مُؤْمِنًا
فَسَبِّحْ ثُمَّ اعْتَرَّهَا (٦) فَالتقت بِهِ
بِنَفْسِهِ فِي الصَّدرِ مِنْ جِيبِ دِرْعِهَا
فَلَمَّا أَتَمَّتْهُ وَجاءَتْ لَوْضِعِهِ
وَقَالَ لَهَا مَنْ حَوْلُهَا : جِئْتَ مُنْكَرًا
فَأَدْرِكُهَا مِنْ رَجَا ثُمَّ رَحِمَهُ
فَقَالَ لَهَا : إِنِّي مِنْ اللَّهِ آيَةٌ
وَأُرْسِلْتُ لَمْ أُرْسَلْ غَوِيًّا وَلَمْ أَكُنْ

وليس وان كان النهارُ مُعْلَمَـ
رسول فلم يَخْصُرْ ولم يَتَرَمَّرَمْ (١)
ملائكةً مِنْ رَبِّ عادٍ وَجَرَّتْهُمْ
رسولٌ مِنَ الرَّحْمَانِ يَأْتِيكَ بِأَنْبِـ (٣)
بَغِيًّا وَلَا حُبْلَى وَلَا ذَاتَ قِيمِـ (٤)
كَلَامِي فَأَقْعُدْ ما بدا لَكَ او قِمِـ (٥)
غَلَامًا سَوِيًّا الْخَلْقِ لَيْسَ بِشَوَّامِـ
وما يصرمُ الرَّحْمَنُ مِلَّ أَمْرٍ يُضَرِّمِـ (٧)
فَأَوَى لَهُمْ مِنْ لَوْعِهِمُ وَالتَنَدُّمِـ (٨)
فَحَقُّ بَأْنِ تُنَلِّجِي عَلَيْهِ وَتُرْجِيـ (٩)
بَصْدُقِ حَدِيثِ مِنْ نَبِيٍّ مَكْلَمِـ
وَعَلَّمَنِي وَاللَّهُ خَيْرُ مُعَلِّمِـ
شَقِيًّا وَلَمْ أُبْعَثْ بِفَحْشٍ وَمَأْتِـ

امَّا (يوحنا المعمدان) السابق امام وجه المسيح فقد شاع ذكره بين عرب
الجاهلية وقد رأيت ان احدى الكتابتين العربيتين السابقتين لعهد الاسلام كانت
على باب كنيسة في حوران مشيدة على اسم القديس يوحنا (راجع الصفحة ٧١ مع
رسم هذه الكتابة في الجدول ٦٨ - ٦٩) . وقد ذكر القرآن في سورة عمران

- (١) حَصِرَ قَصْرٌ عَنِ الْكَلَامِ . وَتَرَمَّرَمَ حَرَكُ شَفَتَيْهِ بِالْكَلامِ . يريد ان كلامه لم يكن
كمثل كلام البشر
- (٢) اي لا تخيبي ظنهم فيك
- (٣) أَعْطِي ما سُئِلْتُ اي ارْضِي بما يطلبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ . وابن تقيم ابن
- (٤) ذات قيم اي ذات زوج . والبيت ترجمة قول العذراء (لوقا ١: ٥) : «وكيف يكون
ذلك وانا لا اعرف رجلاً»
- (٥) خرج بالرحمان اي كفر والاصل مصحَّف بأخرج . والمعنى كيف آثمُ امام الرحمن .
فان صدقتَ قولي فيه وإلا فافعل ما بدا لك من إقامة او ذهاب
- (٦) اعترَّها اي اعترض لها . يشير الى قول الانجيل ان الروح القدس ظلَّ لها فحبلت
بنعمته وقوته بابنها المسيح دون زرع بشري . فالنفخة في صدرها مجاز
- (٧) صرَّمَهُ بَنَةً وَفَصَلَّهُ . وقوله «مِلَّ أَمْرٍ» اي من الامر
- (٨) في البيت تصحيف . والمعنى ان اليهود لما رأوا ابنها شكُّوا في برارتها . وهو زعمُ
من مزاعم اناجيل الزور ومثله قوله عن المسيح انه تكلم في المهد ليبرِّر والدته الطاهرة ورد
ذلك في انجيل الطفولية المصنوع
- (٩) لَمَّا بَكَتْهُ وَعَابَهُ فِي الاصل : بَأْنِ تُنَلِّجِي وهو تصحيف

(ع ٣٣ و ٣٤) ما روى عنه القديس لوقا في الانجيل من بشارة الملاك لابيه زكرياً ومن مولده العجيب ووصفه هناك بكونه «مصدقاً بكلمة من الله وسيّداً وحُصُوراً ونبيّاً من الصالحين» فاطراً ايمانه ورفعة مقامه وعفته ونبوته

والعرب يدعون يوحناً المعمدان باسم (يحيى) وهو ايضاً مع اسم عيسى احد الغارز التبديل التي لم يذكر اللغويون سببها . ومن المعلوم ان يوحناً اسم عبراني مركّب من كلمتين «يوحَنَن» (יוחנן) او «يهوحنن» (יהוחנן) اي حنّ الله وترحم ومنه السريانية **ܝܘܚܢܢ** فكيف اذن قلب بيحيا . على رأينا ان الاسم قد تصخّف في العربية وذلك انه كان في الاصل «يُحَنَّا» فكتبوه قبل وضع النقط والحركات «محاً» فقرأوه «يَحْيَا» او يحيى . ولا نرى وجهاً آخر لتعليل هذا التغير الذي حدث كما نظنّ قبل الاسلام فجرى عليه المسلمون وهم يدعونه بيحيى بن زكرياً النبيّ او يحيى الحُصُور لعفاه عن النساء . وقد ورد اسم يحيى في الشعر الجاهليّ كما سترى

(والحواريّون) تلاميذ السيّد المسيح عند العرب وقد اختلفوا ايضاً في اصل هذه اللفظة فقال البعض ان معناها القصار لانّ رسل المسيح كانوا يقصرون الثياب وهو قول لا سند له اذ لم يُعرف احد من الرسل بمزاولة القسارة . وقال غيرهم هو من الحوَر اي شدة بياض العين في شدة سوادها قالوا دعوا بذلك لصفاء نيّاتهم وقيل بل لأنّهم كانوا صفوة الانبياء (راجع لسان العرب في مادة حور) . وان صحّ ذلك يكون اشتقاق الكلمة من السريانية **ܡܚܘܪܐ** اولى ومعناها الابيض والصافي البياض والنقي . والصواب ان اللفظة حبشية **ሐዋርያ** (حواري) ومعناها الرسول . وما لا ريب فيه ان اللفظة سبقت الاسلام . وقد جاءت في القصائد المعروفة بالاصمعيّات (ص ٧٥ Ahlwardt) في بيت للضائب بن الحارث بن اوطاة البرجميّ يشير الى رغبة رسل المسيح في الموت لاجل سيّدهم استشهاده:

وكرّ كما كرّ الحواريّ يتّقي الى الله زُلْفَى أَنْ يَكُرَّ فَيُقْتَلَا (١)

وقال السموّءل يذكر الحواريّ (راجع طبعتنا لديوانه ص ١٢):

وُسَلَيْمُنَ والحواريّ يحيى ومثى يوسف كَأَنِّي وَلَيْتُ

يريد بالحواريّ يحيى على ما نظنّ يوحناً الحبيب وكذلك ذكر مثى الرسول فخفف .

أما « يوسف » فلعله يوسف المعروف بابخي الرب (متى ١٣ : ٥٥) او يكون يوسف اسم ابي متى كانه اراد متى بن يوسف وموث الحواريين (الحواريات) قالوا هن نساء الأُمصار لبياضهن . قال ابو جلدة وهو مسهر بن النعمان الشكري (لسان العرب ٥ : ٢٩٩) :

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَكِينٌ غَيْرُنَا وَلَا تَبْكِينَ إِلَّا الْكَلَابُ النُّوَاجِ
بَكِينَ الْيُنَاخِيفَةُ إِنْ تُبَيِّحَهَا رِمَاحُ النَّصَارَى وَالسُّيُوفُ الْجَوَارِحُ

(قال) : « جعل اهل الشام نصارى لانها تلي الروم وهي بلادها »

٥ مفردات نصارى العرب الدالة على رؤسائهم ورهبانهم

وكان للنصارى في جزيرة العرب كما في بقية البلاد نظامهم الديني ورؤسائهم من رؤساء ومروسين يسوسهم الرعاة وزعماء الدين . ويمتاز بينهم العباد والمنقطعون لخدمة الله في الرهبانية . والدليل على ذلك الفاظ متعددة وردت في آثار عرب الجاهلية تشهد على قولنا شهادة واضحة
فن الفاظهم التي استعملوها للدلالة على رئيس النصارى (الأبييل) وقد اتخذوه للدلالة على السيد المسيح كما ورد في البيت المنسوب للاعشى ولاخطل ولابن عبد الجن :

وما سبَّح الرهبان في كلَّ بيعةٍ ايلُ الايلين المسيحُ بن مريما

قال في لسان العرب (١٣ : ٦) « وكانوا يعظمون الأبييل فيحلفون به كما يحلفون بالله . وهذه اللفظة سريانية أصلها (من فعل أحاح) اي ناح وبكى على خطاياها) ومعناها في السريانية الزاهد والناسك والراهب وكانوا يتخذون عادة رؤسائهم من الرهبان المتبتلين

ومن الفاظهم الخاصة برئيس النصرانية « البطرک » « والبطرک » على ما جاء في التاج (٧ : ١١١) قال : « هو مقدم النصارى . وقال : البطرک هو البطريق ومنهم من جعل البطريق مقدم جيش الروم » والصواب ان البطرک كلمة يونانية (Πατριάρχης) معناها ابو الآباء اما البطريق فلفظة لاتينية (Patricius) . وقد جاء اللفظان في الشعر القديم قال الراعي يصف ثورا (لسان العرب ٧٢ : ٢٨١) :

يملو الظواهر فردًا لا أليف له مَشِيَ البِطْرُكُ عليه رَبَطُ كَتَّانٍ

وقال اميَّة بن ابي الصلت في البطريق (التاج ٦ : ٢٩٦) :

من كل بِطْرِيقٍ لِبِطْرِيقٍ نَقِيَ الوجوه واضحُ

وكذلك انشد ابن برِّي (اللسان ١١ : ٢٠٣) :

فلا تتكروني ان قومي اعزَّةُ بطارقةُ ييضُ الوجوه كرامُ

ومن الفاظهم (الجاثليق) وهو دون البطرك واصل الكلمة من اليونانية ومعناها المسكوني (Kαθολικός) وقد استعملوه لرؤساء النساطرة والارمن قال صاحب القاموس : « هو رئيس للنصارى في بلاد الاسلام بمدينة السلام . . . ويكون تحت يد بطريق انطاكية ثم المطران تحت يده ثم الاسقف يكون في كل بلد من تحت المطران ثم القسيس ثم الشَّاس » . وقد ورد اسم الجاثليق في شعر بكر بن خارجة (معجم البكري ص ٣٧١) :

بِمارَةٍ مريم وبدير زكَّى ومَرُّ توما ودير الجاثليق

امَّا (المَطْران) فأصلها على هذه الصورة من السريانية **ܡܬܪܐܢ** او **ܡܬܪܐܢܐ** (**μετροπολίτης**) والسرمان اختصروها من **ܡܬܪܐܢܐ ܡܬܪܐܢܐ** اليونانية (**μετροπολίτης**) ولم نجد لها في الشعر القديم

واشيع من المطران عند العرب (الأُسقف) زعم ابن السكيت انه مشتق من السَّقْف اي طول في انحناء وهو تأويل غريب . والصواب انه مشتق من اليونانية (**ἐπίσκοπος**) بواسطة السريانية **ܐܦܝܫܩܡܐ** . وقد وردت اللفظة في الكلام القديم . روى ابن سعد في كتاب الوفود في شروط محمَّد الى اهل نجران : « لا يغيَّر أُسقف عن اسقفيَّته ولا راهب عن رهبانيَّته ولا واقف عن وقفانيَّته » . وكذلك روى البكري في معجم ما استعجم للحسين بن الضحَّاك يصف دير العُمر (ص ٢٦٩) :

عجَّت اساقفها في بيت مذهبها وعجَّ رهبانها في عرصة الدار

ومن الفاظهم الدالَّة على رؤساء النصارى (الحَبْر) ويقال الحَبْر واصلها العالم ثم خُصَّوها بكبير النصارى واستعملوها ايضاً لغيرهم . قال ايمن بن خُرَيم يذكر خمر التقديس (الاغانى ١٦ : ٤٥) :

ولم يشهد القسُّ المَهِينِمْ نارَها طروقًا ولا صلَّى على طبخها حَبْرُ

وجاء في الجمهرة :

او زُبُر حَمِيرَ يَنْهَا اِحْبَارُهَا بِالْحَمِيرَةِ فِي عَسِيرِ ذَابِلٍ

وروى ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٣٨٥) قول الشاعر :

لَوْ كُنْتُ مَرَحَّشًا فِي الْقُوسِ أَفْتَنَنِي مِنْهَا الْكَلَامُ وَرَبَّانِيَّ أَحْبَارِ

قال ابن هشام : القوس صومعة الراهب والرباني مشتق من الرب اي السيد ومثله الخبر بمعنى « السيد العالم » . وجاءت الخبر بمعنى العالم من اليهود او كبيرهم ومنه كُتِبَ الْأَحْبَارُ . ويشبهه قول الشماخ (اللسان ٥ : ٢٢٩) :

كَمَا خَطَّ عِبْرَانِيَّةً يَمِينِهِ بَلْتِمَاءَ حَبْرٍ ثُمَّ عَرَضَ اسْطَرَا

وكما دُعي رؤساء النصارى بالأحبار دعوهم ايضاً (بالأرباب) . قال حميد بن ثور (المخصص ١٢ : ٨٧) يصف بعيداً يطأطيء برأسه ليركب :

فُضُولَ اِزْمَتِهَا أَسْجَدْتُ سَجُودَ النِّصَارَى لِأَرْبَابِهَا

وروى في التاج (٢ : ٣٧١) : « لأحبارها »

ومن الالفاظ المختصة برئيس النصارى عند العرب (الساعي) . قال في التاج (١٠ : ١٨٧) : « الساعي لليهود والنصارى رئيسهم الذي يصدر عن رأيه ولا يقضون امراً دونه . وبالمعنيين فُتِرَ حديث حذيفة في الامانة : ان كان يهودياً او نصرانياً ليردنه على ساعيه »

ومما ذكره اللغويون (العَسْطُوس) قال في التاج (٤ : ١٩٢) : « هو رأس النصارى واللفظة روميّة » لم يمكننا ردّها الى اصلها ولعلها مصحّفة

ومنها (القس) شرحه اصحاب المعاجم برئيس من رؤساء النصارى في الدين والعالم واللفظة سريانية **صُحْلَا** اي شيخ وتأني على وزن فَعِيل **صُحْلَا** ومنها القسيس في العربية . قال جرير في القس (العرب للجواليقي ص ٣٩) :

صَبَّحَنُ ثُمَاءَ وَالنَّاقُوسُ يَقْرَعُهُ قَسُّ النِّصَارَى حَرَّاجِيحًا بِنَا تَجِفُّ

قالوا ثُمَاءَ من اعمال دمشق . ورواية معجم المستعجم للبكري (١ : ٢١٥) :

ثُمَاءَ . قال ثُمَاءَ ماء لكندة . وروى في لسان العرب (١٤ : ٣٤٣) : « صَبَّحَنُ

تَيْمَاءَ » . ومن الشواهد في القس قول الراجز (اللسان ٨ : ٥٨) :

لو عرَضْتُ لأَيُّبِي قَسْرَ أَشْعَثَ فِي هَيْكَلِهِ مُنْدَسَّرَ حَنِّ الْبَاهِ كَحَنِّنِ الطَّسَّرِ
ومنه اسم قس بن ساعدة خطيب العرب واسقف نجران . ومما ورد في القسيس
قول عبدالله بن زبير لحَجَّار بن ابجر العجلي (الاغاني ١٣ : ٤٧) يقرّعه في
نصرانيته :

وعندك قسيسُ النصارى وُصِّلَها وَغَانِيَهُ صَهْبَاءُ مِثْلَ جَنَى النَّحْلِ

وجمعه على قساقسة . قال امية بن ابي الصلت (التاج ٤ : ٢٠٧) :

لو كان مُنْفَكْتُ كَانَتْ قَسَاقِسُهُ بِحَيْمِ اللَّهِ فِي اِيْدِهِمُ الرُّبْرُ

والاسم من القس (القسيسية والقُسوسة) وفي الحديث « لا يَغَيِّرُ قَسِيسٌ مِنْ
قَسِيسِيَّتِهِ » واللفظة مشتقة من السريانية **ܩܨܝܣܝܬܐ** وبني منها العرب فعل قَسَسَ
ودون القس (الشماس) عرفه ابن سيده في المخصص بقوله (١٣ : ١٠٠) :
« من رؤوس النصارى يخلق وسط رأسه ويلزم البيعة » . واللفظة سريانية **ܩܨܝܣܝܬܐ**
اي خادم البيعة . وقد تسمى بعض العرب بالشماس كما ورد في الاشتقاق لابن دريد
(٢٦٨) وفي حماسة ابي تمام (ص ٢٥٥) . وجمعها خَلَفُ بن خليفة (كتاب الشعر
والشعراء لابن قتيبة ص ٤٤٨ ed. Goeje) على شماميس فقال :

كَأَنَا شَمَامِيسُ فِي بَيْعَةٍ تُقَسِّسُ فِي بَعْضِ عِيدَانِهَا

وجمعها البحاري على شمامس حيث قال (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٨٣) :

بين شمامس وقسوس

ومن الالفاظ التي وردت في المعاجم لرتب النصارى الواقف والوافه والواهف .
(فالواقف) على ما ورد في لسان العرب والقاموس والتاج خادم البيعة مشتقة من
وَقَفَ النصراني وُقِفَى اذا خدم البيعة ونقل في التاج (٢٦٩ : ٦) الحديث في
كتاب محمد لاهل نجران « ان لا يُغَيَّرَ واقِفٌ مِنْ وَقِيفَاهُ » (قال) : « الواقف خادم
البيعة لانه وقف نفسه على خدمتها » . وروى ابن سعد (٧٧ ed. Wellhausen)
« من وقفانيته » . و (الوافه) قد عرفوه « بَقِيمِ البيعة التي فيها صليب النصارى بلغة
اهل الجزيرة » (التاج ٩ : ٤٢١) . وروى الحديث السابق : « لا يَغَيَّرُ وَاْفَهُ مِنْ
وَقْفِيَّتِهِ » . والوافهة كالوفية والواقه بالقاف كالوافه وروى الحديث ايضاً : « ولا واقه
من وقاهيته » . ومثلها (الواهف) قال في التاج (٦ : ٣٧٣) : « الواهف سادن

البيعة التي فيها صليبهم وقيمها كالوافه وعملها الوهافة بالكسر والفتح والوهفنة والهفنة . وقد وهف يهف وهفاً وهافة . وقال ابن دريد في المخصص (١٣) :
(١٠٠) : « الوافه مقلوب عن الواهف »

ومثل الوافه (السَّاعور) شرحها في التاج (٣ : ٣٦٨) : « مقدّم النصارى في معرفة علم الطبّ وادواته واصله بالسريانية ساعورا ومعناه متفقّد المرضي » . والساعور (صَحْهْؤَل) في عهدنا تُقال في الجزيرة لقيم البيعة وفي مصطلح السريان يُراد بها المدبر والزائر مطلقاً

واكثر ما تعدّد عند العرب من المفردات النصرانية الالفاظ الدالة على الرهبان ومساكنهم . فمنها (الأبييل) التي مرّ ذكرها ومعناها الزاهد والراهب . وقد ذكرنا اصلها السرياني . ومن غريب التأويل ما ذكره في التاج (٧ : ١٩٩) : « الابيل الراهب سُمي به لِتَأْبَلِه عن النساء وترك غشيانهنّ قال عدي بن زيد :
أتني والله فأقبل حلفني بأيل كلّما صلّى جازّ

وقال ابن دريد : هو ضارب الناقوس وانشد :

« وما صكّ ناقوس الصلاة ايّلها »

ومثل الأبييل (الأَيْبِلِيّ والأَيْبِلِيّ والهِبْلِيّ) وكلّها بمعنى واحد اي الراهب ولعلّها مقلوبة عن الابيل . قال الاعشى :

وَمَا أَيْبِلِيٌّ عَلَى هَبْكَرٍ بَنَاهُ وَصَلَّبَ فِيهِ وَصَارَا

واشهر من الابيل والايبليّ (الرَّاهِب) فأكثر من ذكره شعراء العرب قال الاعشى (تاج العروس ١ : ٢٨٠) يحلف بمسوح الرهبان والكعبة :

حلفتُ بثوْبِي رَاهِب الدِيرِ وَالتّي بَنَاهَا قُصَيٌّ وَالْمُضَاضُ بْنُ جُرْهُمٍ

اراد بثوبيه مسحيه كما قال جرير (التاج ٨ : ٦٩ وسيرة الرسول ٣٨٥) :

لَا وَصَلَ إِذْ صَرَمْتُ هَنْدٌ وَلَوْ وَقَفْتُ لَا سَفَنَتْنِي وَذَا الْمَسْحَيْنِ فِي الْقُوسِ

وروى البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨٩) بيت الاعشى : « بثوْبِي رَاهِب الطُور » وروى ايضاً « وثوْبِي رَاهِب الأُسْجَرِ » (راجع المفضليات (ص ٤٨ ed. Lyall) واردف البكري قائلًا : « قيل انه اراد المسيح عليه السلام

بقوله رَاهِب اللّج . . . والتي بناها قُصَيٌّ يعني مَكَّة »

وكان رهبان جزيرة العرب يسكنون في التلال واعالي الجبال كما يشهد عليه
بيت انشده ابن الاعرابي (التاج ١ : ٢٨١) :

لو كَلَمَتْ رَهْبَانٌ دَيْرَ فِي الْقُلْ لَانْخَدِرَ الرَّهْبَانُ يَسْعَى فَتَرَلْ
قالوا الرهبان هنا مفرد كالراهب . وقال ربيعة بن مقروم الضبي يصف مقام
الراهب ونسكه (الاغاني ١٩ : ٩٢) :

لو اخا عرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ فِي رَأْسِ مُشْرِفَةِ الذُّرَى مُتَبَلِّ
جَنَّارٍ سَاعَاتِ النَّيَامِ لِرَبِّهِ حَتَّى تَحْدَدَ لَحْمُهُ مُتَشَمِّلِ
لَهَبًا لِيَهْجَتَهَا وَحَسَنَ حَدِيثِهَا وَلَهُمْ مِنْ نَاقُوسِهِ يَتَنَزَّلِ

والمتشمل المتغني في تلاوة الزبور . قال الراعي (معجم البلدان ٤ : ٥٠١) :
وسرب نساء لو رآهن راهب له ظلة في قلة ظل رانيا

يقال رنا اليه اي طرب لحديثه . وثما وصفوه وافاضوا في ذكره مصباح الراهب
الذي يوقده ليلاً لصلاته فيرى عن بعد ويستهدي به طارق الليل . قال امرؤ القيس في
معلقته يصف لمعان البرق ويشبهه بسراج الراهب عند صبه الزيت على القتيلة ليذكيه :

أَصَاحَ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَمِضَّةً كَلَمَعَ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ . كَلَّلِ
بُضِي سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ أَمَالَ السَّلِيطَ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلِ

ومثله قول كثير (اللسان ١٥ : ١٧٩) :

أَوْ مَصَابِيحَ رَاهِبٍ فِي يَفَاعٍ سَفَمَ الزَّيْتَ سَاطِعَاتِ الذُّبَالِ

وقال امرؤ القيس (راجع ديوانه في العقد الثمين ص ٢١) :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقُفَالِ

قال الشراح : القفال عباد النصارى لانهم قفلت جلودهم اي يبست من العبادة .

وقال المزرد اخو الشماع (عن ديوانه المخطوط) :

كَأَنَّ شَمَاعَ الشَّمْسِ فِي حُجُرَاتِهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ زَهْنُهَا الْقُنَادِلُ

وذكروا لبس الرهبان للسواد قال الاعلم (في الهذيليات ص ٥٧) يصف

قمة جلد الضباع :

سُودٍ سَحَالِيلَ كَأَنَّ جُلُودَهُنَّ ثِيَابُ رَاهِبٍ

وقد وصفوا الرهبان بالمتبتل . قال امرؤ القيس (ديوانه ص ١٤٨) :
 تُضي الظلامَ بالمشاء كأنها منارةٌ تُحمسى راهبٌ مُتبتلٌ
 والصَّرورة مثل المتبتل (١) قال النابغة الذبياني (ديوانه في العقد الفريد ص ١١)
 لو أنما عرضت لأشعث راهبٍ عَبدَ الآلهِ صَرورةٌ متعبِدِ
 لَرنا لروئيتها وحسن حديثها ولحالهُ رُشدًا وان لم يرشدِ
 كذلك وصفوا صلاة الرهبان في ليلهم وتشعث لمتهم زهدًا واصوامهم . قال
 منظور الاسدي (راجع تهذيب الالفاظ لابن السكيت ص ٤١٢) لسان العرب
 : (١٣ : ٦)

كَأَنَّ مَهْوَاهُ عَلَى الْكَائِكَلِ مَوْقِعُ كَفِّيْ رَاهِبٍ يَصَلِّي
 بِبَازِلٍ وَجَنَاءٍ أَوْ عَيْهَلٍ فِي غَبَشِ الصُّبْحِ أَوْ التَّتَلِّي
 وقال الآخر (اللسان ١٤ : ٨٩) :

عن راهبٍ متبتلٍ متقهِّلٍ صادي النهارَ ليلِهِ متعجِّدٍ
 القَهْلُ يُبْسُ الجِلْدَ مِنَ الْعِبَادَةِ . والتهجُّدُ السهرُ للصلاة . وكانوا يتلون الزبور
 خصوصاً في صلاتهم كما قال امرؤ القيس يصف رسوم الدار (ديوانه في العقد الثمين
 ص ١٦١) :

أَنْتَ حَجِجٌ بَعْدِي عَلَيْهِ فَأَصْبَحْتُ كَخَطَرِ زُبُورٍ فِي مَصَاحِفِ رَهْبَانٍ
 وكما افاضوا في ذكر الرهبان كذلك بينوا منازلهم في بلاد العرب فخصوا منها
 بلاد مَدْيَنَ قال كثير عزة (معجم البلدان لياقوت ٤ : ٤٥١) :

رَهْبَانُ مَدْيَنَ وَالَّذِينَ عَهْدُهُمْ يَكُونُ مِنْ حَذَرِ الْعَقَابِ قُودَا
 لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا خَرُّوا لِعِزَّةِ رُكَّعًا وَسُجُودَا

وقال جوير (ياقوت ٤ : ٤٥١) :

رَهْبَانُ مَدْيَنَ لَوْ رَأَوْكَ تَتَرَّلَوْا وَالْعُصْمُ مِنْ شَعَفِ الْجِبَالِ الْقَادِرِ
 وكذلك خصصوا وادي القرى كناسك للرهبان قال جعفر بن سراقه احدي بني
 قُرَّة (الاغاني ٧ : ١٠١) :

فَنَحْنُ مِنْعَا ذَا الْقُرَى مِنْ عَدُونَا وَعَذْرَةٌ إِذْ نَلْقَى جُودًا وَبَعْدًا

(١) وفي الحديث . « لا صرورة في الإسلام » قال الزجاجي معناه التبتل وترك النكاح

منعاهُ من عليا معدٍ واتمَّ سفاسيفُ روحٍ بين قرحٍ وخينبرا
فريقانِ رهبانٍ^١ بأسنل ذي القرى وبالشام عرافون فيمن تنصراً

وكذلك عيّنوا موزن وهو بلد بالجزيرة في ديار مضر كاحد مناسك الرهبان.
قال كثير (راجع التاج ٣ : ٤٩٩ وياقوت ٤ : ٦٨٠) :

كَاتَّهْمُ قَصْرًا مَصَابِيحُ رَائِبٍ بِمَوْزَنَ رَوَى بِالسَّيْطِ ذُبَا لَهَا
هـ اهل الواح السرير ويمنه قرايين اردافا لها وشالها

قصرًا اي عشياً . والسليط الزيت كما مر . وعدد صخر الغي (لسان العرب
٩ : ٢٧ والتاج ٥ : ٢٨٣ والهديليات ص ١٣) امكنة اخرى يسكنها الرهبان
كبلاد الروم ومنازل تنوخ وصوران وزبد . قال :

والله لو اسمعتُ مقالَتَهَا شيخاً من الشُعْثِ رَأْسُهُ لَبَدُ
مَأْبَهُ الرُّومُ او تنوخ او م الاطام من صوران او زبد
لَفَاتَحَ الْبَيْعَ يَوْمَ رَوَيْتَهَا وكان من قبلُ يَبْعُهُ لَكَدُ

فذكرهم للرهبان في كل هذه الامكنة يؤيد قولنا في القسم الاول عن شيوع
النصرانية في انحاء جزيرة العرب

وكانوا يدعون الرهبان بالحسباء . و (الحليس) في المعاجم المحبوس في سبيل الله
اي المفرز لذلك فيقولون حبس الله (١)

وكذلك دعوا الرهبان (بالحنفاء) . وقد مرّ لنا كلام في الحنيف في القسم الاول
من كتابنا (ص ١١٩) حيث اثبتنا ان الحنيف جاءت بمعنى الراهب . كفى شاهداً
على ذلك قول صخر الغي في الهديليات (ص ٤٥ ed. Kosegarten) :

كَأَنَّ تَوَالِيَهُ بِالْمَلَا نصارى يساقون لاقوا حنيفا

ومن اسماء الراهب عند العرب (الدَيْرَانِي) قالوا انه صاحب الدير نسبةً اليه
على شذوذ والصواب انه من السريانية وَمَنْعُمِل . ومنها ايضاً (الرَبِيط) قال
الزجاجي : هو الراهب . وفي التاج (٥ : ١٤٣) : « الرَبِيط الراهب والزاهد والحكيم
الذي ظلف اي ربط نفسه عن الدنيا اي سدها ومنعها » . ومنها (الجَلَاذِي) و (الجُلْدِي)

قال في التاج (٥٥٧ : ٢) هو خادم البيعة والراهب والجمع الجلاذي بفتح الاول
وقد ورد في الشعر القديم قال تميم بن مقبل :

صوتُ النواقيس فيه ما يفرطهُ ايدي الجلاذيّ جونٌ ما يعفينا
كانَ أصواتها من حيث تسمعها صوت المحارث يخلجن المحارينا

وروي البيت الاول : « الجلاذي وجون ما يعفينا » والثاني : « صوت المحابض
ينزعن المحارينا »

ومن اسماء الراهب ايضاً (النهامي) جاء في المخصّص لابن سيده (١٣ : ١٠٠) :
« النهامي في قول ابن الاعرابي الراهب لانه ينهم اي يدعو . ومن المحتمل انها
مستعارة من السريانية **ܢܗܡܐ** اي الباكي والزاهد كما قالوا الابليل . او هي مشتقة
من الحبشية كما ارتأى العلامة نولدك (Beitraege, p. 56) وجاءت اللفظة في
الشعر القديم قال الاسود بن يعفر (لسان العرب ٢٠ : ٦٦) :

وقالوا شريس قلتُ يكفي شريسكم سنانٌ كنبراس النهامي مفتحٌ
نمتُهُ العصا ثم استمرّ كأنه شهابٌ بكفي فارسٍ يتحرّقُ

وقد رأيت انهم دعوا الراهب (بالأشعث) لتشعث لمتّه قال الشاعر (لسان
العرب ١٩ : ٣٤١ راجع ايضاً المفضليات ص ٤١١) :
وأشعثَ عنوانٌ به من سجوده كبرُ كبةٍ عتّر من عنوز بني نصرٍ
وقال صخر الغي :

شيخاً من الشعث رأسه لبدٌ

وقد سمّوا الراهب (المقدّس) اذا زار بيت المقدس كما قال امرؤ القيس يصف
ثوراً ادركتهُ الكلاب فقطعت جلده :

فأدركنه يأخذن بالساق والنساء كما شبرق ولدان ثوب المقدس

قال في اللسان (٨ : ٥٠) شبرق جلده اي قطعه . يقول قطعه الكلاب كما
شبرق ولدان النصارى الراهب الذي يحيى من بيت المقدس فقطعوا ثيابه تبركاً
وكانوا يتبرّكون به وبمسحه الذي هو لابسهُ واخذ خيوط منه حتى يتمزق ثوبه وقيل
المقدس الجبر .

ومن اسماء الراهب عندهم (المتعبّد) قال ابن سيده (١٣ : ١٠٠) : « هو

المنقطع في الصومعة » وقد مرّ في الشعر

وقد ابتنوا من الراهب اسماً فقالوا « الرهبانية » ومنه ما ورد في سورة الحديد (ع ٢٧) : « وقفنا بعيسى بن مريم واتيناها الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله »
وكما ذكروا الراهب ذكروا (الراهبة) وجمعوها الرواهب . قال امرؤ القيس (العقد الثمين ص ١١٨ والتاج ٤ : ٤٣) :

فَأَنْتِ سُرْبًا مِنْ بَعِيدٍ كَأَنَّهُ رَوَاهِبٌ عَيْدٍ فِي مَلَأٍ مُهَدَّبٍ

ودعوا الراهبة ايضاً (بالدَيْرَانِيَّة) وردت اللفظة في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٢٢٩) وفي معجم البكري (٣٧٧) . ودعوا الرواهب ايضاً (بالعداري) ومنه عدة اديرة وصفها العرب وسموها اديرة العداري (راجع البكري ص ٣٧٦ وياقوت في معجم البلدان ٣ : ٦٧٨) ومنه صوم العداري « للعداري النصرانيات من العرب سُكراً لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار » (الآثار الباقية للبيروني ص ٣١٤)

وعلى ظننا ان (الحَوَارِيَّات) ارادوا بها ايضاً العداري الرواهب قال مسهر الشكري (اللسان ٥ : ٢٩٩) :

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَكِينٌ غَيْرُنَا وَلَا تَبْكِيَنَّ إِلَّا الْكَلَابُ النُّوَاجِ

ويلحق باسم الراهب « المحرر والنذيرة » ورد ذكرهما في المخصص (١٠١ : ١٣) في باب الرهبانية ونحوها قال : « هما الابن أو الابنة يجعله ابواه قِيماً وخادماً للكنيسة وانما كان يفعل ذلك بنو اسرائيل كان رباً وولد لاحدهم ولد فخره اي جعله نذيرة في خدمة الكنيسة ما عاش لا يسعه تركها » . وقد وردت لفظة المحرر في القرآن عن لسان والدة العذراء مريم فقال (سورة آل عمران ٣ : ٣١) : « اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً » . والنذيرة من العبرانية נָזִיר اي المنذور للرب

وهذه الفاظ أخرى نودفها باسماء الرهبان وردت ايضاً في لغة اهل الجاهلية منها

(السائح) بمعنى الراهب المتفرد في الاقفار ذكرها ابن هشام في سيرته (ص ٢٠)

عن أوّل داعٍ للنصرانيّة في نجران . وذكرها المؤرخون عن نعمان ملك الحيرة لما ساح في الارض بعد تنصره وزهده . والاسم السياحة قال في التاج (١٦٨ : ٢) :
« السياحة والسيوح والسيحان والسيح الذهاب في الارض للعبادة والترهب » (قال) :
ومنهُ المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في بعض الاقاويل لانه كان يذهب في الارض فاينما ادركه الليل صفّ قدميه وصلى حتى الصباح « وقد مرّ بك ان هذا الاشتقاق ليس بصواب

ومنها (الناسك) وهو المتعبّد المتقرب الى الله بالصوم والصلاة واعمال البرّ اطلقها العرب على الراهب . والاسم النّسك بتثنية اولها
وكان الرهبان يخلقون وسط رأسهم وهي (القوّة) والرجل مقوّق . جاء في كتاب الاضداد (ص ١٣٢ . وفي اللسان ١٢ : ٢٠٠) :

أُجِما القسُّ الذي قد حَلَقَ القوّةَ حَلَقَهُ
لو رأيتَ الدفَّ منها لنسقتَ الدفَّ نَسَقَهُ

ومنها (الحازي والعرّاف والكاهن) وهي الفاظ التبت عليهم فتردّدوا في معانيها . ولا شكّ انها أطلقت ايضاً على نصارى الجاهلية . فالحازي عندهم « الكاهن والعائف والعالم بالامور » (راجع التاج في المادّة) واللفظة معرّبة من العبرانيّة (חזן) اي الناظر والنبي او مأخوذة من السريانيّة مُملاً او مُملّماً اي المتفقد والناظر والحكيم ارادوا بها رئيس الدين لحكمته ولعلّها ترجمة اليونانيّة (ἐπισκοπος) بمعنى الناظر اي الاسقف والراعي الديني

وكذلك (العرّاف) ارادوا بها الساحر والنبى بالمستقبل عموماً . وقد خُصّوا بها النصارى قال جعفر بن سراقه في شعر مرّ ذكره (ص ٥٩٨) :

فريقانِ رهبانِ بأَسفلِ ذي القري وبالشامِ عرّافون فيمن تنصّرا

ومثلهما (الكاهن) فإنّها وردت بمعنى مدّعي معرفة الاسرار والمتعاطي اخبار الكائنات في الماضي والمستقبل . والاسم الكهانة . لكن للكاهن معنى آخر لم يجهله العرب في الجاهليّة يزيد به معنى خادم الدين ومقرّب الاقداس للاله وهو معناها في العبرانيّة כהן وفي الآرامية كُهل فلا بُدّ من القول انّ العرب استعاروه منهما

للدلالة على كهنة اليهود والنصارى وقد رأيت في فصولنا السابقة عن تاريخ

النصرانية في جزيرة العرب شيوع هذا الدين في كل انحاء العربية . والدين المسيحي لا يقوم الا بالنظام الكنسي اي بوجود اساقفة وكهنة ومنه يتضح انهم لم يريدوا بلفظة الكاهن السخرة والمشعوذين فقط بل اخذوها ايضاً بمعناها الخاص اي راعي الدين القويم وخادم الاسرار المقدسة وان لم ينصوا عليه . وقريب منه قول صاحب لسان العرب (١٧ : ٢٤٥) : « العرب تسمي كل من يتعاطى علماً دقيقاً كاهناً ومنهم من كان يسمي المنجم والطبيب كاهناً » فطبيب الارواح احق به من سواه . وفي تاريخ عرب الجاهلية اخبار بعض الكهّان الذين دعوا الى الله وردّوا عن المنكر وارشدوا الى الخير ما يدل على انهم كانوا ارفع مقاماً من السخرة

٦ مفردات نصارى الجاهلية الخاصة بكنائسهم واقداسها

سبق لنا عدة الفاظ مشتركة استعمالها نصارى العرب لمناسكهم وعباداتهم كما سبقوا غيرهم الى استعمالها كالمسجد والكعبة والحراب والمذبة . ولهم الفاظ أخرى خاصة بهم تجري عندهم حتى اليوم وكانت شائعة قبل الاسلام كما ستري منها (الكنيسة) وهي لفظة سامية معناها المجمع عبرانيّتها כנסייה وسريانيّتها **كنيسة** فانت بمعنى محل صلاة اليهود والنصارى ومنهم من يجعل الكنيسة للنصارى والكنيس لليهود . ومن الشواهد على استعمال اللفظة قديماً لمعبد النصارى قول جرير يهجو بني تغلب النصارى (الكامل للمبرد ص ٤٨٥ ed. Wright) :
ما في مقام ديار تغلب مسجد وجه كنائس خنتم ودنان

(قالوا) الختم الحرف الاخضر

واشيع منها لفظة (البيعة) وهي سريانية **كحملة** ومعناها البيضة والقبّة اشارة الى شكل بناء الكنائس قديماً وذكرها مكرراً في الشعر الجاهلي . قال ورقة ابن نوفل (الاغاني ٣ : ١٦) :

اقول اذا صليت في كل بيعة تباركت قد اكثرت باسك داعيا

ومثله للزبرقان بن بدر التميمي لما وفد على نبي المسلمين (سيرة الرسول لابن

هشام ص ٩٣٥) :

نحن الكرام فلاحي ياد لنا منّا الملوك وفينا تُنصبُ البيعُ

واقدم منهما قول لقيط بن مَعْبِد في عَيْنَيْهِ التي وجهها الى قومه ليحذّره من كسرى ذي الاوتاد (مختارات شعراء العرب لهبة الله العلوي ص ٢ وتاج العروس ٥ : ٢٨٥) :

تَامَتْ فَوَّادِي بَذَاتِ الْخَالِ خَرَّعَبَةٌ مَرَّتْ تُرِيدُ بَذَاتِ الْعَذْبَةِ الْبَيْعَا

(قال) : ذات الخال وذات العذبة مكانان . ويروى : بذات الجذع . وروى في التاج « نامت .. خرعته » وهو تصحيف . ومثله قدماً قول عبد المسيح بن بقلية (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٦٥١) :

كَمْ تَجَرَّعْتُ بِدَيْرِ الْجَرَعَةِ غَصَصًا كَبْدِي جَا مُنْصَدَعَةً
مِنْ بَدْوٍ فَوْقَ اغْصَانٍ عَلَى كَثْبٍ زُرْنًا احْتِسَابًا يَبْعَةً

ومنها (القُلَيْس) قال في المَخْصَص (١٣ : ١٠٣) : « الْقُلَيْسُ بَيْعَةٌ كَانَتْ بَصْنَعًا لِلحَبْشَةِ هَدَمَتْهَا حَمِيرٌ ». واللفظة دخيلة اصلها من اليونانية Ἐκκλησία. وقد وصف قداماء الكتبة هذه الكنيسة باوصاف تدل على حسنها وفخامة بنائها وكان بانها الملك ابرهة (راجع ما نقلناه من اقوالهم في مجالي الادب ج ٣ ع ٤٠١ وج ٧ ص ١٢٩٦) ومنها (السعيدة) جعلها ابن سيدة (١٣ : ١٠٣) وياقوت (٤ : ٧٥٦) في جملة مناسك النصارى وقالوا عنها انها « بيت كانت تحجّه ربعة في الجاهلية » وقد مرّ بك ذكر تنصّر ربعة

واجلّ ما في البيعة (هَيْكَلُهَا) وهو صدرها حيث تُقام الصلوات والرتب واللفظة عبرانية כְּסֵדָה وآرامية ܡܚܠܐ وهي فيها بناء العبادة الكبير . والهيكل في العربية البناء العظيم واستعمل لكل كبير الجسم . قال التبريزي في شرح الحامسة (ص ٢٩) : « الهيكل اصله في البناء » . وقال في الاغاني : « الهيكل العظيم من الخيل والشجر . ومنه (?) سُتِي بيت النصاري الهيكل » . وقد ورد بهذا المعنى في الشعر الجاهلي . قال عنتره (راجع العقد الثمين ص ١٨١) :

نَمَشِي النَعَامُ بِهِ خَلَاءَ حَوْلَهُ مَشَى النَّصَارَى حَوْلَ بَيْتِ الْهَيْكَلِ

قال في المَخْصَص (١٣ : ١٠٤) : « الهيكل بيت النصارى فيه صورة مريم عليها السلام ... وَرَبَّجَا سُتِي بِهِ دِيرَهُمْ » وفي لسان العرب (١٤ : ٢٢٥) :

« الهيكل بيت النصارى فيه صورة مريم وعيسى » . وقال الاعشى (الاضداد ص ٢٤ ولسان العرب ٦ : ١٤٤) يذكر الهيكل :

وما ايليُّ على هيكل بناه وصلب فيه وصارا
ومثله قول الآخر وقد مرَّ :

وما قدس الرهبان في كلِّ هيكلٍ ايلُ الايلين المسيح بن مريم -
وفي الهيكل (المذبح) وهو محلّ التقديس والقربان . واصله محلّ الذبح
وتقدمة الذبيحة فاستعملوه مجازاً قال في التاج (٢ : ١٣٨) : « ومن المجاز المذابح
للمحاريب والمقاصير في الكنائس وبيوت كتب النصارى . سُميت بالمذابح للقرايين » .
وقال في اساس البلاغة (١ : ١٩٢) : « مرتُّ بمذابح النصارى وهي محاريبهم
وموضع كتبهم ونحوها المناسك للمعتقدات »

قال الحسين بن الضحَّاك (راجع معجم البكري ص ٣٦٩) :

عجَّت اساقفُها في بيت مَذْبَحا وعجَّ رهبانُها في عرصة الدارِ

وكان للكنائس (محاريبها) وقد مرَّت . واخص ما كانوا يزينون به هياكلهم
(الصليب) تنويهاً بموت السيد المسيح مصلوباً . وقد تكرر ذكره في الشعر الجاهلي
وجمعوه على صُلب وُصْلان وصرَّحوا بعبادة النصارى للصليب وابتخاذهم له كقبلة
وكرأية . وقد أقسم به عدي بن زيد فقال (الاغانى ٢ : ٢٤) :

سمى الاعداء لا يألون شراً عليك وربِّ مكَّة والصليبِ

راجع ايضاً ما قيل في القسم الاول عن اكرام النصارى لمكَّة في الجاهلية (ص ١١٨) . وممن ذكروا الصليب النابغة الذبياني (تاج العروس ١ : ٣٣٧) قال :

ظَلَّت اقاطيعُ انعامٍ مؤبَّلةٍ لدى صليبٍ على الزوراء منصوبُ

قال الصَّغَّاني (Lane s.v) : « سُمي النابغة العَلَمَ صليباً لانه كان على صليب
لانه كان نصرانياً » وقال شارح ديوان النابغة (شعراء النصرانية ص ٦٥٥) :
« اراد النابغة صليب النصارى وكان النعمان نصرانياً » . وقد ذكر الاخطل خروج
النصارى لحروبهم والصليب يتقدمهم (ديوانه ص ٣٠٩) :

لما رأونا والصليبَ طالما خلَّوا لنا رازانَ والمزارعا

وَمَنْ صَرَ حُوا بَعَادَةَ الْعَرَبِ لِلصَّلِيبِ حَجَّارِ بْنِ أُنْجَرٍ قَالَ يَهُو بْنِ عَجَلِ النَّصَارَى
(الآغا في ١٣ : ٤٧) :

هُدَدَنِي عَجَلٌ وَمَا خَلْتُ أَتَنِي خَلَاةٌ لِعَجَلٍ وَالصَّلِيبُ لَهَا بَعْلٌ
أَي تَعْبُدُ الْمَصْلُوبَ . وَرَوَى فِي التَّاجِ (١٠ : ٩٠) لِلْأَقِشَرِ :

فِي فِتْيَةٍ جَعَلُوا الصَّلِيبَ إِلَهُهُمْ حَاشَايَ إِنِّي مُسْلِمٌ مَعْدُورٌ
وَكَانُوا يَسْمُونَ جِبَاهَهُم بِالصَّلِيبِ قَالَ حَجَّةُ الدِّينِ الصَّقَلِيُّ فِي كِتَابِ أَنْبَاءِ نَجْبَاءِ
الْأَنْبَاءِ لِحَالِدِ بْنِ يَزِيدٍ فِي امْرَأَتِهِ رَمْلَةَ الزُّبَيْرِيَّةِ (ص ٩٤) :

أَحَبُّ بَنِي الْعَوَّامِ طُرًّا لِأَجْلِهَا وَمِنْ أَجْلِهَا حَبِيتَ أَخَوَالَهَا كَلْبًا
فَإِنْ تُسَلِّمِي أُسَلِّمَ وَإِنْ تَنْصَرِّي يَخْطُ رِجَالُهُ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ صُلْبًا

وَبَنُوا مِنَ الصَّلِيبِ فَعَلًا فَقَالُوا صَلِّبْ أَي رَسْمِ الصَّلِيبِ كَمَا رَأَيْتَ فِي شَعْرِ الْأَعَشَى :
فَا أَيْلِيَّ عَلَى هَيْكَلٍ بَنَاهُ وَصَلَّبَ فِيهِ وَصَارَا

وَكَانَ نَصَارَى الْعَرَبِ كَمَا غَيْرُهُمْ يَزِينُونَ كَنَائِسَهُمْ بِنَقْشِ الصُّورِ وَنَصَبِ التَّمَاثِيلِ
فَيَكْرُمُونَهَا نِسْبَةً إِلَى مَا تَمَثَّلَهُ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَفَضَائِلِهِمْ . وَلَنَا فِي شَعْرِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ
عَدَّةٌ شَوَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ . فَذَكِّرُوا (الصُّورَةُ) رَهْيَ هَيْئَةِ الشَّيْءِ وَشَكْلُهُ لَا سِيَّاهِئَةَ
أَوْلِيَاءِ اللَّهِ . وَقَدْ سَبَقَ فِي بَابِ تَلْرِخِ النَّصْرَانِيَّةِ بَيْنَ عَرَبِ الْحِجَازِ (ص ١١٦ - ١١٧)
أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا وَضَعُوا فِي الْكَعْبَةِ صُورَةَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ كُمُوسَى وَمَرْيَمَ وَعِيسَى :
وَمَنْ ذَكَرُوا الصُّورَ النَّصْرَانِيَّةَ الْأَعَشَى كَمَا سَبَقَ فَبَنَى مِنَ الصُّورَةِ فَعَلَ « صَارَ » :

وَصَلَّبَ فِيهِ وَصَارَا

يُرِيدُ الرَّاهِبُ الَّذِي نَصَبَ الصَّلِيبَ فِي الْهَيْكَلِ وَزَانَهُ بِالصُّورِ . وَتَسَمَّى الصُّورَةُ
(تَمَثَّلًا) قَالَ فِي التَّاجِ (٨ : ١١١) : « التَّمَثَالُ الشَّيْءُ الْمَصْنُوعُ مِثْلًا بِخَلْقٍ مِنْ خَلْقِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . (قَالَ) وَالتَّمَاثِيلُ هِيَ صُورُ الْأَنْبِيَاءِ وَكَانَ التَّمَثِيلُ مَبَاحًا فِي ذَلِكَ
الْوَقْتِ . وَكَانَتْ تِلْكَ الصُّورُ تُثَقَّنُ بِالْفَنِّ وَيَنْقَشُونَهَا بِالْأَلْوَانِ وَيَطْلُونَهَا بِالذَّهَبِ .
قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَجَلَانَ (الْآغا فِي ١٩ : ١٠٢) :

غَرَاءُ مِثْلُ الْمَلَالِ صُورُهَا وَمِثْلُ تَمَثَالِ صُورَةِ الذَّهَبِ

(قَالَ) وَيُرْوَى : بَيْعَةُ الذَّهَبِ . وَرَوَى يَاقُوتُ لَشَاعِرٍ قَدِيمٍ (٣ : ٥٢٥) :

حتى اذا كُنْ دُوَيْنَ الطَّرْبَالِ بَشَّرَ مِنْهُ بِصِهْلٍ صَلَّصَالِ
مُطَهَّرِ الصُّورَةِ مِثْلَ التَّمثالِ

ومثله للاخطل (ديوانه ص ١٢) :

حَلِيٍّ يَشْبُ يَاضَ النَّحْرِ وَاقدُهُ كَمَا تُصَوِّرُ فِي الدَّيرِ التَّمثالِ

وكانوا يطوفون حول الصور لاسيا في اعيادهم . قال الحارث بن خالد المخزومي

(الاغاني ١٥ : ١٣٣) :

وبشرة خَوْدٍ مِثْلَ تَمثالِ بَيْعَةٍ تَظَلُّ النَّصارى حَوْلَهُ يَوْمَ عِيدِهَا

ومثل الصورة والتَّمثال (الدُّمِيَّة) جَمْعُهَا الدُّمَى واصِلُهَا مِنَ السَّرِيانِيَّةِ
بِهَمْزٍ وَمَعْنَاهَا الشَّيْءُ . قال فِي التَّاج (١٠ : ١٣١) : « الدُّمِيَّةُ الصُّورَةُ
الْمَنْقُشَةُ مِنَ الرِّخَامِ (عَنِ اللَّيْثِ) . وَفِي الصَّحاحِ : الصُّورَةُ مِنَ الْعَاجِ وَنَحْوِهِ أَوْ عَاجٍ مِنْ
كُلِّ شَيْءٍ مُسْتَحْسَنٍ فِي الْبَيَاضِ أَوْ الصُّورَةُ عَامَّةٌ (وَهُوَ قَوْلُ كِرَاعٍ) . قال ابن الأثير :
هِيَ الصُّورَةُ الْمَصُورَةُ لِأَنَّهَا يُتَنَوَّقُ فِي صِنْعِهَا وَيُبَالِغُ فِي تَحْسِينِهَا وَالدُّمِيَّةُ أَيْضاً
الصَّنَمُ لِتَزِينِهَا وَتَنْقِيشِهَا كَالدُّمَى الْمَصُورَةِ » . وَلِذَلِكَ ضَرَبُوا الْمَثَلَ فِي حَسَنِهَا فَقَالُوا :
« أَحْسَنُ مِنْ دُمِيَّةٍ (أَمْثالُ الْمِيدَانِيِّ ١ : ٣٠٠) وَقَدْ شَبَّهُوا بِهَا نِسَاءَهُمْ قال
الاعشى (التَّاج ٦ : ٣٤٤) :

وَحُورٍ كَأَمْثالِ الدُّمَى وَمَنَاصِفُ

وكان سبقهم داود النبي الى هذا التشبيه فوصف في المزامير (مز ١٤٣ : ١٢) :
بَنَاتُ الْمُنَافِقِينَ « الْمَتَرِيَّاتُ كَدُّمَى الْهَيَا كُلِّ » . وَمَعْظَمُ الشُّعْرَاءِ الْقَدَمَاءِ الَّذِينَ ذَكَرُوا
الدُّمَى خَصُّوا بِهَا بَيْعَ النَّصارى وَمَحَارِبِهِمْ دَلَالَةً إِلَى عَادَتِهِمُ الْمَأْلُوفَةِ بِتَزْيِينِ كَنَائِسِهِمْ
بِالصُّورِ لِيَكْرَمُوهَا لَا لِيَعْبُدُوهَا كَالْأَصْنَامِ قال عدي بن زيد (فِي الْكَامِلِ الْمُبَرَّدِ
: (ed. Wright, 460

كَدُّمَى الْعَاجِ فِي الْمَحَارِبِ أَوْ كَالسَّبِيضِ فِي الرُّوضِ زَهْرُهُ مُسْتَنْبِرُ

ومثله للاخوص فِي الْإِسْلَامِ (الْأَغَانِي ٤ : ١٤٢) :

كَأَنَّ لُبْنَى صَبِيرُ غَادِيَةٍ أَوْ دُمِيَّةٌ زُرِينَتُهَا الْبَيْعُ

وقال عُمر بن أبي ربيعة (الْكَامِلُ ص ٣٧٠) :

دُمِيَّةٌ عِنْدَ رَاهِبٍ ذِي اجْتِهَادٍ صَوَّرُوهَا فِي جَانِبِ الْمَحْرَابِ

وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِدٍ (دِيوانُ الْهَذِيلِيِّينَ ص ١٧٧) :

او دمية المحراب قد لعبت بها ايدي البناء بزُخرفِ الإثراصِ
وتبعه ابو العتاهية فقال (الاغاني ٣ : ١٥١) :
كَأَنَّ عَتَابَةَ مِنْ حَسَنَاءِ دُمِي قَسَّ فَنَتَّ قَسَّهَا
وَمَمَّنْ وَصَفُوا الدُّمَى امْرُؤَ الْقَيْسِ حَيْثُ قَالَ (ديوانه في العقد الثمين ص ١٢٨) :
كَأَنَّ دُمَى سُقِفٍ عَلَى ظَهْرِ مَرْمَرٍ كَمَا مُزِيدُ السَّاجُومِ شَيْئًا مَصُورًا
ومثله النابغة الذبياني (العقد الفريد ص ١٠) :
او دمية من مرمَرٍ مرفوعةٍ بُنِيتْ بِأَجَرٍ تُشَادُ وَقَرَمَدُ
وكذلك قال عبيد بن الابصر (الاغاني ١٩ : ٨٦) :
واوانسٌ مثل الدُّمَى حورُ العيونِ قد استُئِينَا
وقال سلمى بن ربيعة (الحماسة ص ٥٠٦ ed. Freytag) :
والبيض يرفُلْنَ كالذُّمَى فِي الرِّبْطِ وَالْمُذْهَبِ الْمَصُونِ
وقال زياد بن حمل (الحماسة ٦١٤) :
فِيهَا عَقَائِلُ امْثَالُ الدُّمَى خُرْدٌ لَمْ يَغْدُ هُنَّ شَقَا عَيْشٍ وَلَا يَتَمُّ
ويظهر من شعرهم ان هذه الدُّمَى كانت تُصْطَنَعُ فِي بَعْضِ انْحَاءِ الْعَرَبِ كَهَكَرٍ
قيل انه موضع في اليمن قال امروء القيس (ديوانه ص ١٢٤ في العقد الثمين) :
كِنَاعَمَتَيْنِ مِنْ ظِبْيَاءٍ تَبَالَهُ عَلَى جَوْذَرَيْنِ او كَبْعُضِ دُمَى هَكَرٍ
وكذلك ميسنان وقيل انها ميسنان بين الواسط وبصرة قال سُحَيْمٌ :
وَمَا دُمِيَّةٌ مِنْ دُمَى مَيْسَنَانٍ مَعْجَبَةٌ نَظْرًا وَاتِّصَافًا
ولعلهم اطلقوا ايضاً على الصورة اسم (النُصْب) وهو في الاصل كل ما كان يُنْصَبُ
فَيُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْجَمْعُ أَنْصَابٌ وَيُقَالُ نُصْبٌ بِضَمَّتَيْنِ وَالْجَمْعُ نَصَائِبٌ .
وقد خُصُّوا بِعِبَادَةِ الْاَوْثَانِ فَارَادُوا بِهَا حِجَارَةً كَانَتْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ كَانُوا يَصُبُّونَ
عَلَيْهَا دِمَاءَ الذَّبَائِحِ . ولعل النصارى ارادوا بها معنى الصورة عموماً دون الوثن لورود
اللفظة في شعر البعض منهم
وأعجب من هذا انهم استعملوا لفظة (الوثن) للدلالة على صورهم والكلمة
حبشية **wh?** بهذا المعنى وقد استعملها الاعشى بمعنى الصليب . قال (المفضليات ص
٥٤٩ ed. Lyall ولسان العرب ١٧ : ٣٣٤) :
يَطُوفُ الْعَفَاةُ بِابْوَابِهِ كَطُوفِ النَّصَارَى بَيْتِ الْوَتْنِ
(قال) اراد بالوثن الصليب

وقد امتازت كنائس النصارى (بالناقوس) وكان قديماً خشبةً طويلةً يقرعون عليها بخشبة قصيرة اسمها (الوبيل) او (الأبيل) يقال نَقَسَ بالوبيل الناقوس نَقْساً اذا ضربه ثم جعلوا بدلاً من الخشبة لوحاً من نحاس كانوا يقرعون عليه . وهو اليوم (الجرس) على صورة نصف المخروط وهو عربي ايضاً ذكره في التاج قال (٤) : (١١٨) : « والجرس الجللج . . . والذي يُضْرَبُ بِهِ » . وتكرر في الشعر الجاهلي ذكر النواقيس . قال المتلمس يذكر خروجه الى بلاد غسان حيث كثرت الكنائس والنواقيس (راجع طبعتنا لديوانه) :

حَنَّتْ قُلُوصِيهَا وَاللَّيْلُ مُطَرِّقٌ بعد الهدوِّ وشاقَّتْهَا النواقيسُ

قوله « بعد الهدو » اي عند السحر لان عادة الرهبان ان يقرعوا نواقيسهم للصلاة قبل الفجر . ومثله قال المرقش الاكبر (المفضليات ص ٤٦٥) :

وَنَسَمِعُ تَرْقَاءَ مِنَ الْبُيُوتِ حَوْلَنَا كَمَا ضُرِبَتْ بَعْدَ الْهُدُوِّ النواقيسُ

ومثلها للأعشى (راجع الجوهري في مادة حد) ويروى لعنترة (العقد الثمين ص ١٢٩) :

وَكَأْسُ كَمِينِ الدِّيكِ بَاكَرَتْ حُدَّهَا بَفَتْيَانٍ صَدَقَ وَالنَّوَاكِيْسُ تُضْرَبُ

وقال الاسود بن يعفر وجمع الناقوس على نُقُسٍ (التاج ٤ : ٢٦٣) :

وَقَدْ سَبَأْتُ لَفَتْيَانٍ ذَوِي كَرَمٍ قَبْلَ الصَّبَاحِ وَلَمَّا تُفْرَعِ النَّقُوسُ

واكثر ما كانت النواقيس في الدساكر والقرى قال لبيد (ديوانه ص ١٣٧) :

فَصَدَّاهُمْ مَنْطِقُ الدُّجَاجِ عَنِ السَّعْدِ وَضَرْبُ النَّاقُوسِ فَاجْتُنِبَا

قال الشارح : « والناقوس انما يكون في القرى فلما مروا بالقرى كرهوا دخولها فعدلوا عنها واجتنبوها وكانت قصداً على الطريق » . ومثله للجعدي :

وَدَسْكَرَةُ صَوْتِ ابِوَجَا كَصَوْتِ الْمَوَائِجِ بِالْحَوَائِبِ

سَبَقْتُ صِيَاحَ فَرَايِجِهَا وَصَوْتِ نَوَاكِيْسٍ لَمْ تُضْرَبِ

وكان ضارب الناقوس الراهب والراهبة والقس . قال ربيعة بن مقروم من ابيات مرت ذكر فيها الراهب (الاغاني ١٩ : ٩٢) :

لَصَبَا لِهَيْجَتِهَا وَحُسْنُ حَدِيثِهَا وَلَهُمْ مِنْ نَاقُوسِهِ يَتَنَزَّلُ

وروى في الاغاني لبعض الاغفال عن راهبة :

تضربُ بالناقوسِ وَسَطَ الدَّيْرِ قبل الذَّجَاجِ وزقَاء الطَّيْرِ

ومثله لجريز في القس (البكري ٢١٥) :

صَبَحَنَ ثَرَمَاءَ والناقوسُ يقرعُهُ قُسُّ النصارى حراجيجاً بنا نجفُ

وقال جريز ايضاً (البكري ٣٦٨) :

لَمَّا تَذَكَّرْتُ بالدَيْرَيْنِ اَرَقْنِي صوتُ الذَّجَاجِ وَقَرَعُ بالنواقيسِ

وقال الاعشى ودعا ضارب الناقوس بالابيل وهو ايضاً الخبر كما مر (راجع

حماسة البحري ص ٥٦) :

فَانِيَّ وَرَبَّ السَّاجِدِينَ عَشِيَّةً وما صَكَ نَاقوسَ الصَّلَاةِ اَيُّهَا
أَصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبُوؤُوا بِمَثَلِهَا كَصِرْخَةِ حُبْلَى بَشَّرَهَا قُبُولَهَا

ويؤيد ذلك قول المثل في القاموس : « رأيت أبيعلاً على وبيل » اي جبراً على

عصا رعايته . وقيل بل الابيل هو عصا الناقوس كالولبل

اماً (الجرس) فلم نجد في شعر قديم . وإنما ورد ذكره في الحديث قال

في أسد الغابة لابن الاثير (١ : ٣٥١) عن لسان محمد في الوحي : « احياناً يأتيني

(اي الوحي) في مثال صلصلة الجرس . » وفي حديث آخر رواه مسلم (٤ : ٤٥٠) :

« الجرس مزامير الشيطان (١) »

وكانوا ينيرون كنائسهم بالانوار ويسرجون فيها السرج ويضيئونها بالمصابيح

قال عمر ابن ابي ربيعة (الاغاني ١٥ : ٧) :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمَحْصَبِ مِنْ مَنَى وَلِي نَظَرَةٌ لَوْلَا التَّحْرُجُ عَارِمُ
فَقُلْتُ اشْمَسُ ام مَصَابِيحُ بِيَعَةٍ بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السُّجْفِ ام اَنْتَ حَالِمُ

وكانوا على الاخص يقيمون فيها الرتب الدينية . مر ذكر صلاتهم وسجودهم

وتسبيحهم في كنائسهم . وكانوا يقربون القرايين في القداس ومنه قول الاعشى :

وما قدس الرهبان في كل هكل . . .

ومثله قول البكري في معجم ما استعجم (ص ٣٦٩) يصف رتبة قداس

النصارى « وضع الرهبان بالتقديس »

ومن مناسكهم (القربان) هو في الاصل كل ما يُتَقَرَّب به الى الله . وقد
 خَصَّت بقربان النصارى . قال امية (كتاب البدء ٢ : ١٤٥) :
 اَيَّام يَلْقَى نَصَارَاهُمْ مَسِيحَهُمْ وَالْكَائِنِينَ لَهُ وَدًّا وَقُرْبَانًا
 وروى في اللسان لجريز (١٥ : ١٢٥) :

او تتركون الى القسسين هَجَرَ تَكُم وَمَسْحَكُم صَلَبَهُم رَخْمَان قُرْبَانًا
 وقد بنوا منه فعلاً فقالوا (تقرب) اذا اخذ القربان . قال الاعشى يدح هوذة بن
 علي النصراني الذي اعتق مئة من أسرى تميم يوم الفصح (تاريخ الطبري ١ : ٩٨٧) :
 جَم تَقَرَّبَ يَوْمَ الْفِصْحِ ضَاحِيَةً يَرْجُو الْإِلَهَ بِمَا أَسَدَى وَمَا صَنَمًا
 ومثله ما اخبر صاحب الاغاني (٢ : ٣٢) عن عدي بن زيد وهند بنت النعمان
 كيف دخلا يوم خميس الفصح كنيسة الحيرة « ليتقربا » يريد تناولهما الفصحى
 وكانوا يدعون القربان (الشَّبَر) ولعلَّ اللفظة سريانية « صَحْدُكُمَا » وهي
 الطعام والغذاء ارادوا بها قوت النفوس وقد وردت في الشعر القديم . قال عدي بن
 زيد يحلف بالقربان (شعراء النصرانية ٤٥٢) ولسان العرب ٦ : ٥٨) :
 إِذِ اتَانِي نَبَأٌ مِنْ مُنْعَمٍ لَمْ أَخُنْهُ وَالَّذِي أَعْطَى الشَّبَرَ
 قال الشارح : « الشبر هو الانجيل والقربان » . وقد وردت الكلمة في شعر
 العجاج فافتتح احدي اراجيزه بقوله :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَى الشَّبَرَ

فشرحوا الشبر بالعطية والموهبة . وكأنها تعريب اللفظة اليونانية افخارستيا
 (Εὐχαριστία) ومعناها الموهبة الصالحة فاطلقوها على القربان . وورد لابن السكيت
 في اصلاح المنطق (طبعة مصر ص ١٥٩) في شرح بيت عدي : « قيل في الشبر ههنا
 انه القربان »

وقد خصوا بالذكر (خمر القربان) ورووا صلاة النصارى عليها وتقديسهم لها
 وقد مرت في ذلك ابيات اين بن خريم (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

وصهَاء جَرَجَانِيَّةٍ لَمْ يَطْفُجْ جَا خَيْفٌ وَلَمْ تَنْعَرْ جَا سَاعَةً قَدَرُ
 وَلَمْ يَشْهَدْ الْقَسُّ الْمَيْمَنُ نَارَهَا طَرَوْقًا وَلَا صَلَّى عَلَى طَبْخِهَا حَبْرُ

ومثله فيها للاعشى (شعراء النصرانية ص ٣٧٨) :

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهرَ بينها وان ذُبَحَتْ صَلَّى عليها ورُمِزَما
ببابلَ لم تُعَصَّرَ فسالتُ سُلَافَةَ تحالطَ قنديداً ومسكاً مختتماً

فذكره للصلاة عليها خصَّ الخمر المقدَّسة . وقال الاعشى ايضاً :

وصهباءُ طافَ نَعاميها وابرزها وعليها ختمٌ
وقابلها مستهَاماً لها وصلى على دنها وارتمى
عزَّرتها غيرَ مستكبرٍ على الشربِ او مُنكرٍ ما عُلِمَ

النهامي صاحب الدير وقد مرَّت ورُوي (قطب السرور Ms de Paris ff. 67) :
« طاف يهوديها » ولعلَّه تصحيف لانَّ اليهودي لا يصلي على الخمر ولا يطيف بها .
وكذلك قال علقمة وذكر (الكأس) وخصَّ خمرها بصفات اقرب الى الخمر
المقدَّسة :

كأسٌ عزيزٍ من الأعناب عتَّقها لبعض أرباجها حانيةٌ حومٌ
تشفي الصداع ولا يؤذيك طالِبُها ولا يخالطُها في الرأس تدومُ
ظلت ترقرقُ في التاجودِ يصفقُها وليدٌ أعجمٌ بالكثانِ مفدومٌ

قالوا اراد بالعزيز الملك . وقالوا بل اراد كبير النصارى كقول اوس بن حجر
يذكر فصيح النصارى :

عليه كمصباحِ العزيز يَشْبُهُ لفِصْحٍ ويحشوه الذُّبَالُ المَقْتَلَا

وكما شربوا خمر القربان اكلوا خبزهُ المقدَّس . وقد بيَّنا (ص ٧٢ و ١٣٩)
ان هجو بعض الشعراء لبني حنيفة النصارى على « اكلهم لرَبِّهم » انما ارادوا به
تقربهم من القربان الاقدس فقرَّعُوهم بما لم يدرکوا معناه فقالوا :

أَكلتُ حنيفةً رَجًّا زمنَ التقمِّ والمجاعةِ
لم يحدروا من رَجِّهم سوءَ العقوبةِ والتباعدِ

ومثله قول الآخر :

أَكلتُ رَجًّا حنيفةً من جوِّ عِ قديمٍ ومن إغوارِ

والنصارى يشيرون الى القربان (بمائدة الرب) كما دعاها بولس في رسالته الاولى
الى اهل كورنثس (١٠ : ٢١) . واللفظة شاعت عند عرب الجاهلية اخذوها ايضاً
من نصارى الحبش وهي عندهم "ṭḥṭ" وقد وردت في القرآن بهذا المعنى (في

سورة المائدة ع ١١٢ و ١١٤) حيث يذكر ان الحواريين طلبوا من المسيح ان ينزل عليهم مائدة من السماء فأنزلها . واراد بها العشاء السري ولا شك انه كان لهم في كنائسهم (منبر) للكراسة واعظم شاهد على قولنا ان اللفظة ليست عربية بل مستعارة من نصارى الحبش ^{ἡ ἑκκλησία} اي مجلس وكرسي الخطابة ثم اخذها المسلمون (١). قال الفرزدق في آل أبي العاصي (راجع ديوانه : de. Boucher. p. 19)

ولن يزال امامهم ملكٌ اليه يشخصُ فوق المنبر البصرُ

٧ مفردات نصارى الجاهلية الخاصة بمساكن الرهبان

قد توفرت المفردات العربية التي ورد ذكرها في المعاجم والشعر القديم دلالة على مساكن الرهبان فجمعنا منها ما تيسر لنا على ترتيب حروف المعجم وفي وفرتها شاهد ناطق على شيوع العيشة الرهبانية في انحاء العرب فمن ذلك (الاسطوانة) وهي السارية وفقاً لمعناها الاصلية في اليونانية (ἑστῶν) وقد اتخذها العرب بمعنى العمود الذي كان يتبّد فوقه بعض الرهبان المدعوين لذلك بالعموديين (Stylites) قال ذو الجندن (سيرة الرسول لابن هشام ص ٢٦ ed. Wüstenfeld)

فان الموت لا ينهائهُ ناهٍ ولو شربَ الشفاء مع النَّشْوِ
ولا مترهبٌ في أسطوانٍ ينطحُ جذرَهُ ييضُ الأنوقِ

قال الشارح : الاسطوان والاسطوانة هاهنا موضع الراهب المرتفع . وقال في التاج : الفرق بين الاسطوانة والعمود ان العمود حجر واحد والاسطوانة بناء ومنها (الأكيراح) وهي قلابة الراهب . ومثلها الكرح . واصل الكلمة من السريانية **كهو** قال في المخصّص لابن سيده (١٠ : ١٣) : « الأكيراح بيوت ومواضع تخرج اليها النصارى في بعض اعيادهم وهو معروف » . وقال في معجم البلدان (١ : ٣٤٥) : « الأكيراح بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلالي لهم » وهي ايضاً موضع بعينه وانشد لبكر بن خازجة :

(١) راجع مقالة المستشرق بكر (C. H. Becker) عنوانها المنبر عند قدماء العرب

دع البساتين من آس وتَفَاحٍ واقصد الى الشيخ من ذات الأَكْبَرِاحِ
الى الدساكر فالدير المقابلها لدى الأَكْبَرِاحِ او دير ابن وضاح

ومنها (التامور) ويُروى بالهمز تامور . قال في التاج (٢٠ : ١) : « التامور
صومعة الراهب وناموسه . . . وقال ابن دريد ان اصل هذه الكلمة سريانية » . ولم
نجدها في المعاجم السريانية بهذا اللفظ . ولعلها من **لحن** بالطاء فتكون كالطمورة
في العربية شَبَّهوا بها مسكن الراهب . او كالطَّمَارِ اي المحل المرتفع والله اعلم . وقيل
ان اصلها من **تبر** (تَبْر) الحبشية فابدلوا الباء من الميم (١) ووردت الكلمة في
الشعر الجاهلي في قول الشاعر عن الراهب :

ولهم من تاموره يتزل

ومن الفاظهم الشهيرة (الدَّير) وهي لفظة سريانية الاصل (دِيرَة) ومعناها
المسكن عموماً لا سيما المحصن ثم خُصَّوا بها مسكن الرهبان . قال ياقوت في معجم
البلدان (٦ : ٦٣٩) : « الدَّير بيت يتعبد فيه الرهبان ولا يكاد يكون في مصر الا عظم
انما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال » . وقال في اللسان (٥ : ٢٨٧) عن ابن
سيده : « الدَّير خان النصارى والذي يسكنه ويعمره ديار ودَيْرَانِي » . وقال ابن
الاعرابي : « يقال للرجل اذا رأس اصحابه : هو رأسُ الدير . وقد شاع استعمال
الكلمة في الشعر القديم قال عدي بن زيد (معجم البلدان ٢ : ٦٨٠) :

نادمت في الدير بني علقما عاطيهم مشمولة عندما
كان ربح المسك من كأسها اذا مزجناها بماء السما

وقد عدد ياقوت والبكري وغيرهما في معاجم البلدان نيفاً ومئة دير مما ورد
ذكره في الشعر القديم . بل ذكر لابي الفرج الاصفهاني كتاب في الديارات خصه بذكر
الاديرة القديمة بين العرب

ومنها الرُّكْح (قال في المخصص (١٣ : ١٠٢) : « من ابيات النصارى . (قال)
ولست من هذه الكلمة على ثقة » . (قلنا) ولعل الكلمة تصحيف (الكِرْح) الآتية

(١) راجع المترجم للجواليقي ٢٧ ed. Sachau, وكتاب فرنكل Fraenkel: Aram.

Fremdw. in arabischen, p. 269.

ومنها (الصَّرح) وهو في الاصل البناء العالي وقيل ان الصرح في النبطية القصر .
ولعلَّ الاصحَّ انها حبشية **ḥṣṣ** ومعناها الحجرة والقلاية (١)
ومنها (الصَّومعة) ومثلها الصومع بناء للراهب محدد الطرف . قال في التاج (٧):
(٤١١): «الصومعة كجوهرة بيت النصارى ومنار الراهب سُميت لدقة في رأسها» .
وقال زين العابدين: «الصومعة المنارة وهي في الاصل مُتَعَبَّد للراهب . وقد مرَّ ذكرها
في الفصول السابقة (راجع الصفحة ١٧٥) . واصل الكلمة من الحبشية **ḥṣṣ**
ومعناها الدير والقلاية . وقد وردت بهذا المعنى في القرآن (سورة الحج ع ٤١)
ونطق بهذا الشعراء القدماء . روى سيبويه لاحدهم:

اوصاك ربك بالتقى وأولو الشئ اوصوا معة
فاختر لنفسك مسجداً تخلو به او صومعة

ومنها (الطَّرْبَال) وهو كل بناء عالٍ مرتفع وقال ابو عبيدة هو شبيه بالمنظرة
من مناظر العجم كهيئة الصومعة وانشدوا لدُكَيْن (راجع ياقوت ٣: ٥٢٥) والتاج ٧:
(٤١٦):

حتى اذا كان دُونِ الطربال رجعن منه بصهيل صلصال
مطهر الصورة مثل التمثال

وقد وردت الكلمة بمعنى البيعة ومعبد النصارى ولعلَّها اعجمية
ومنها (العُمر) قال في التاج (٣: ٣٢٠): «العُمر المسجد والبيعة والكنيسة
سُميت باسم المصدر لانه يُعْمَر» والصواب ان الكلمة سريانية (ܥܡܪܐ) وهي
الدير . قال المتلّمس (راجع معجم ما استعجم للبكري ص ٦٩٦):

ألك السدير وبارق ومبايض ولك الخورنق
والعُمر ذو الاحساء واللذات من صاعر ودَيْسَق

(قالوا) العُمر في شعر المتلّمس الدير او البيعة والكنيسة

ومنها (القلاية) اصلها من السريانية ܩܠܝܐ اشتقها السريان من اليونانية
κελλάιον . وقال البكري (في معجمه ص ٣٦٩): «ان كانت القلاية مضافة الى
المواضع فأنما هو العُمر والعمر عندهم اسم الدير قال الثرواني:

وان اتما حَيْثُمَا فِي نَحْيَةٍ فَلَا تَعْدُوا رَيْحَانِ قَلَايَةِ الْقُسِّ «
ومنها ايضاً (القُوس) وهو الديرواصل الكلمة من الفارسية قال صاحب اللسان
(٦٩: ٨) : « القُوس الصومعة او موضع الراهب . وقال ياقوت (٢٠٠ : ٤) :
« هو معبد الراهب » وانشد في اللسان :

لَا وَصَلَ إِذْ صُرِفَتْ هُنْدٌ وَلَوْ وَقَفَتْ لَأَسْتَفْتَنَنِي وَذَا الْمَسْحِينِ فِي الْقُوسِ «
وانشد الاصمعي لذي الرمة :

عَلَى أَمْرٍ مَنَقَدٍ الْغَنَاءُ كَأَنَّهُ عَصَا قُسٍّ قُوسٍ لِيْنُهَا وَاعْتَدَلُهَا
قال : القس القسيس والقوس صومعته

ومنها (الكِرْح) وهو مقام الراهب من السريانية **كهوسلا** بمعناه وقد مرَّ مع
الأكيزاح

ومنها (المنهمة) وهو مسكن النُهَامِ او النُهَامِي اي الراهب قال ذو الجدن
(سيرة الرسول ٢٦-٢٧) :

وَعَمْدَانُ الَّذِي حُدِّثَتْ عَنْهُ بَنُوهُ مَسْمَكًا فِي رَأْسِ نِقْرِ
بِمَنْهَمَةٍ وَأَسْفَلُهُ جَرُوبٌ وَحُرٌّ أَلْمُوْحَلُ اللَّثْقِ الرُّلِقِ
بِمَرْمَرَةٍ وَأَعْلَاهُ رُخَامٌ تَحَامٌ لَا يَنْيَبُ فِي الشَّقِيقِ
مَصَابِيحُ السَّلِيطِ تَلُوحُ فِيهِ إِذَا يُنْسِي كَتَمَاضِ الْبُرُوقِ

قال الشارح : المنهمة موضع الراهب

ومنها (النَّامُوس) قال في اللسان (١٣٠ : ٩) : « الناموس بيت الراهب ولعلَّه » اراد
الناووس من اليونانية ναός وهو الهيكل . وجاء في التاج : « الناووس مقبرة النصارى »

٨ مفردات لنصارى الجاهلية في اعيادهم ومواسمهم السنوية

نذكر هنا الاعياد النصرانية الثابتة والمنتقلة التي شاعت عند عرب النصارى كما
عرفها غيرهم

اولها عيد (السُّبَّار) يريدون به ما ندعوه عيد البشارة واللفظة سريانية الاصل
(**صُهْكُنَا**) . قال البيروني في الآثار الباقية عن القرون الخالية (ص ٢٩٤) :
« السُّبَّار دخول جبرائيل عليه السلام على مريم مبشراً بالمسيح » . ولم نجد اللفظة في
الشعر الجاهلي وانما وصف امية بن ابي الصلت البشارة بآيات روينها سابقاً

ومنها عيد (الميلاد) وقد سَمَّاهُ البيروني (ص ٢٩٣) عيد يَلدَا من السريانيَّة
مَحَبًّا اي ميلاد المسيح

ومنها (القَلَنْدَس) ذَكَرَهُ المسعودي في مروج الذهب (٤٠٦ : ٣) ودعاه
البيروني القلنداس (ص ٢٩٢) قال وهو رأس السنة وتقام الاسبوع من ولادة مريم .
واللفظة لاتينية (Kalendæ) قال المسعودي :

يكون فيه بالشام لاهل عيْد يوقدون في ليلته النيران ويظهرون (الافراح) لاسيا بمدينة
انطاكية وما يكون في كنيسة القسيان جمان القدس عندهم وكذلك سائر الشام وبيت المقدس
ومصر وارض النصرانيَّة كلها وما يظهر اهل دين النصرانيَّة بانطاكية من الفرح والسرور وايقاد
النيران ويساعدون على ذلك كثير من عوام الناس وكثير من خواصهم

ومنها (الدِنْح) ذَكَرَهُ ابن سيده في المَخَصَّص (١٠٣ : ١٣) عن ابن دريد قال :
« الدِنْح عيد من اعياد النصارى ولا احسبها عربيَّة وقد تكلمت بها العرب »
والكلمة سريانيَّة ومَعْمَلٌ ومعناها الظهور اي ظهور السيّد المسيح لبني اسرائيل
يوم معموديَّته . قال البيروني (٢٩٣) :

« وفي السادس من كانون الآخر دِنْحًا وهو عيد الدِنْح نفسه ويوم المعموديَّة الذي صبغ فيه
يحيى بن زكريّا المسيح وغُمسَ في ماء المعموديَّة بنهر الاردن عند بلوغ ثلاثين سنة من عمره واتصل
به روح القدس شبه حمامة نزلت من السماء على ما ذُكر في الانجيل »

ويعرف عيد الدِنْح بالغطاس ايضاً . وعلى هذا اللفظ وصفه المقرئ في الخطط
(٤٤٩٤ : ١) . ويسمى ايضاً بيوم العباد

ومنها (السَّبَّاس) قال في المَخَصَّص (١٠٢ : ١٣) وفي التاج (٢٩٤ : ٤) :
« يوم السَّبَّاس عيد للنصارى ويسمونه يوم السعانيين ويقال شعانيين بالشين .
والسَّبَّاس الاغصان يريدون بها سَعَف النخل الذي قطعهُ اليهود يوم استقبلوا المسيح
في دخوله اورشليم . وقد دعوا ايضاً هذا العيد بعيد الزيتونة . امّا السعانيين فمشتقة
من العبرانيَّة שֶׁבַע (هوشعنا) التي كان يتهلَّل بها اليهود امام المسيح . وقد
وردت لفظة سباسب في الشعر القديم قال النابغة يذكر عيد السعانيين بين بني غسان :
رَقَاقُ النَعَالِ طَيِّبٌ حُجْزَاتُهُمْ يَحْيَوْنَ بِالرَّيْحَانِ يوم السباسب .

ومنها (خميس العهد) قال المقرئ : (٤٩٥ : ١) ويسميه اهل مصر من
العامة خميس العَدَس ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة ايام ويتهادون فيه . وقد

عرفة العرب ايضاً بنجـمـيس الفـصـح ورد على هذا اللفظ في ترجمة عدي بن زيد الشاعر الجاهلي في كتاب الاغاني (٣: ٣٢) حيث ذكر دخول هند بنت النعمان كنيسة الحيرة قال : « خرجت في خميس الفصح وهو بعد السعانين بثلاثة ايام تتقرب في البيعة »

ومنها (الفصح) كانوا يقدمون عليه الصوم الاربعيني وقد ذكره العرب . انشد سيبويه لبعضهم (في كتابه ٢: ٢٧) :

صدت كما صدَّ عما لا يحل له ساقى نصارى فُبَيْلَ الفصح صَوَّامُ

ومن كلامهم في ذلك « تنخس النصارى » اذا تركوا اكل اللحم . وقال ابن دريد

« تنخس النصارى اذا تركوا اكل الحيوان . وهو كلام عربي صحيح ولا ادري ما اصله (التاج ٤: ٢٥٥) . واعلمه من « تنخس الرجل » اذا جاع . ويقول البعض تنهس بالهاء وهو من تصحيف العامة . اما الفصح فن السريانية **فَهِمْل** واصلها **فَهِمْل** العبرانية وتكرر ذكر الفصح في الشعر العربي الجاهلي . قال الاعشى يدح هوزة بن علي النصراني الذي كان اطلق اسرى بني تميم يوم عيد الفصح تقرباً لله :

فكك عن مئة منهم اسارهم واصبحوا كلهم من غلبه خليماً
هم تقرب يوم الفصح ضاحية يرجو الاله بما أسدى وما صنعا

وكانوا في الفصح يوقدون المشاعل . قال اوس بن حجر يصف رحمة وقد شبه

سنانه بمصباح يوقده رئيس النصارى يوم الفصح (شعراء النصرانية ص ٤٩٤) :

عليه كمصباح العزيز يشبهه لفصح ويحشوه الذبال المفتلاً

قال الشارح : « اراد السنان الشديد الانتلاق وهو مثل مشعل الجليل العظيم

الشان من بطارقة الروم لاسيا اذا الهبة في ليلة الفصح واذا كان في مثل هذه الليلة كان

انور واكثر ضوءاً » . وقال عدي بن زيد يشير الى تعمير قنديل الفصح (الاغاني ٩ :

٥٣) :

بكروا علي بسحرة فصبحتهم باناء ذي كرم كقعب الخالب
بزجاجة ملئ اليدن كأنها قنديل فصح في كنيسة راهب

ومن اشاروا الى افراح النصارى في عيد الفصح عبدالله بن زبير قال (الاغاني

١٣: ٤٦) يهجو حجار بن الجمر امير بني عجل :

فكيف بعجل ان دنا الفصحُ واغتدت عليك بنو عجلٍ ومرجلُكم بغلي
وعندك قسيسُ النصارى وصلبُها وغانيةُ صهياءٍ مثل جنى النحل
ويدعون ايضاً الفصح بالقيامة لتذكار قيامة السيد المسيح من الموت يوم الفصح .
ومن الالفاظ العربية في ذلك (الباعوث) ودعاها في المخصّص (١٠٢ : ١٣) الباغوث
بالغين قال : اعجمي معرب عيد النصارى . وفي تاج العروس (٦٠٢ : ١) : « الباعوث
استسقاء النصارى وهو اسم سرياني . قيل هو بالغين المعجمة والتاء المنقوطة » . وهو
بالسريانية **ܚܕܘܬܐ** ومعناها الصلاة والدعاء . وقد خُصّوا بها رتبة تُقام ثاني يوم عيد
الفصح . وقد وردت اللفظة في حديث عُمر لما صالح نصارى الشام شرط عليهم « ان
لا يُحدثوا كنيسة ولا قَلِيَّة ولا يخرجوا سعانين ولا باعوثاً »

ومنها (السُّلاق) قال البيروني في الآثار الباقية (ص ٣٠٨) : « وبعد الفطر
(يريد الفصح) باربعين يوماً عيد السُّلاق ويتَّفَق ابدأ يوم الخميس وفيه تساقُ المسيح
مصعداً الى السماء من طور زيتا وامر التلاميذ بلزوم الغرفة التي كان أقصَح فيها بيت
المقدس الى ان يبعث لهم الفارقليط وهو روح القدس » واصل الكلمة من السريانية
ܚܕܘܬܐ ومعناها الصعود وروى البكري (٣٧٠) لشاعر اسلامي :
بجرمة الفصح وسُلاقكم يا عاقد الزنار في الحَصْرِ

وما ذكروا من اعياد النصارى (الهَزْمَن) وروى ثعلب الهَزْمَر . قالوا عيد
للنصارى (المخصّص ١٠٢ : ١٣) ولم يزيدوا ايضاحاً . وقد وردت اللفظة في شعر
الاعشى :

اذا كان هَزْمَنٌ ورُحْتُ مُخْشَمًا

قال صاحب التاج (٣٦٨ : ٩) : « الهَزْمَن الجماعة معرب هَزْمَن او أَنْجَمَن عند
الفرس ويطلق على مجلس الشرب او لمجمع الناس مطلقاً او لعيد من اعياد النصارى » .
وقد دخلت اللفظة في السريانية **ܚܕܘܬܐ** ويراد بها الحفلة

ونضيف الى ما سبق لفظة (الشَّعْمَة) قالوا هي قراءة النصارى واليهود في
اعيادهم . وذكروا عن الخليفة المتوكل انه حرم على النصارى « ان يظهروا في شعائهم
صليبا وان يُشْنَعُوا في الطريق (١) » . وقال جحظة يصف دير العذارى (ياقوت
: ٦٩٧ : ٢)

وقد نطق الناقوسُ بعد سكونِهِ وَشَمَعَلَ قَسَيْسٌ ولاح فتيلُ

وقال مدرك الشيباني (تزيين الاسواق ص ٣٣٠) :

بحق قومٍ حلقوا الرؤوسا وعالجوا طول الحياةِ بوُسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا مُشَمَّعِلِينَ يعبدون عيسى

٩ مفردات جاهلية لوصف ملابس النصارى

كان نصارى العرب يلبسون الثياب كغيرهم من اهل البادية لا يمتازون بها غالباً عن سواهم . غير ان في المعاجم وبعض الشعر الجاهلي مفردات وردت في وصفهم النصارى او شرحوها بقولهم انها من ثياب النصارى . نذكر هنا ما عثرنا عليه منها في مطالعاتنا

فمنها (الآخني) قال في التاج (١١٩ : ٩) : الآخني الثوب المخطط . وقال ابو سعيد : الآخني اكسية سود لينة يلبسها النصارى . قال البعيث :

فكرَ علينا ثم ظلَّ يجرُّه كما جرَّ ثوبَ الآخني المقدسُ

(يريد بالمقدس الراهب الذي رحل الى زيارة القدس) . وقال العجاج (ed. Ahlwardt, p. ٦٧) :

كأنَّه متوجُّ روميُّ عليه كنانٌ وآخنيُّ
او مِقُولٌ توجَّحَ حَمِيرِيُّ

وقال ابو الخراش :

كأنَّ الملاءَ المَحْضَ خلفَ كُرَاعِهِ اذا ما تَطَيَّ الآخنيُّ المَخْدَمُ

ومنها (الإضريج) كساء احمر من الخَزّ ويقال ايضاً للخَزّ الاصفر . وقيل بل هو كساء يُتَّخَذُ من المرعزى من اجود صوفها . وقد ذكره الثابغة في ديوانه (العقد الثمين ص ٤) حيث قال يصف اعياد النصارى الفسّانيّين :

رَقَاقُ النعالِ طَيِّبٌ حُجْزَاخَمُ يُحَيِّونَ بالرَّيْجَانِ يومَ السَّابِغِ
تُحَيِّهِمْ بِيضُ الْوَلَانِدِ بَيْنَهُمْ وَأَكْسِيَةُ الْإِضْرِيْجِ فَوْقَ الْمَشَاجِبِ

ومنها (الأرندج واليرندج) قال ابو عبيد في المَخْصَص (١٠٣ : ٤) : « هو

بالفارسيّة رَنَدَه . قالوا هو ضرب من الأَدَمِ اسود » . وجاء في اللسان (٣٠٤ : ١٨)

والتاج (٥٠ : ٢) انَّ اليرَندج جلد اسود تُعمل منه الحُفاف يَحْتَدُونَ بها : وقد خَصَّها الشَّماخ بالنصارى فقال يصف نعاماً في برِّيَّة :

ودوَيَّة قَفِير تَمَشَّى نَعَامُهَا كَمَشَى النصارى في خفاف اليرَندج .

ومنها (الرِّيط) وهي الملاة المنسوجة قطعة واحدة وقد ذكرها الراعي في وصف بطرك النصارى (التاج ١١١ : ٧) فقال يصف ثوراً وحشياً :

يلو الظواهر فرداً لا أَلِفَ لَهُ مَشَى البِطْرُكِ عَلَيْهِ رِيطُ كَثَّانِ

ومنها (الزُّنَّار) قالوا هو ما على وَسَطِ النصارى . وقال في التهذيب : ما يلبسه الذميُّ يَشْدُهُ على وسطه . وقد اسْتَقُوا منه فعلاً فقالوا زَنَزَهُ اذا لبسه الزُّنَّار . وقد جاء الزُّنَّار في الشعر الجاهلي قال عدي بن زيد وكان معاوية يُعجب به :

يا لَهْطِي اوقدوا نارا انَّ الذي تَهْوون قد حارا
ربَّ نارٍ بَثُّ ارمقُها تَقْضُمُ الهندي والغارا
ولها ظِيٌّ يُوَجِّجُها عاقدٌ في الحَصْرِ زَنَّارا

ويروى :

عندها خَلَّ يُنَوِّرُها عاقدٌ في الجيد تَقْصَارا

التَّقْصَار القلادة . ومثله لابن الضحَّاك (البكري ص ٣٧٠) :

بجرمة الفِصْح وسَلَّافكم يا عاقد الزُّنَّار بالحَصْرِ

ومنها (الكَثَّان) كما رأيت في شعر الراعي والعجاج

ومنها (الموق) جمعها أمواق قال ابن سيده : « هو ضرب من الحقائق وقيل خفٌ غليظ يلبس فوق الحُف وهو عربي صحيح » . وكان العباديُّون ينتعلون بالامواق قال النمر بن توب (التاج ٧٣ : ٧ واللسان ١٢ : ٢٢٧) ويروى لسلامة بن جندل :

فترى النعاج جا تَمَشَّى خلفه مَشَى العباديين بالأمواق

وكانت هذه الحُفاف تَتَّخِذ من الجلد المدبوغ بالقرظ فيدعونه السِّبْت وينتعل به السادة قال عنتر في معاقته :

بطلٌ كَأَنَّ ثِيابه في سَرَحَةٍ يُجْذِي نعالَ السِّبْتِ ليس بتوأم

ومن لبس زُهَّادهم (المِسْح) وهو ثوب الرهبان من شعر . قال جرير وسَمَّى

الراهب ذا المِسْحِين (التاج ٦٩ : ٨) :

لا وَصَلَ اِذْ صَرَمَتْ هِنْدُ وَلَوْ وَقَفْتُ لَأَسْتَفْتَنَتْنِي وَذَا الْمَسْحُوحِينَ فِي الْقُوسِ
هذه بعض الفاظ نقلناها وقد صرّحوا فيها بذكر النصارى . ولا شك أنّ الفاظاً
أخرى دخلت في العربية بواسطة النصارى من الحبش والروم والسريان كما يدلّ عليها
اصلها الاعجمي كالبرجد والاكيل والتاج والبرنس وابي قلمون والقنسوة والجلباب
والسندس وغيرها وان لم يخصها الكتبة بالنصارى وحدهم

١٠ الفاظهم في الكتابة وادواتها

رأيت في فصل سابق أنّ الكتابة دخلت بين العرب بفضل النصرانية . فلا
عجب ان تكون الالفاظ الدالة على هذه الصناعة قد وردت خصوصاً في آثارهم
ولذلك ترى ذكر ادوات الكتابة مقرونة في اشعارهم بذكر الزبور وكتب الوحي
التي كان الرهبان يتناقلونها في جزيرة العرب ويتأثّقون في كتابتها
فاوّل ما ذكره (القلم) قال معاوية الجعفري (معجم البكري ص ٥٨٢)
يصف منازل دارسة :

فانّ لها منازلَ خاوياتٍ على غملى وففتُ بها الركايا
من الاجزاء اسفل من غملى كما رجعت بالقلم الكتابة

ومثله لكعب بن زهير (البكري ص ٤٤١) :

أتعرف رسماً بين زُهمانَ فالرّقمُ الى ذي مراهيطٍ كما خطّ بالقلمُ

وقال لبيد في معلقته :

وجلا السيولُ عن الطلّال كاتّها زُبُرٌ مُجِيدُ متوحّا اقلامها

وكانوا يكتبون على الجلود وجريد النخل والعظام والواح الرصاص . ومن اشهر
الفاظهم (القرطاس) وهي فارسيّة كالكاغد ويقال قرطس ايضاً . وقد وردت في
الشعر الجاهلي قال الخشّ العُقيلي يصف رسوم دار شبهها بخطّ الزبور على القرطاس
قال (التاج ٤ : ٢١٥) :

كانَ بمِثْ اسْتُودِعَ الدارُ اهلها مَحَطَّ زُبُورٍ مِنْ دِوَاةٍ وَقُرْطَسٍ

ومنها (الأديم) اي الجلد كانوا يصفقونه ويرققونه فيكتبون عليه . قال المرقش :
الدار قفروُ والرسومُ كما رَقَشَ في ظهِرِ الادِمِ قَلَمُ

وكانوا يدعون الأدم الرقاق (ورقاً) قبل ان يصطنعوه من القطن تشبيهاً بورق الشجر في تصفيحه قال جرير (البكري ص ١٠٦):

لن الديار بماقلِ فالأنعم كالوحي في ورق الزبور المعجم
وهو (الرق) ايضاً جمعه الرقوق للجلد وللصحيفة البيضاء والكلمة حبشية
الاصل كما يُظن قال الخالد بن الوليد المخزومي (الاغاني ٣: ١١٢):
هل تعرف الدار اذحت آجها عجباً كالرق اجرى عليها حاذق قلماً

وفي القرآن: «رق منشور». وقد دعوا الاديم والصحيفة البيضاء والحصير المنسوج خيوطه سيور (قضيماً) قال الثابغة (التاج ٩: ٦٩) وفي وصف الرسوم:
كأن مجرّ الرامسات ذبوا لها عليه قضيمٌ غنقته الصوانع
وقد دعوا القرطاس والصُحف البيض (بالمهرق) وهي لفظة فارسية مُهره.
قال الصغاني: المهرق ثوب حرير ابيض يُسقى الصنغ ويُصقل ثم يكتب فيه والكلمة قديمة قال الحارث بن حلزة في معاقته:

واذكروا حلف ذي المجاز وما م قدّم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي وهل م ينقض ما في المارق الا هو
وقال ايضاً (التاج ٧: ٩٦) في الأطلال شَبَّها بكتابة الحبش:
آياها كهمارق الحبش

وقال الاعشى يذكر الأدعية المرقومة في المارق (اللسان ١٢: ٢٤٧):
ربي كريم لا يكدر نعمة فاذا تُنوشد في المارق أشداً
وكذلك كتبوا على (العسيب) اي جريد النخل قال امرؤ القيس:
لن طلل ابصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يماني
وفي الهذليّات قوله:

او زُبر حميرَ بينها احبارها بالحميرية في عسيب ذابل

وكتبوا ايضاً على اللواح (واللوح) كلّ صفيحة عريضة من خشب او عظم كالكتف كانوا يكتبون عليها. وقد ورد في القرآن: «في لوح محفوظ»
(والرقيم) اللوح من الرصاص. قال امية بن ابي الصلت يذكر اللوح الذي

كان مع اصحاب الكهف حيث رُمّ نسبهم واسماؤهم ودينهم (البيضاوي طبعة
ليدن ص ٥٥٥) :

وليس بها الا الرقيمُ مجاوراً وصيّدُم والقومُ في الكهفِ هُجْدُ
وسمّوا مجموع الاوراق المكتوبة (كتاباً) قال زهير في معلّته عمّا يخفى في
قلوب البشر فيدينه الله في الآخرة :
يوخّر فيوضع في كتاب فيدّخر ليوم الحساب او يعجل فيُنقَم
وقال عدي بن زيد الشاعر النصراني في الانجيل (شعراء النصرانية) :
ناشدتنا بكتاب الله حُرمتنا ولم تكن بكتاب الله ترتفعُ
ودعوا الكتاب (بالقط) جمعه القُطوط وهو في الاصل الجلد الذي يكتَب عليه
وقال امية يذكر قومه بني اباد (التاج ٢٠٩ : ٥) :

قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جميعاً والقطُ والقلمُ
وقيل اراد بالقط هنا الانجيل . وقال مثله الاعشى :
ولا الملكُ النعمانُ يومَ لقيتهُ بغبطته يُعطي القُطوطَ وبأفئ
اي يمنح الصكوك للجوائز . وكذلك (الصحيفة) فهي الكتاب ايضاً قال
لقيط الايادي (تاريخ ابن الاثير ١ : ١٥٧) :

سلامٌ في الصحيفة من لقيطٍ الى مَنْ بالجزيرة من اباد
ويروى : « كتابٌ في الصحيفة » . وسمّوا الصحيفة (بالمغلّة) قالوا انها الرسالة
المنقولة من بلد الى بلد . قال صخر النعي في الهذليّات (ed. Kosegarten, p. ١٣) :
أبلغ كبيراً عني مغلّة تهرقُ فيها صحائفُ جدُدُ
فيها كتابٌ ذُبر لمُقتري يَعرفه البهْمُ ومن حشدوا
ومن اسماء الكتاب عندهم (المصحف) وردت في شعر امرئ القيس للدلالة
على كتب الرهبان قال :

فنا نبكي من ذكرى حبيب وعرفانٍ ورسمٍ عفت آياته منذ أزمانٍ
أنت حججٌ بعدي عليها فأصبحت كخط زبورٍ في مصاحف رهبانٍ
ومن اسماء الكتب (المجلة) قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٩٢) :
« المجلة الصحيفة يُكتب فيها شيء من الحكمة » واللفظة آرامية . قال النابغة
يذكر الكتب المقدسة التي كانت في ايدي بني غسان : (التاج ٧ : ٢٦١)

بجَلَّتْهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَدِينُهُمْ قَوْمٌ فَأُيْرَجُونَ غيرِ المواقبِ

ومثلها (السِّفَر) للكتاب من التوراة والانجيل وقد مرّت . وكذلك سَمَّوا الكتاب (سِجِلًا) كما ذكر في المخصّص (٨: ١٣) وفي التاج (٣٧: ٧) والكلمة لاتينية (sigillum) بمعنى الخاتم والكتاب المختوم . وقد عرفوا (القَمَطَر) وهو ما يُصان فيه الكتاب فانشدوا (التاج ٣: ٥٠٦):

ليس بعلمٍ ما يعي قَمَطَرُ ما العلمُ إلّا ما وعاهُ الصَّدْرُ

وكما ذكروا الكتاب كذلك ذكروا (الخطّ) . قال حسان بن ثابت (سيرة الرسول ص ٤٥٤ ed. Wüstenfeld) في رسوم الدار:

عرفتُ ديارَ زينبَ بالكثيبِ كخطِّ الوحيِ في الورقِ القشيبِ

وكذلك قالوا في (السَّطَر) انه الخطّ والكتابة . واصل الكلمة من الآرامية .

وروى في تاج العروس لبعضهم (٣: ٦٧٢):

اني وأسطارٍ سَطَرْنَ سَطْرًا كقائلٍ يا نصرٌ نصرًا نصرًا

وقال الشَّامُخ (اللسان ٥: ٢٢٩):

كما خطَّ عبرانيةً يمينه بتياءٍ حبرٌ ثمَّ عرَّضَ أسطُرًا

وكانوا يتخذون للكتاب سمةً وديباجةً حسنةً وهو (العنوان) قال ابو

دؤاد الايادي (التاج ٩: ٢٧٢):

« لمن طَلَّلَ كعُنْوَانِ الكتابِ »

وكانوا يُعَنِّونَ بوشي الخطّ وتسميقيه . قال علقمة بن عبدة (معجم ما استعجم

للبيكري ص ٥٠٥):

وذكرَنيها بعد ما قد نسيَها ديارٌ علاها وابلٌ متبعٌ
بأَكنافِ شماتٍ كأنَّ رسومَها قُصِمَ صَناعٌ في اديمٍ منمَّقٍ

وقال المرقش الاكبر وبه لقب مرقشاً:

الدارُ قفروُ والرسومُ كما رَقَشَ في ظهرِ الادمِ قَلَمٌ

وقال حاتم الطائي (الاغاني ٧: ١٣٢):

أَتعرَفُ آثارَ الديارِ توهَّمًا كخطِّكَ في رِقِّ كتابًا مُنَمَّنًا

وخصَّ رؤبة الانجيل بالتوشية فقال (ed. Ahlwardt., p. 149):

انجيلُ احبارٍ وحيٍّ مُنَمِّمُهُ ما خطَّ فيه بالمدادِ قلمُهُ
واشاروا الى بعض حروف الكتابة كقول مرَّار بن منقذ في وصف رسوم
الدار يشبه بحرف اللام ما مثلَ منها :

وترى منها رسوماً قد علَّتْ مثل خطِّ اللام في وحي الرُّبْرِ

وكان الكتبة يضاعفون العناية في كتابة صورة العنوان . قال الاخنس بن شهاب
(المفضليات ed. Lyall, p. 410) :

لابنة حطَّان بن عوفٍ منازلُ كما رَقَّشَ العنوانَ في الرقِّ كاتبُ

وقال ابو الاسود على خلاف ذلك (الاغاني ١١ : ١١١) :

نظرتُ الى عنوانِهِ فنبذتُهُ كنبذكَ نعلًا أُخِلِّقَ من نعلِكَ

ومَّا ذكروهُ ايضاً من ادوات الكتابة (الدَّوَاة) قال سلامة بن جندل
(ديوانه ص ١٥ من طبعتنا) :

لمن طَلَّلْ مثل الكتابِ المنمَّقِ خلا عهدُهُ بين الصُّلَيْبِ فُطِرَقِ
اكبَّ عليه كاتبٌ بدواتِهِ وحادثُهُ في العين جَدَّةٌ مُهَرَّقِ

وكذلك صرَّحوا بذكر (المداد) اي الحبر . قال المتلمس يذكر الكتاب الذي
اعطاه عمرو بن هند لعامله في البحرين يسرُّ اليه بقتله (ياقوت ٤ : ٢٢٨) :

والقيتُهُ بالثني من بطن كافرٍ كذلك أُفني كلَّ قِطْعٍ مضلِّ
رضيتُ جالماً رأيتُ مدادها يجول بها التَّيَّارُ في كلِّ جَدْوَلِ

ومثله (النِّقْس) جمعه أنقاس قال زهير بن عاصم (البكري ص ٥٢٤) :

انَّ بلادي لم تكن أَمَلاسا جنَّ خطَّ القلمِ الأنقاسُ
من السبي حيث اعطى الناسا فلم يدعْ لبساً ولا التباسا

وفي الاصل : الانفاسا بالفاء . وهو تصحيف

١٢ بعض الفاظ اخرى متفرقة لنصارى العرب

نذكر هنا بعض الفاظ وردت في اثار الجاهلية بخصوص النصارى واوَّلها اسم
(النصراني) وجمعها النصارى . قال العجاج في مفرداها (ديوانه ص ٦٩) :

كما يعودُ العبدَ نصرانيُّ وبيعةٌ لسورها عليُّ

وقال جابر بن حني في جمعها (شعراء النصرانية ص ١٩٠) :
 وقد رمت بهرا ان رماحنا رماح نصارى لا تخوض الى دم
 وقال طحيم بن الطخمة الاسدي يمدح قوماً من اهل الحيرة من بني امرئ القيس
 ابن زيد مناة بن تميم رهط عدي بن زيد (ياقوت معجم البلدان ٢ : ٩٥٧) :
 بنو السمط والجذاء كل سميذع له في العروق الصالحات عروق
 واني وان كانوا نصارى احبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق
 وقال القطامي يذكر نساء النصارى في صومهن (التاج ٨ : ٩٩) :
 يلدن بأعقار الحياض كائنها نساء النصارى أصبحت وهي كفل
 ومثله لسان (ص ٢٤ من طبعة تونس) :
 فرحت نصارى يثرب وهودها لما توارى في الضريح الملحد
 وعبده الله بن الزبير في حجار بن حجر العجلي (الاغاني ١٣ : ٤٦) :
 سليل النصارى سدت عجلًا ومن يكن كذلك اهل ان يسود بني عجل
 وقال في التهذيب : وجاءت أنصار جمع نصران (اي النصراني) وانشد :
 لما رأيت نبطاً أنصارا

يريد نصارى من النبط (اللسان ٧ : ٦٨ والتاج ٣ : ٥٦٩)
 وكذلك قالوا في مؤنث نصران « نصرانة » قال ابو الاخضر يصف ناقتين
 طأطأتا رأسيهما من الاعياء فشبههما بالنصرانية تطأطأ رأسيها بصلاتها :
 فكلفتها خرت وأسجد رأسيها كما أسجدت نصرانة لم تخف
 وبنوا منه فعلاً فقالوا « تنصر » اي دخل في دين النصرانية . قال حاتم الطائي
 يذكر ديار حيان وكانوا نصارى (الاغاني ١٦ : ١٠٤) :
 وما زلت اسي بين ناب ودارة بلحيان حتى خفت ان أنتصرا
 وقال جعفر بن سراقة احد بني قرة يهجو جميل بن معمر وقومه (الاغاني ٦ :
 : (١٥)

نحنُ منعنا ذا القرى من عدونا وعذرة اذ تلقى هودا وبعثا
 منعاه من عليا معد وانتم سفاسيف روح بين قرح وخيرا
 فريقان رهبان باسفل ذي القرى وبالشام عرافون فيمن تنصرا

ومأ خضوه بالنصارى (الإرآن) وهو سرير الميت او تابوت من خشب كانوا يحملون عليه موتاهم. هكذا رواه شارح ديوان طرفة (شعراء النصرانية ٣٠٠) حيث قال في معلقته يصف ناقته :

أُمُون كألواح الإرآن نشأها على لاجب كائنهُ ظهر بُرْجِدِ

قال التبريزي في شرح المعلقات (ed. Lyall, 33) : الإرآن تابوت كانوا يحملون فيه ساداتهم وكبراءهم دون غيرهم . وقال امرؤ القيس : (ed. de Slane : p. ٣٠١)

وعنس كألواح الإرآن نسأها على لاجب كالبرد ذي الحبرات

قال الشارح (id., p. 99) : الإرآن سرير موتى النصارى

ومنها (الناؤوس) جمعها نواويس . قال في التاج (٢٥٦ : ٤) النواويس مقابر النصارى . والمرجح ان اصل الكلمة من اليونانية (ναός) ومعناها الهيكل والمدفن . ومأ ذكره للنصارى (البوق) وهو النفير الذي يُنفخ فيه . انشد الاصمعي (التاج ٣٠١ : ٦) للعلبيكم (كذا) الكندي :

« زمر النصارى زمرت في البوق »

يريد هنا الروم الذين كانوا ينفخون الابواق في حفلاتهم ومن غريب ما نسبوا الى النصارى اكرام (الوثن) كما مرَّ سابقاً وقالوا « الوثن الصليب » . وكذلك دعوا الصليب والتماثيل التقوية عند النصارى (اصناماً) . كما دعاها جوير (بالزُّون) بمعنى الصنم ايضاً . حيث قال (تاج العروس ٢٢٩ : ٩) : « مَشِي الهرايزر حجوا بيعة الزُّون »

وفي هذه الاقوال غلطٌ فاحش لان النصارى لم يعبدوا قطّ الوثن او الصنم او الزُّون . فضلاً عن كون الهرايزة هم المجوس وانما يكرمون الصليب والصور لما تمثل لهم من شخص السيّد المسيح المصلوب واولياء الله . وشتان بين هذا وعبادة الاصنام

الفصل الثالث

في الأعلام النصرانية

انَّ اعلام الاشخاص في الأمم القديمة من اصدق الشواهد على معتقداتها فلذلك اردنا ان نفرد باباً خاصاً للاعلام النصرانية التي نجد آثارها في جهات العرب قبل الاسلام فلعلها تزيدنا علماً بما كان للدين المسيحي من النفوذ في الجزيرة العربية ومما ينبغي التنبيه اليه بادىً بذ انَّ الأعلام التي ذكرها قدماء الكتبة قبل المسيح للعرب والتي ورد ذكرها لهم في آثار الاشوريين ثم اليونان ثم الرومان لا تفيدنا شيئاً بالاطلاق على توحيدهم . بل كثير منها على خلاف ذلك يُوقفنا على عبادتهم للاوثان وخصوصاً للشمس والقمر والكواكب كما اثبتنا ذلك في مقدّمة القسم الاول من كتابنا هذا . وكذلك يُستدلّ من تلك الاسماء انَّ العرب كانوا يعظمون مواليد الطبيعة من جماد ونبات وحيوان فكثرة الاعلام الدالة على هذه المواليد لا يمكن تحليلها الا بالقول انَّ العرب ألّوها الطبيعة في مظاهرها من القوة والجمال والحياة فرأوا فيها تجليات معبوداتهم

ومما يولي العجب اننا لا نجد بين هذه الاعلام القديمة السابقة لعهد المسيح اسماً واحداً يثبت لنا ما زعمه بعض كتبة العرب بعد الاسلام حيث قالوا بلا سند انَّ العرب كانوا موحدين وانهم اخذوا التوحيد عن ابراهيم الخليل وعن اسماعيل ابنه ثم توارثوه بتوالي الاعصار . فالأعلام الواردة في الآثار القديمة تنفي هذا الزعم حتى ان اسم اسماعيل ابي العرب عينه لم يُروَ لاحد منهم في تلك الكتابات وعلى خلاف ذلك اننا نجد في تلك الاعلام ما لا يدع شُبهة في شرك العرب كبقية الامم

هذا الى عهد المسيح . وليس الامر كذلك بعد ظهور النصرانية فاننا اذا استقرينا الاعلام العربية التي رواها اقدم كتبة العرب عن تاريخهم المتوسّط بين عهد السيد المسيح الى ظهور الاسلام امكناً ان نبين من تعدادها ان النصرانية كانت نفذت في بلاد العرب وان تلك الاسماء انما دخلت بينهم بانتشار الدين المسيحي ولعل البعض يرون انَّ عدد هذه الاعلام قليل بالنسبة الى ما ذكرناه عن شيوع

الدين النصراني بين العرب في الجاهلية فجوابنا على ذلك : أولاً انَّ العرب النصارى

تبعوا غالباً في اسمائهم عادات قبائلهم القديمة دون ان يمتازوا باسماء جديدة لم يأفوها في سابق الاجيال

ثانياً ان منهم من كان له اكثر من اسم واحد كما هي عادة كثيرين من نصارى الشرق في بلادنا فكانوا بالمعمودية يستون اولادهم باسم يدل على نصرانيتهم وأما في المعاملات العادية فكانوا يطلقون عليهم اسماً آخر مألوفاً كمالك وصالح وحبيب وسعد

ثالثاً لا بل نعرف من شهادة تاريخهم ان بعض النصارى في جزيرة العرب تسموا باسماء وثنية كانت جوت في الاستعمال ونسي معناها الاصلى كعبد المدان ومنهم بنو عبد المدان النصارى في نجران وكعبد القيس الذي ينتسب اليه بنو عبد القيس النصارى الذين ذكرناهم قبلاً. وهكذا جرى ايضاً لنصارى اليونان والرومان والسريان فانهم بعد تنصرهم تسموا باسماء كان اصلها وثنياً مشيراً الى معبوداتهم كركوريوس وديونوسيوس وباخوس ومرطيوس لكن تلك الاسماء كانت فقدت بالاستعمال معانيها الوثنية

فاذا ادركت ما سبق فنقول ان الاعلام نصرانية بين العرب على خمسة اشكال فمنها ما استعاروه من الاسفار المقدسة ومنها ما اشاروا فيه الى الاسم الكريم ومنها ما خص بالنصارى دون غيرهم ومنها ما كان تعريباً لاسماء نصرانية ومنها اخيراً ما دل على بعض الصفات الموافقة لاحوال النصارى

١ الاعلام النصرانية المستعارة من الاسفار المقدسة

هذه الاعلام مشتركة في بلاد العرب بين النصارى واليهود ونحن نضرب الصفح عن اسماء اليهود لخروج ذلك عن غرضنا فنذكر اسماء سواهم ممن ينتمون غالباً الى القبائل التي اثبتنا نصرانيتها وذلك على ترتيب حروف المعجم (آدم) تسمى بعضهم في الجاهلية باسم ابي البشر. منهم «آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب» قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٤٤): «قتل في الجاهلية وهو الذي وضع النبي صلعم دمه يوم فتح مكة». ومنهم آدم مولى بلعنير ذكره

ابو تَمَّام في الحماسة ولعلَّه آدم بن شدقم الغنبري الذي روى له ياقوت شعراً في معجم البلدان (٣: ٣٧٣)

(ابراهيم) قال التبريزي في شرح الحماسة (١: ١٧٥ ed. Freytag): قال ابو العلاء: ابراهيم اسم قديم ليس بعربي وقد تكلَّمت به العرب على وجوه فقالوا ابراهيم وهو المشهور و ابراهام وقد قُرئ به وإبراهم على حذف الياء وإبرهم وذكر هناك اسم شاعر قديم دعاه « ابراهيم بن كُنيْف النَّبْهَانِي » . ومَن تسمَّى بإبراهيم ابراهيم بن ايوب بن محروف عم الشاعر النصراني عدي بن زيد (التاج ١ : ١٥١) . ومنهم قوم من الصحابة ذكرهم ابن الاثير في اسد الغابة في معرفة الصحابة (ج ١ ص ٤٠ - ٤٤) عُرفوا باسم ابراهيم تسمَّوا به في الجاهلية كابراهيم الاشعري وابراهيم بن الحارث بن خالد التيمي القرشي المهاجر وكلي رافع ابراهيم القبطي قال انه « كان مولى رسول الله صلعم » وابراهيم بن عبَّاد الاوسي الذي شهد موقعة أحد وابراهيم بن قيس بن معدي كرب الكندي مَن وفدوا على نبي المسلمين . وابراهيم النجَّار قال « انه صنع المنبر لرسول الله » . وقد جاء اسم ابراهيم على صورة اخرى وهو اسم أبرهة ذكره العرب للحبشة وأشهر من دُعي به أبرهة الذي حارب ذا نوَّاس وتملَّك على اليمن . وبه سمي قبله أبرهة ذو المنار احد ملوك اليمن ابن الرائس الذي اشار اليه الشاعر في وصف نوب الدهر (حماسة البحري ٨٣) :

وَأَصْبَنَ اِبْرَهَةَ الَّذِي سَجَدَتْ لَهُ صُمُّ الْفَيْوُلِ صَوَامِنًا لَمْ تَنْطَقْ

(إدريس) ليس هذا الاسم على لفظه في الاسفار المقدسة . والعرب يزعمون انه احد الآباء الاولين قال في تاج العروس (٤ : ١٤٩) : « هو خنوخ او اخنوخ المذكور في التوراة » . وقد تسمَّى به احد النصارى الوافدين على محمَّد رسول الاسلام كما رواه ابن الاثير في اسد الغابة (١ : ٤٤ و ٤٧)

(ارميا) راهب في طور سيناء مات شهيداً قتلته البلاطيون سنة ٤٧٣ وتذكَّره في ١٤ كانون الأوَّل

(إسحاق) دُعي باسم اسحاق احد شعراء الحماسة في ابي تَمَّام (ص ١٤٠) وهو اسحاق بن خَلَف . وذكر ابن الاثير من الصحابيَّين (١ : ٦٨) اسحاق الغنوي .

ومَن اشتهر باسم اسحاق بين نصارى العرب راهب استشهد في طور سيناء قتل مع

رهبان آخرين في سنة ٤٧٣ وتذكاره واقع في السنكسارين الغربي والشرقي في ١٤ كانون الثاني ويدعونه اسحاق سلاثيل

(اسراييل) لم نجده بين الأعلام السابقة للإسلام وُسِّي به بعد الاسلام قليلون كاسراييل بن يونس الراوي ذكره الطبري غير مرة في تاريخه واسراييل بن السَّمْدَع ذكره ياقوت في معجمه (٤٨٢:١) واسراييل بن رَوْح (فيه ٣٣:٢)

(إسماعيل) اقدم ما نعرف مَن تسموا بهذا الاسم شهيد نصراني كان ارسله ملك العجم سنة ٣٦٢ للمسيح سفيراً الى يليانوس الجاحد القيصر الروماني ليبرم معه عهد الصلح وكان اسمعيل هذا مع اثنين آخرين نصرانيين مثله اسمهما مانويل (او عَمَّانويل) وسابيل فعرض عليهم يليانوس جحود دينهم فأبوا فأمر بقتلهم فماتوا شهداء ايمانهم وعيدهم واقع في الكنيسة في ١٨ حزيران (راجع اعمال البولنديين Acta Sanctorum, vol., IV Jun. pp. 231-246) وُسِّي بهذا الاسم ايضاً رجلان من الصحابة اسماعيل الزبدي ورجل آخر ذكرهما ابن الاثير في أسد الغابة (ج ١ ص ٧٩-٨٠)

(اشعيا) هو اسم احد الرهبان العرب في طور سيناء المستشهدين سنة ٤٧٣

(الياس) ورد هذا الاسم لاحد اجداد نبي المسلمين وهو الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. راجع كتاب الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٠) وقد زعموا ان الاسم مشتق من يئس والصواب ان الاسم عبراني الاصل وبه سُمِّي النبي الياس الشهير وبه سُمِّي بعد الاسلام الياس بن حبيب الفهري عامل افريقية (اطلب تاريخ اليعقوبي ٤٦٤:٢) . ومن المحتمل ان اسم « اياس » الشائع عند العرب هو صورة مختلفة لاسم الياس . وبهذا الاسم عُرف احد النصاري وهو اياس بن قبيصة النصراني وقد ذكرنا في شعراء النصرانية (ص ٩٣) شيئاً من شعره . وكان احد سادة قومه وابنه اياس كان عاملاً لكسرى انوشروان على الحيرة . ومَن عُرف بين عرب النصاري باسم الياس راهبٌ استشهد في طور سيناء سنة ٣٨٠ تذكاره في ٢٠ تشرين الثاني . وكذلك الياس بطريك اورشليم (٤٨٠-٥١٨) القديس كان مولده في جزيرة العرب

(أيوب) هو اسم بعض العرب في الجاهلية منهم أيوب بن محروف وهو جد

الشاعر النصراني عدي بن زيد . قال ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني (١٨ : ٢) :
 « كان أيوب هذا فيما زعم ابن الاعرابي أول من سُمي من العرب أيوب » . وذكره
 في تاج العروس (١ : ١٥١) مع ابنه ابراهيم عم الشاعر عدي بن زيد وروى قول
 ابن الكلبي فيهما قال : « ولا اعرف في الجاهلية من العرب أيوب و ابراهيم غير هذين
 وإنما سُميا بهذين الاسمين للنصرانية » . وقد ذكر ابن الاثير في أسد الغابة (١ :
 ١٦٢) رجلين من الانصار دُعيا بأيوب ولا شك ان هذا الاسم كان اسمهما في
 الجاهلية وهما « أيوب بن بشير الانصاري وأيوب بن مكرز » . وقد ذكر البحري في
 حماسته (اطلب طبعتنا ص ٢٦٠ و ٢٦١) مقاطيع من الشعر لشاعر دعاه عُبيد بن
 أيوب . وكذلك ورد اسم أيوب في شعر النابغة حيث قال (شعراء النصرانية ص
 ٦٥٥) :

مستشعرين قد ألقوا في ديارهم دُعاء سُوِع ودعيّ وأيوب

يريد ان بني قُعين دعوا الى الحرب هذه الاحياء الثلاثة قال الشارح : « وهم
 احياء من اليمن من غسان وهم نصارى وقيل هم رهبان »
 (بنيامين) هو احد شهداء طور سينا سنة ٤٧٣

(حنة) هذا الاسم ورد للذكور والاناث فهو كحنان ويوحنا . اما للاناث فهو
 كلم حنة ام صموئيل . ومن الاول حنة والد عمرو الصحابي الانصاري وابو حنة
 البصري ذكرهما في تاج العروس (٩ : ١٨٥) . واما من الثاني فحنّة بنت هاشم بن عبد
 مناف القرشي عم محمد ذكرها اليعقوبي في تاريخه (١ : ٢٨١ و ٢٨٣)

(حواء) ذكر ابن الاثير في أسد الغابة (٥ : ٤٢٩) اربع نسوة من الانصاريات
 عُرفن باسم حواء فتسمين به في عهد الجاهلية وهن حواء بنت السكن ام بجيد
 الحارثية زوجة قيس بن الخطيم الشاعر الذي قُتل قبل الهجرة . وحواء بنت رافع بن
 امرئ القيس . وحواء بنت زيد بن السكن وكلهن من بني عبد الاشهل . والرابعة
 حواء بنت يزيد بن سنان زوجة قيس بن شماس . وقد اختلفوا في نسبهن وعددهن
 (حيقار) هو من الاسماء الكتابية ورد في سفر طوبيا في الترجمة اليونانية
 (١ : ٢٣) . وفي تاريخ الطبري (١ : ٧٤٥) ان احد بني معد بن عدنان الذين خرجوا

مع اليمانيين الى الريف كان يدعى بالحيقار بن الحيق

(داؤد) هو احد اعلام النصرانية المتواترة في الجاهلية . واقدم من عُرف به احد ملوك الضجاعة الذين سبقوا غسان وتنصروا مع بني سليح واسمه « داود اللثق » قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٣١٩) « هو الذي يُضاف اليه دير داؤود بالشام وقد ملك زماناً » . وقد روى الكلبي في الجمهرة نسبة فقال : « هو داود بن هبولة اخي هباله بن عمرو بن عوف بن ضجعم » . ويروى اسم داؤود على صورة دؤاد قال الاسود بن يعفر (حماسة البحتري ص ٨٣) يصف منازل آل محرق :
ارضٌ تخبرها لطيب مَقيلها كعبُ بن مامة وابنُ امّ دؤاد

ومن مشاهير شعراء بني اياد النصارى في الجاهلية « ابو دؤاد الايادي » اطلب شعره في حماسة البحتري (ص ٨٧) . وقد ذكر هناك (ص ١٤٤) شاعر آخر دُعِي داؤد وهو داؤد بن حَمَل الهمداني . ومن موالي الانصار داود بن بلال (ذكره في اسد الغابة ٢ : ١٢٩)

(زكريّا) دُعِي بهذا الاسم احد بني خزاعة وهو زكريّا بن علقمة الخزاعي ذكره ابن الاثير في أسد الغابة (٢ : ٢٠٥) وقال انه دُعِي ايضاً كُرْزاً . وذكر في الاغانى (١٩ : ١٢) زكريّا بن ثبابة الثقفي

(سُليمان) ذكر اليعقوبي في تاريخه (١ : ٢٩٩) بين حكام العرب في الجاهلية سليمان بن نوفل مَمَّن حَكَمُوهم لشرفهم وصدقهم ورئاستهم . وذكر البحتري بين قدماء الشعراء (في حماسته ص ٢٢٦) سليمان بن المهاجر العدوي . وروى ابو تمام (ص ٤٣٥) شعراً لسليمان بن قَتَّة . وذكروا بين الانصار عدة رجال دُعوا باسم سليمان كسليمان الليثي بن اكيمة وسليمان ابن ابي حشمة القرشي وسليمان بن صرد الخزاعي وسليمان بن عمرو بن حديدة الذي قُتل يوم أحد وسليمان بن مُسهر وسليمان بن هاشم ابن عتبة القرشي (اطلب أسد الغابة ٢ : ٣٥٠ - ٣٥٢) . ولعل الذين تسمّوا في الجاهلية بِسُأَمٍ وسَلَامٍ وسَلْمَانٍ وسالم اشاروا باسمائهم الى سُليمان . والدليل عليه ما ورد من الشعر في سُليمان الحكيم بتغيير صورة اسمه فدعاه الاسود بن يعفر سَلَاماً قال (التاج ٨ : ٣٤٤) :

ودعا بمحكمة امين سكها من نسج داود اي سلام

ومثله للحطيئة :

فيه الرماح وفيه كل سافه جلاء مُحْكَمَةٍ من نسج سلام

ودعاهُ النابغةُ سُليماً فقال ناسباً اليه نسج الدروع (ديوانه ص ٩٩)
وكلَّ صَموتٍ نَثَلَةٍ تُبَعِّيةٍ ونسجُ سُليَمٍ كلُّ قضاءٍ ذائلٍ

(سِنْعَان) من المحتمل ان يكون هذا الاسم كتابياً او نصرانياً محضاً وقد دُعي به قوم في الجاهلية منهم سِنْعَان بن عمرو بن قريظ سيّد بني كلاب الذي كتب اليه رسول المسلمين يدعوه الى الاسلام فرقع دلوهُ بالكتاب كما ذكر ابن سعد (ص ١٩-٢٠ ed. Wellhausen) ثمّ خاف واسلم . وذكر ابو حاتم سهل السجستاني في كتاب المعتمرين (ص ٥٤ ed. Goldziher) سَمْعَان بن هُبَيْرَة قال : « وهو ابو السَّمَال الاسديّ عاش ١٦٧ سنة » وقالوا انه كان في الردّة . وفي أسد الغابة لابن الاثير (٣٥٥ : ٢) صحابيَّان كان اسمهما سَمْعَان وهما سَمْعَان بن خالد الكلبي وسَمْعَان بن عمرو بن حجر ولعلّ الأوّل منهما هو الذي ذكره ابن سعد . واسم سَمْعَان ورد ايضاً على صورة شَمْعُون كما ستري (راجع ياقوت معجم البلدان ٢ : ٦٧٢)
(السَّمْوَل) وهو سَمُوئِيل وصَمُوئِيل وشموئيل ايضاً . وقد اثبتنا في ديوان السموءل ما يرجح كون السموءل بن عاديا نصرانياً وعليه يكون الاسم شاع ايضاً بين النصارى . وقد ذكر ابن هشام في سيرة الرسول حبراً من اليهود يُدعى سَمُوئِيل بن زيد (ص ٣٥٢ و ٣٩٨ ed. Wüstenfeld)

(عِمْرَان) ومثله (عَمْرُو) اسمان شائعان بين عرب الجاهلية ولعلّهم استعاروهما من عَمْرَام وعُمري الواردين في التوراة فعَمْرَام هو ابو موسى وهارون ومريم (عدد ٣ : ١٧) ورُوي في القرآن عِمْرَان فجعله كلبي العذراء مريم (٣ : ٣١ و ٦٦ : ١٢) . وعُمري اسم لاحد ملوك اسرائيل ولبعض ابناء اسرائيل . ومن شتهروا باسم عمرو في الجاهلية عمرو بن كلثوم التغلبيّ الشاعر النصراني الشهير وعمرو بن قيسَة وعمرو بن الاهتم التميمي وغيرهم . واشتهر باسم عِمْرَان عِمْرَان بن مرة بن الحارث وعمران بن الحصين الصحابي

(مريم) تعدّدت نساء العرب المدعوّات بمريم نذكرهنّ في الباب الثالث
(موسى) دُعي به بعض العرب قبل الاسلام كموسى بن الحارث (سيرة الرسول ص ٢١١) واي موسى الاشعريّ (ابن سعد ٧٠) وموسى بن جابر الحنفّيّ احد شعراء الحماسة قال في خزانة الادب ولبّ لبّاب لسان العرب (١ : ١٤٦) : « هو احد شعراء

بني حنيقة المكثرين يقال له ابن الفريعة وهي أمه ويقال كان نصرانياً . وكان اسم رسول الغسانيين موسى وهو منصرهم في القرن الرابع كما مر في القسم الاول . وكذلك احد المستشهدين من نساك العرب في جبل سيناء سنة ٤٧٣ كان يدعى موسى (لوط) ذكر ابن سعد في الوفادات (ص ١٩ ed. Wellhausen) في جملة

الرواة المعاصرين لنبي المسلمين « لوط بن يحيى الازدي »

(النعمان) اقدم من ذكره التاريخ بهذا الاسم النعمان بن بنيامين بن يعقوب (تكوين ٢١: ٤٦) وبه عرف قائد ملك سورية الذي ابراهه اليا النبي . وقد شاع بعد ذلك بين العرب ولعائهم استعاروه من الاسفار المقدسة

(نوح) سمي باسم نوح احد نصارى ربيعة وهو نوح بن مجلد ورد ذكره في أسد الغابة (٤٥: ٥) . وذكر في الاغاني (٩٠: ٢١) رجلاً دعاه بابن نوح كان في اوائل الاسلام

(هارون) لم يحضرنا. اسم احد من الجاهلية دعي بهارون . ولعل هارون بن النعمان بن الاسلث الاوسي (الاغاني ١٥: ١٦١) الذي كان في اوائل الاسلام سمي به قبل الاسلام

(يعقوب) كان من شهداء طور سيناء سنة ٤٧٣ المسمى يعقوب . وذكر ابن الاثير (اسد الغابة ٥: ١٢٧) بهذا الاسم من اهل الجاهلية الذين أسلموا يعقوب بن اوس ويعقوب بن الحصين ويعقوب بن زمعة ويعقوب القبطي . وذكر في الاغاني (٦٤: ٤) من جملة المغنين في أول عهد الاسلام يعقوب بن الهبار

(يوسف) عرف بهذا الاسم احد شهداء المدائن سنة ٣٥٠ (Acta Sancto-rum, III Apr., p. ١٩) ومن المدعوتين به يوسف بن الحكم الثقفي وكان في أول ظهور الاسلام . وذكر ابن الاثير (١٣٢: ٥) يوسف الفهري من جملة الصحابة

(يونس) هو اسم يونان النبي . وذكروا بين الانصار يونس بن شداد الازدي ويونس المظفري الاوسي (اسد الغابة ٥: ١٣٢) فالاسم سبق الاسلام . والدليل عليه ايضاً اسماء رهبان كانوا في جزيرة العرب وعرفوا باسم يونس (Jonas) . ثم ان هذا الاسم اذا شددت النون يراد به اسم يوحنا النصراني على لفظ اليونانية (Ἰωάννης) كما سنبين

٢ الاعلام المتضمنة للاسم الكريم او لبعض صفاته

هو الصنف الثاني من الاعلام النصرانية وما تختص به هذه الاعلام انها تحتوي على الاسم الكريم بلفظه او ببعض صفاته الالهية فمن ذلك الاسماء التي تُختتم بإيل . ورد في تاج العروس (٢١٨:٧): « قال الاصمعي في معنى جبريل وميكائيل : معنى ايل الربوبية فأضيف جبر وميكا اليه فكأن معناه عبد إيل ورَجُل ايل . وقال الليث : هو بالعبرانية وهو اسم من اسماء الله تعالى » وقد مرَّ في ذكرنا للملائكة ما ورد في الشعر الجاهلي من ذكر جبريل وميكائيل واسرافيل وما اشبهها . وأما هل دُعي احدٌ في الجاهلية بهذه الاسماء فلم يحضرنا من ذلك شيء . إلا جبرئيل بن ناضرة المَعافري احد رققة عمرو بن العاص (اطلب معجم البلدان لياقوت ٣: ٨٩٦)

ولا يبعد ان اسم « جبر » الشائع في الجاهلية كان مقتصر عن « جبريل » كجبر بن عتيك وجبر بن عبد الله القبطي وجبر الكندي كانوا في اول الاسلام وقد سبقت اسمائهم الاسلام (اطلب أسد الغابة لابن الاثير ١: ٢٦٥ - ٢٦٧) . ويدخل في هذا الباب اسماء عبرانية ورد ذكرها في الفصل السابق في جملة الاعلام المنقولة عن الاسفار المقدسة كاسرائيل واسماعيل

ومنها (شراحيل) احد الاسماء الشائعة في الجاهلية كشراحيل بن مالك بن ذبيان من اشراف العرب وشراحيل بن مرة الهمداني وشراحيل بن زرعة الحضرمي (تاج العروس ٧: ٣٨٩) وشراحيل بن عبد قيس البلوي (حماسة البحتري ص ١٩٦) وبني شراحيل بن الشيطان بن حارث (اشتقاق ابن دريد ص ٢٤٣) وغيرهم ايضاً والاسم آرامي معناه « أطلق الاله »

ومنها (شرحبيل) شاع ايضاً في الجاهلية كشرحبيل بن السَّمط (اشتقاق ابن دريد ص ٢١٨) وشرحبيل ذي رعين الحميري (ص ٣٠٧) وشرحبيل بن حسنة وشرحبيل بن عبد الله من الصحابة المهاجرين الى الحبشة (سيرة الرسول ص ٢١٣) وشرحبيل بن غيلان (ص ٩١٥) وغيرهم . ولعل هذا الاسم هو كالاسم الآرامي

شربل (هَنْبَل) عُرف به احد شهداء النصرانية في مدينة الرها ودُعي به احد جثالة الكلدان

ومنها (شُمُوِيل) ولا نعرف نصرانياً دُعي به في الجاهلية وقد ذكر ابن هشام من يهود قريظة الذين اسلموا (ص ٣٥٢) شُمُوِيل بن زيد وعزّال بن شمويل والاسم عبراني معناه عَظُمَ اللهُ. وقد سبق ان اسم « السموءل » هو كشموئيل او صموئيل

ومنها (شَمْعَلَة) وهو اسم بعض شعراء النصارى اخصّهم شَمْعَلَة بن فاند وشمعة بن الاخضر الضبي (تاج العروس ٣٩٩: ٧ وحامسة الي تمام ٢٨٢ و ٦٤٠). وذكر ابن سعد بين الوافدين على مُحَمَّدٍ المسمّى شمعة. وفي الاغاني (١٠: ٩٩) شَمْعَلَة بن عامر شاعر نصراني حملة بعض خلفاء بني امية على الاسلام فلم يُسلم « فغضب فامر به فقطعت بضعة من فخذه وشويت بالنار واطعمها ». ويقال شَمْعَل ايضاً (كامل البرد ed. Wright, p. 524) وعلى رأينا ان هذا الاسم تعريب لإسمعيل ومعناه « سمع الرب »

ومنها (شَهْمِيل) وقيل شهيميل ابوبطن من العرب وهو اخو العتيك بن الاسد بن عمران بن عمرو مزيقيا. ولعلّ معناه « عزّ الرب وجل »

ومن هذه الاسماء ما أُضيف الى اسم الله وقد مرّ الكلام في هذا الاسم الكريم واصله. فمن ذلك (أَحْمَسُ اللهُ) ورد في كتاب الوفادات لابن سعد (Wellhausen Skizzen, ٦٩ « وَأَنْسَ اللهُ » (ص ٦٦ Ibid. وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٢١٩) « وَأَوْسُ اللهُ » بمعنى عطاء الله (تاج العروس ١٠٢: ٤ - ١٠٣) و « تيم الله » بطن من بني بكر بن وائل وبطن من النمر بن القاسط (التاج ٨: ٢١٦) و « وهب الله » في الكتابات الحورانية وغيرها (Journ. As., 1882, p. 8-10)

فهذه الاسماء باضافتها الى الاسم الكريم تدلّ على توحيدِ تعالى الذي دخل كما سبق الى بلاد العرب على يد دُعاة النصرانية خصوصاً

واشهر منها اسم « عبدالله » الذي كان يعمّ كل النحاء جزيرة العرب. وهذا الاسم ورد على صورتين امّا باضمار الاسم الكريم وامّا بالتصريح به وكلاهما قد تسمّى به نصارى كثيرون في الجاهلية

فاماً الصورة الاولى فقد جاء على صورة (عَبْد) كعبد بن حنيف احد بني إحيان من لحم باني دير الأكيراح (معجم المستعجم ص ٣٧٣) وكطرفة بن العبد الشاعر الشهير وعلى صورة (عَبْدَة وَعَبْدَة) كعَبْدَة بن الطبيب (الاغاني ١٨: ١٦٣) وعلقمة بن عَبْدَة وكلاهما من فحول الشعراء.

وعلى صورة (عَبْدَان) اسم رجل من اهل البحرين (التاج ٢: ٤١١) وعلى صورة (عُبَيْد وَعُبَيْد) كعُبَيْد بن الابرص الشاعر الشهير (الاغاني ١٩: ٨٤) وعُبَيْد بن عُوَيْج القرشي (الاغاني ٦: ٦٠) وعُبَيْد بن اوس الظفري وعُبَيْد بن رفاعة الزرقى (أسد الغابة لابن الاثير ٣: ٣٤٦ - ٣٤٨). وعلى صورة (عُبَيْدَة) كعُبَيْدَة بن عبد المطلب (اشتقاق ابن دريد ص ٥٤). وعلى صورة (عابد) كعابد بن عبدالله بن مخزوم (تاج العروس ٢: ٤١٤). وقد مرَّ ان «العَبَاد قبائل شتى من العرب اجتمعوا بالحيرة على النصرانية» (ابن دريد ص ٧). وقد وردت ايضاً على صورة (عُبَادَة) كعُبَادَة بن عقيل (ابن دريد ص ١٨٢) وصورة (عَبُود) روى في التاج (١٣: ٢) اسم رجل يدعى عبُوداً آمن بالانبياء. وعلى صورة (عَبَاد) كعَبَاد بن عمرو بن كلثوم الشاعر النصراني (الاغاني ٩: ١٨٣) وكالحارث بن عباد سيّد بني بكر في حرب البسوس (شعراء النصرانية ص ٢٧٠). وعلى صورة (عُبَادَى) قال في التاج (٨: ٤١٤) انه «اسم نصراني». وعلى صورة (عَبْدُون) المنسوب اليه دَيْر عَبْدُون (مستعجم البكري ٤٧٤).

اما المضاف الى الاسم الكريم (فَعَبْدُالله) وهو اسم كثير من تسمّى به من اهل الجاهلية حتى بلغوا المئين كعبدالله بن جدعان سيد قريش وممدوح اميّة بن ابي الصلت (الاغاني ٨: ٢ - ٦) وعبدالله ابي رسول الاسلام. وكالشاعر بن عبدالله بن رواحة (الاغاني ٤: ٤ - ٧) وعبدالله بن الزُبَيْري (أسد الغابة ٣: ١٥٩) وعبدالله بن غطفان (التاج ٧: ٢٣٩) الخ. وقد جاء على صورة التصغير (عُبَيْدُالله) كعُبَيْدُالله ابن الحرّ الجعفيّ الفارس الشاعر (ابن دريد ٢٤٣) وحامسة البحتري ص ١٠٣) وعُبَيْدُالله بن عبد المدان (حامسة البحتري ص ١٣٧). وكذلك اختصروه (بَعْبَدَل) كعَبْدَل بن حارث العجليّ وعبدل بن حنظلة احد شرفاء العرب (التاج ٢: ٤١٤).

وقد اضافوا العبد الى الاسماء الحُسنى الدالّة على الاله الحقّ فقالوا (عَبْد الواحد)

كعبد الواحد بن منيع السَّعْدِيّ (حماسة ابي تمام (ص ٣٠٣ ed.Freytag)
وقالوا (عبد الرحمن) كعبد الرحمان بن رَواحة من الصحابة (ابن ذريرد ٢٦٨)
وعبد الرحمان بن كعب (فيه ٢٧١) وعبد الرحمن بن رُبَعي (حماسة البحتري ص
٣٣) وغيرهم كثيرين . روى ابن دريد في الاشتقاق عن ابن الكلبي (ص ٣٦)
انَّ «الرحمان صفة منفردة لله تبارك وتعالى اسمه لا يوصف بها غيره» . وقال ابن
الكلبي وقد سمَّت العرب في الجاهلية عبد الرحمان . . . ورؤي للشنفرى في الرحمن :
لقد لطمَت تلك الفتاة هَجِينَهَا أَلَا بَتَرَ الرحمنُ رَبِّي يَمِينَهَا

واقدم الآثار التي ورد فيها اسم الرحمان الكتابة الحميرية التي رُقمت على سُدَّ
مأرب سنة ٥٤٢ - ٥٤٣ للمسيح بامر أبرهة ملك الحبش ففي أولها ما تعريبه «بقوة
ونعمة ورحمة الرحمان ومسيحه وروحه القدوس» (راجع الصفحة ٦٣ من الجزء
الأول) وعليه قد ثبت أنَّ اسم الرحمان اسم نصراني واليه انتسب الذين دُعوا
باسم عبد الرحمان . ومثله (الرحيم) كعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي (حماسة ابي
تمام ص ٤٩ و ٥٤)

وقد اضافوا العبد الى اسماء حسنى غيرها كالأعلى من صفاته تعالى فقالوا (عبد
الأعلى) كعبد الأعلى بن صامت العبدى (حماسة البحتري ص ٢٠٣) . وكذلك اضافوا
الى الملك فقالوا (عبد الملك) كعبد الملك المذكور آنفاً . وعبد الملك بن أكيدر
صاحب دومة الجندل النصراني السابق ذكره وعبد الملك بن علقمة الثقفي (أسد
الغابة ٣: ٣٣٢) . و اضافوا الى المَنَّان فقالوا (عبد المَنَّان) منهم عبد المَنَّان بن عبد
المسيح المتلمس الشاعر النصراني (الآغاني ١١: ١٨٧) . والى الحميد فقالوا (عبد
الحميد) منهم عبد الحميد ابن حفص بن المغيرة المخزومي (أسد الغابة ٣: ٢٧٦)
فهذه الاسماء كلها تشير الى توحيد اصحابها في الجاهلية وقد سبق القول أنَّ
اعتقاد الاله الواحد في الجاهلية دخل خصوصاً بواسطة الدين المسيحي

ويوجد اسماء أخرى لنصارى من العرب يشير ظاهرها الى الوثنية وانما سقطت عن
معناها الأول كما حدث عند اليونان والرومان بعد تنصُّرهم . فمن ذلك (عبد قيس)
و (امرؤ القيس) تسمَّى بها النصارى كما مرَّ وان كان اسم قيس يدلّ على بعض
اوائلهم القديمة . وكذلك (المدان) من اوائل حمير كما قالوا وكان بنو عبد المدان

في اليمن من اشراف نصارى نجران . ومثله (كِلَال) واليه نُسب عبد كِلَال احد ملوك حمير المنتصرين كما سبق . ومثله ايضاً (العزيز) كان من اصنام بعض قبائل العرب . وبه عُرف عبد العزيز بن سيف بن ذي يزن الحميري . وُذكر في تاج العروس (٤١٢ : ٢) خمسة من نصارى الحيرة في جملتهم عبد عمرو وعبد ياليل . وقالوا ان ياليل

اسم ضم (١)

ومثله (يَغوث) تسمّى به عبد يغوث الحارثي سيّد بني مذحج (الاغانى ١٢ :

(١٥٣

هذا ما حضر لنا من اسماء اهل الجاهليّة الدالة على دين التوحيد والمحتوية لصفاته تعالى . ولا شك انها دخلت بينهم بتأثير النصرانية

٣ الاعلام النصرانية المحضة

هو الصنف الثالث من الاعلام النصرانية التي شاعت بين عرب الجاهليّة وهذه الاعلام يستدلّ من مجرد منطوقها انها لنصارى ليست لسواهم وها نحن نروي ما لقينا منها على ترتيب حروف المعجم :

(أَبَجَر) قد دُعي بعض نصارى العرب بهذا الاسم كأبجر بن جابر سيد بني عجل النصارى (الاغانى ١٠ : ٢٧) والعرب يشتقونه من « بَجَر » اي عظم بطئه . ولعلّ الاصح اشتقاقه من السريانية ومعناه فيها الاعرج وبه عُرف ملوك الرُّها الاباجرة (أفريم) هو اسم نصراني يُشار به الى ملفان السريان القديس افرام الكبير . وقد عُرف به أفريم أسقف الحيرة الذي ذكرته هند الكبرى في كتابتها التي اوردناها في الجزء الاول (ص ٩١)

(إيشوع) و (يشوع) ورد في الاسم الاضافي عبد يشوع كما ستري . وجاء مفرداً ايضاً لبعض اساقفة العراق كإشوع بَرْنون (كتاب المجدل لماري بن سليمان ص ٧٥)

(ايليا) هو اسم الياس الذي مرّ ذكره ولعلّه على هذه الصورة شاع بين

النصارى خصوصاً . ومَنْ تسمّى به ايليا اسقف نجران الذي ذكره ياقوت في معجم البلدان (٣٨ : ٢) وايليا الكشكراني (المجلد ٣٨)

(بولس) جاء في اعمال شهداء نجران انّ ذا نوّاس لما دخل نجران غيلةً وقتل اهلها نبش قبر اسقفها « بولس » المتوفى قبل ذلك بستين فأحرق رمه

(جرجس) شهيد النصرانية المعروف . وبهذا الاسم عرف جرجس اسقف العرب الكاتب السرياني الشهير . وكان اسقفًا على بني طي في اواسط القرن السابع (Duval : Littérature Syriacque, p. 377)

(جُرَيْج) وقيل (جَرِيح) عرف به جُرَيْج الراهب (الطبري ١ : ٣٨٣ وسيرة الرسول ٤٠٧) وعبد الملك بن جريج وشبث بن قيس بن جريج (تاج العروس ٢ : ١٥) وورد جُرَيْج بين اعلام اليمينين (الاشتقاق لابن دريد ٣٢٩) . والاسم على رأينا شبيه بجرجس او مشتق منه (اطلب الملاحقات بتاريخ الطبري Add.) (DLXXXIII) وقد ورد عند العرب على صورة جُرْجَه . قال في التاج (١٥ : ٢) : « بنو جُرْجَه المكيون » ولعل بعض هذه الاسماء العربية مشتقة عن اسم القديس جرجس رسول عرب اليمن واسقف الحميريين (راجع القسم الاول ص ٦٤)

(رومان) عرف بهذا الاسم عند العرب بنو رومان بطن من بني طي (ابن دريد في الاشتقاق ٢٢٨) وكان لبني المسلمين مولى يُدعى رومان الرومي ذكره في التاج (٣٢٠ : ٨) . وذكر معه صحابياً يُدعى رومان بن نعجة من الصحابة . وام رومان بنت عويمر الكنانية هي والدة عائشة زوجة نبي الاسلام . وكذلك ذكر ابن سعد (ص ١٩) في كتاب الوفود يزيد بن رومان . ولا نشك في ان هذا الاسم تعريب رومانوس احد مشاهير القديسين في حدود العرب . وقد جاء على لفظ الاعجمي في تاريخ الطبري (٢٢٠ : ٢) حيث ذكر حروب المسلمين لنصارى الانبار فقال ان قضاة كان عليها رئيساً « رومانوس بن وبرة » . وكذلك ياقوت في معجم البلدان (٣٧٩ : ٢) ذكر « ابن رومانوس الكلبي » وقال هناك انه « كان اخا النعمان »

(سَرَجِس) اسم شهيد عظيم استشهد مع القديس بكس او باخوس على عهد

مكسيميانوس المقتصب في اوائل القرن الرابع . وقد عرف العرب النصارى امره

وكان على اسمه عدّة اديرة (راجع معجم البلدان ٢: ٦٦٧ ومعجم ما استعجم للبكري ص ٣٧٤). لا بل تسمّى باسمه بعض نصارى العرب. فقد ذكر الطبري (١: ١٨١٢) راوياً كان في بدء الاسلام دعاه موسى بن سرجس. وكذلك ذكر للزُبَيْر غلاماً باسم سرجس (١: ٣١٨٥). وقد روى عبد المسيح بن اسحاق الكندي في رده على الهاشمي (طبعة لندن سنة ١٨٨٠ ص ٧٢) أنّ الذي تردّد على محمّد نبي الاسلام كان اسمه سرجيوس. ولقبه بُجيرا معناه العالم وهو الذي اشار اليه في القرآن في سورة النحل (عدد ١٠٥) حيث قال عن المكيين: «ولقد نعلمهم انهم يقولون انّا يعلمه بشر». ولعلّ اسم سرجون صورة أخرى من هذا العلم. وقد عرف في دمشق يوم فتح العرب «سرجون بن منصور الرومي» الذي دعاه الطبري (٢: ٢٠٥ و ٢٢٨) «كاتب معاوية وصاحب امره». وهو ابو القديس يوحنا الدمشقي الذي عُرف بابن سرجون او سُتّي بجده ابن منصور وعنده كان يتزل الاخطل (الاغاني ٧: ١٧٤). وقد ذكر في الاغاني (١٤: ٩٤ و ١٦: ٢٢) كنديم النعمان بن المنذر المسمى «سرجون بن نوفل»

(سمعان) و (شمعون) قلنا سابقاً (راجع الصفحة ٢٣٣) انه من المحتمل ان يكون ايضاً هذا الاسم نصرانياً محضاً وذلك امّا اشارة الى القديس سميان بطرس ويقال شمعون الصفا هامة الرسل او الى سميان العمودي الشهير بين العرب. ومَن يضاف الى من ذكرنا سابقاً «اوس بن سميان» الصحابي (اسد الغابة ٢: ١٤٦) وابو ریحانة شمعون بن يزيد الازدي (التاج ٥: ٤٠٣ وأسد الغابة ٣: ٤). وشمعون اسم لاساقفة وجبساء اشتهروا قبل الاسلام في العراق وجهات العرب كشمعون اسقف الانبار في ايام الملك انوشروان (تاريخ ماري بن سليمان ٥٣. ed. Gismondi) وشمعون اسقف الحيرة (فيه ص ٥٦) وشمعون بن صباي الشهيد اسقف المدائن (ص ١٦)

(شمّاس) قد كثّر هذا الاسم في الجاهلية وبه عُرف بطن من تميم «بنو شمّاس» ومنهم قيس بن شمّاس ذكره في الحماسة وشمّاس بن عثمان بن الشريد الذي قُتل يوم أحد (الاشتقاق لابن دريد ص ٦٤) وغيرهم ايضاً. والبعض يشتقون هذا

الاسم من شماس الفرس اي جموحه . ومن المحتمل ان اصل هذا الاسم من السريانية (ܡܕܡܚܡܐ) بمعنى خادم الدين . والله اعلم

(عبد المسيح) هو ادلُ الاسماء العربية على نصرانية الذين تسموا به وعددهم بين العرب ليس بقليل واقدمهم عبد المسيح بن باقية بن جهم سادس ملوك جهم على مكة الذي ذكرناه في القسم الاول من كتابنا (ص ١١٦) . ومنهم عبد المسيح ابن عسلة الذي روينا شعره في شعراء النصرانية (ص ٢٥٤) نقلاً عن الفضليات . ومنهم عبد المسيح بن عمرو بن ببيعة الغساني كان سيد اهل الحيرة واحد المعمرين . قال ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين (ص ٣٨ : ed. Goldziher) انه « ادرك الاسلام فلم يسلم وكان منزله في الحيرة وكان شريفاً في الجاهلية » . وذكر له ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٧٧) ديواً بناه « عرف باسمه كان بظاهر الحيرة وفيه وجد قبره وكان عليه مكتوباً :

حَلَيْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ حَيَاتِي وَنَلْتُ مِنَ الْمُنَى فَوْقَ الْمَزِيدِ
فَكَافَحْتُ الْأُمُورَ وَكَافَحْتَنِي فَلَمْ أَخْضَعْ لِمُعْضِلَةِ كَوْثُودِ
وَكَدْتُ إِنْ أَلُ فِي الشَّرَفِ الثَّرْيَا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ

ولعبد المسيح هذا شعر روي في كتب الادب سنجمعه ان شاء الله . وممن دُعوا باسم عبد المسيح الشاعر الجاهلي الشهير بالملتمس واسمه عبد المسيح بن جرير (راجع شعراء النصرانية ص ٣٣٠) . ومنهم عبد المسيح بن الديان من سادة نجران قال الاعشى يمدحه وآله (شعراء النصرانية ٣٨٢) :

وَكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتْمٌ عَلَيْكَ حَتَّى تُنَاخِيَ بِأَبْوَاها
تَزُورُ يَزِيدًا وَعَبْدَ الْمَسِيحِ وَقَيْسًا وَهُمْ خَيْرُ أَرْبَاها

وذكر ياقوت (٤ : ٧٥٦) بين سادة نجران عبد المسيح بن دارس بن عدي بن معقل وقال هناك ان كعبة نجران كانت له وهي قبة من آدم وثلاثمائة جلد يؤمن فيها الخلق ويُرفد المسترفد وتُقضى حاجة كل طالب (قال) وكانت على نهر بنجران . ومن وفود نجران على نبي المسلمين احد اساقفتهم يدعى العاقب قال ابن سعد في كتاب الوفود (ص ٧٦) انه كان من كندة وان اسمه عبد المسيح . ومنهم ايضاً « عبد المسيح بن المؤهب » الذي روى له البحري شعراً في حماسه (اطلب الصفحة ١٩٦ من طبعتنا) .

هذا فضلاً عن اساقفة بهذا الاسم تولّوا رعية كنائس العراق ورد ذكرهم في تواريخ النصرانية وكان بينهم رجال من اصل عربي

(عبد ياسوع) ذكر صاحب التاج (١٢:٢) هذا الاسم لاحد عرب الحيرة المعروفين بالعباد. واشهر منه (عبد يشوع) او (عبد ايشوع) على اللفظ السرياني. وبه عُرف في جهات العراق قبل الاسلام عدة اساقفة ورهبان كعبد ايشوع الحبس ذكره ابن ماري في المجلد (ص ٢١) وعبد ايشوع الميثاني صاحب العمر (ص ٢٨) وعبد يشوع القناني رسول العرب (فيه)

(عدي) هو اسم شاع في الجاهلية وتسمّى به كثير من نصارى العرب كعدي ابن زيد الشاعر النصراني الشهير (شعراء النصرانية ص ٤٣٩) وعدي بن حنظلة (تاريخ الطبري ١٠١٦:٢) وعدي بن اوس ابن مارينا (فيه ايضاً ١٠١٨:١) وعدي بن حاتم الطائي (١٧٠٦:١ - ١٧١٠). وعلى ظننا ان هذا الاسم اعجمي اصله ادي او عدي كان احد تلامذة المسيح ومبشراً لايامه بين الكلدان والعرب وقد افاض المؤرخون في ذكره

(عيسى) هو اسم السيد المسيح في القرآن. ومن العجب العجائب اننا لم نجد ذكراً لهذا الاسم بين اعلام العرب في الجاهلية. ولعل رسول الاسلام اخذه على هذه الصورة من يهود يثرب الذين روه كذلك بغضاً بالنصارى واسارة الى عيسو

(فراسية) ورد هذا العلم في مروج الذهب للمسعودي (ed, Barbier de Meynard, III, 200) فقال هناك ان المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة كانت أمه «الفراسية» بنت مالك بن المنذر من آل نصر. وهذا الاسم نصراني بحث كما نبّه اليه الطابع (ص ٤٥٠) وهو تصحيف «اوفراسية» (Euphrasie) اسم عدة شهيدات نصرانيات

(فيلبس) اسم احد رسل السيد المسيح. وهو اسم فيلبس العربي اول القياصرة المنتصرين (راجع القسم الاول ص ٣٢)

(فيمون) هو اسم الراهب السائح الذي دخل نجران ونصرها كما رويناه في القسم الاول (ص ٥٩-٦٠) والاسم اعجمي لا محالة لعلمه معرب من اليونانية

Εὐφρημος اي البليغ والحسن النطق

(قس) اسم معرّب من السريانيّة وهو فيها **صَمْعِل** اي الشيخ يدلّ خصوصاً على الكاهن النصراني وبه دُعي خطيب العرب اسقف نجران « قس بن ساعدة الايادي » (اطلب شعراء النصرانيّة ص ٢١١) . ومن إياد ايضاً كان المسمّى الحُسّ ابن حابس ابو هند بنت الحُسّ الاياديّة » (التاج ٤ : ١٣٧) الشهيرة بفصاحتها . وعلى ظننا انّ « الحُسّ » هنا كالقُسّ

(ماري) هو اسم التلميذ الذي دعا الى الايمان بالمسيح في جهات العراق وانشأ على ما يقال كرسي المدائن . وبهذا الاسم عُرف قبل الاسلام ماري الفارسي اسقف بيت اردشير (اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني ج ٣ ص ١٧١)

(مارية) هو اسم مريم على لفظه اليوناني واختصّت به نساء النصارى على هذه الصورة مشيرات به الى العذراء الطاهرة . منهنّ « مارية بنت الحارث » الكنديّة قرينة المنذر ملك الحيرة والدة ابنه الاسود (الاغاني ٢ : ٣٢) . ومنهن مارية بنت الارقم بن ثعلبة من ملوك بني جفنة الغسانيين (التاج ١٠ : ٣٤١) وابنها الحارث الاعرج الذي فيه قال حسان :

اولادُ جَفَنَةَ حولَ قبرِ ابيهم قبرَ ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفضلِ

ومنهنّ مارية بنت ظالم بن وهب اخت هند الهنود امرأة حجر الكندي وامّ عمرو بن الحارث صاحبة القُرَظَيْنِ اللّذينِ بحسْنهما يُضْرَبُ المثلُ « خذهُ ولو بقُرْطَيِ مارية » (امثال الميداني ١ : ٢٠٤) . ومنهنّ « مارية ابنة حنظلة » امّ جابر بن الجبر سيّد بني عجل النصارى (الطبري ١ : ١٠٣٣) . و « مارية بنت الصّباح الشيبانيّة » من بني هند (الاغاني ٦ : ١٧٨ - ١٧٩) وابنها قيس بن شراحيل الذي فيه قال الحارث بن حلّزة يشير الى الصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس :

فبَلّا سَعِيَتَ لصلحِ الصديقِ كصلحِ ابنِ ماريةِ الأَقْصَمِ

ومنهنّ « مارية أمة هند ابنة النعمان » (الاغاني ٢ : ٣٢) . ومنهنّ ايضاً « مارية القبطيّة » ابنة شمعون التي اهداها صاحب مصر المقوقس الى نبيّ المسلمين فولدت له ابنه ابراهيم (تهذيب الاسماء للنووي ص ٨٥٣) وذكر ابن عبد البر النمريّ القرطبي في كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب (ج ٢ ص ٧٨٣) أمتين لمحمّد اسمهما « مارية »

(مَرْقُس) هو اسم احد الانجيليين وتلميذ بطرس زعيم الرسل . وبه عُرف احد شعراء الحماسة (حماسة ابي تمام ص ٢٩٧ ed. Freytag) وقد ضُبط هناك بفتح القاف مَرْقُس . (قال) واسمه عبد الرحمان المعني احد بني معن بن عَتُود

(مَرْيَم) هذه صورة اخرى لاسم مريم العذراء وفيه اشارة ايضاً الى مريم اخت موسى . ومَنْ تَسَمَّى بمریم بين العرب مريم ابنة عثمان من زوجته نائلة ابنة الفرافصة النصرانية (الطبري ١ : ٣٠٥٦) وله ابنة اخرى بهذا الاسم من ام عمرو (فيه) . كذلك ذكروا « مريم ابنة اياس الانصارية » (الاستيعاب ٢ : ٧٨٢) وقد تَكَنَّى بابي مريم عدّة من العرب منهم احد بني حنيفة « ابو مريم الذي قتل زيد بن الخطاب » (الاشتقاق ٢٠٩) و « ابو مريم البلوي » (تاريخ الطبري ١ : ٢٣٨٥) وقد ورد الاسم على صورة مريام كابي مريام الاسقف (الطبري ١ : ٢٥٨٤ - ٢٥٨٥)

(مَرِينَة) او (مَرِينَا) اسم نصراني لاحدى الصالحات . وكان في الحيرة « قوم من اهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ينتسبون الى لحم وكانوا اشرافاً » (الاغانى ٢ : ١٢) وقد عدّهم في محل آخر (٨ : ٦٤) من « العباديين »

(ميكَال) هو اسم ميخائيل الملاك الذي مرّ . وقد ورد في تاج العروس (٩ : ١١٩) اسم جد البيت الميكالي بنيسابور فدعاه « ميكال بن عبد الواحد » ورقى نسبة الى ملوك الفرس

(هِرْمَز) او (هرمز) احد شهداء النصرانية في العراق . وبه تَسَمَّى بعض نصارى العرب كهرمز اسقف مدينة عَمَّان الذي حضر المجمع الخلقيدوني واثبت اعماله بامضائه

(هُود) احد الانبياء على ما يقال أرسل الى العرب . ومن المحتمل انه اسم نصراني وانه صُحِفَ عن يَهُودا احد رسل السيد المسيح الذي يذكره القدماء كداعي العرب الى النصرانية . ولعل اسم « هَوْدَة » صورة اخرى لهذا الاسم عُرف به هَوْدَة بن علي ذو التاج احد بني حنيفة النصارى الذي ذكرناه سابقاً

(الهَيْجَانَة) كذا دعاها المسعودي في مروج الذهب (٣ : ١٩٩ و ٤٥١)

وسمّاها الطبري (١ : ٨٨٢) الهَيْجَانَة وهي ام ملك الحيرة النعمان بن امرئ القيس

وقال الطبري أنها كانت ابنة عمرو بن ابي ربيعة بن ذهل . واسمها اعجمي يوافق اليونانية H'γoumévη ومعناها الرئيسة والسيدة (يحنه) اسم نصراني شهير . وقد اشتهر به ملك أيلة « يحنه بن رؤبة » الذي كتب اليه رسول الاسلام يدعوه الى طاعته (راجع كتاب الوفود لابن سعد ٢٧ : ١٧ ed. Wellhausen) وكتبه الطبري (٢٣٧٤ : ١) « يوحنة بن رؤبة » . وورد في التاج (١ : ١٨٥) اسم « حنة » كوالد عمرو الصحابي وهي صورة أخرى للاسم ذاته

(يونس) مرَّ بك انه تعريب اسم يونان النبي . ولا نشك في انه اسم يوحنا على لفظه اليوناني فشأنه ان يحرك يُوَنَس . Ἰωάννης لا سيما اذا كان المتسمون به من النصارى وتجد في تاريخ نصارى العراق ممن دُعوا بهذا الاسم وهم يكتبونه يُوَانِيس (راجع تاريخ ماري بن سليمان ص ٧٦ و ٨٣ و ٩٩) وقد ذكر ياقوت (٢ : ٧١٠) بين اديار مصر « دِيرُ يُخَنَس » وهو اقرب الى الاصل

٤ الاعلام النصرانية الوصفية والممدول بها والمعرّبة

هو الضرب الاخير من الاسماء التي تسمّى بها بعض نصارى العرب في الجاهلية ففنها ما هو صفة محضة كصفات شائعة في زماننا مثل نجيب وانيس الا انها ادل على احوال النصارى ومعتقداتهم . ومنها ما عدل به عن منعوت نصراني او نقل معناه الى العربية . ولا نطرق هذا الباب الا بكل حذر لئلا ينسبنا القارى الى المبالغة ولعل غيرنا يتسع فيه

(امرؤ القيس) لا بدع ان بعض نصارى الجاهلية دُعوا بهذا الاسم ولعل اقدمهم هو امرؤ القيس المعروف بالبدء الذي ذكر ابن الكلبي وابن خلدون (راجع الجزء الاول ص ٧٧) انه اول من تنصر من ملوك آل نصر في العراق . ومنهم امرؤ القيس الشاعر الكندي الذي اثبتنا نصرانيته في مقالة سابقة ردّا على حضرة الاب انتاس (المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٩٩-١٠٠٦) . ولعل سائلا يسأل وما اصل هذا الاسم ؟ قد اجاب الكاتب المتفنن جرجي افندي زيدان في « كتاب العرب قبل الاسلام » (ص ١٦٦) ان هذا العلم احد الاسماء « التي اقتبسها العرب من الامم المجاورة لهم »

كاليونان والسرّيان وقد حرّفوها » (قال): « فامروؤ القيس مثلاً نظنّه تحريف ماركوس (مرقس) وربما تعمّدوا تحريفه ليكون له صبغة عربيّة . . . ويؤيد ذلك أنّ هذا الاسم (امروؤ القيس) لم يكن معروفاً عند العرب قبل النصرانيّة او قبل مجاورتهم اليونان ». هذا رأي رصيفنا جرجي افندي ويا ليتّه صحيح لكنّه لا يقنعنا والمرجح ما يقوله المستشرقون أنّ الاسم مركّب من « امرؤ » و« قيس » اي رجل قيس او عابد قيس من معبودات العرب القديمة وقد بقي الاسم مع سقوط معناه الوثني . والله اعلم (بحير او بحيرا) على رأينا أنّ هذين الاسمين بمعنى واحد وانهما من السريانيّة « حَمَمٌ » ومعناه الرجل الحاذق والعالم والاغلب انه لقب . وقد عُرف بهذا الاسم بحيرا الراهب الذي اجتمع بمحمّد صاحب الشريعة الاسلاميّة وكان اسمه سرجيوس كما قلنا . وذكر في أسد الغابة لابن الاثير (١: ١٦٧) رجلاً آخر شامياً بهذا الاسم قدم على رسول المسلمين مع سبعة آخرين . وكذلك اسم بحير كان شائعاً في الجاهليّة ذكر في تاج العروس (٣: ٢٩) اربعة من الصحابين بهذا الاسم اشهرهم بحير بن ابي ربيعة المسنّى عبد الله وبحير الانباري

(بشر وبشير) كلا الاسمين كان شائعاً في الجاهليّة وكثر في القبائل التي مرّ بيان نصرانيّتها كبشر بن الحارث الصحابي وبشر بن المعلّى سيّد بني عبد القيس النصارى المعروف بجارود (الاشتقاق لابن دريد ١٨٦) وبشر بن ابي خازم الاسدي الشاعر . وبشير الكعبي احد بني الحارث بن كعب اصحاب نجران النصارى (أسد الغابة ١: ٢٩٣) . وعلى رأينا أنّ في هذا الاسم اشارة الى اسم البشارة او أنّه استعير من الآراميّة بهذا المعنى فاتّخذهُ النصارى في الجاهليّة كما يدعون اليوم باسم بشاره وبشير

(البعّث) هو اسم بعض اهل الجاهليّة النصارى اخصّهم بعث بن حريث الحنفي وبعث بن رزام التغلبي . واشهر منهما بعث اليشكري الشاعر واسمه خدّاش بن بشير من بني مجاشع واسم امّه وردة . قالوا انه دُعي بعثاً لقوله :

تبعتّ مني ما تبعث بعد ما أمرت قواي واستمرّ عزمي

وعندنا أنّ لهذا الاسم علاقة مع البعث اي المنبعث من الموت كما دعا نصارى

العرب بهذا المعنى « Anastase » ونذكر أنّ الاب انستاس الكرملي اتحفنا في

المشرق بمقالة تحت امضاء « البعيث الحضري » وهو تعريب اسم حضرته الكريم (توبة) هو اسم يُشعر بزهد النصارى تسمى به في الجاهلية او في اوائل الاسلام توبة بن عمران الاسدي (ياقوت ٣: ١٠٥) وتوبة السلولي واسمه عبد الملك (فيه ١: ٥٨٧) وتوبة بن الحُمير الخفاجي الشاعر (الاغاني ١٠: ٦٧) (ثبت) شاع هذا الاسم في اواخر عهد الجاهلية ولا سيما بين القبائل المنتصرة من تنوخ وعبد قيس وقيم وثعلبة وغيرها . ولعله احد الاسماء المنقولة عن الاعلام النصرانية الاجنبية كمثل « Constans » اللاتينية او « Firmus » (جابر) مما دُعي به بعض النصارى في الجاهلية كالشاعر التغلبي جابر بن حني (شعراء النصرانية ص ١٨٨) وجابر بن شمعون اسقف الحيرة في أيام النعمان بن المنذر (الاغاني ٢: ٢٦) لعله من الاسماء المستعارة من اوصاف اللاهوت كجبر وجبار وجبرئيل كما مرَّ

(الحارث) احد الاعلام التي استحبها النصارى في الجاهلية فتسمى به ملوكهم الفسائيون وكثيرون من اساقفتهم الذين وقَّعوا على اعمال المجامع بهذا الاسم منقولاً الى اللاتينية (Aretas) ومن رؤساء قبائلهم كالحارث بن كعب الذي ذكرنا وصيته الى ابنائه (ص ١٢٨) او كصاحب نجران المستشهد على عهد ذي نواس (ص ٦٠) واشتهر ايضاً الحارث بن عباد شاعر بني بكر وسيدهم (شعراء النصرانية ص ٢٧٠) . والحارث بن حلزة البكري (شعراء النصرانية ص ٤١٦) وابو الحارث الاسقف احد وفود الينيين على محمد في السنة ٩ للهجرة (الطبري) . اما اصل هذا الاسم فليس بثابت . وقد زعم الكاتب الاديب جرجي افندي زيدان في كتابه العرب قبل الاسلام (ص ١٦٦) انه معرب من اليونانية (قال) « فالحارث يجوز ان يكون ترجمة جيورجيوس اليونانية ومعناها العامل بالارض » . وفي قوله نظر لأن هذا الاسم سبق عهد النصرانية وبه عُرف ملوك من النبط

(حبيب) هو عند النصارى لقب للرسول يوحنا بن زبدي لأن السيد المسيح خصه بمحبته بين تلاميذه (١) . وعلى ظننا ان النصارى الذين سُئوا به اشاروا الى

(١) وفي شرح المفسرين للقرآن يدعوهُ « حبيباً التجار » وقالوا ان ما ورد في سورة يس « اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعزَّزنا بثالث » يراد بهم حبيب التجار (اي يوحنا الحبيب) ويعقوب وسمعان بطرس

(حكيم) من المحتمل ان الذين دُعوا في الجاهلية باسم حكيم كحكيم بن حزام بن خويلد (اشتقاق ابن دريد ٥٨) وحكيم بن قبيصة بن ضرار التغلبي (حماسة ابي تمام ص ٧٩٢ وحماسة البحتري ص ٦١) وحكيم بن جبلة العبدي من بني عبد القيس (أسد الغابة ١: ٣٩) وغيرهم انما أُشير باسمائهم الى سليمان الحكيم (خالد) هو ايضاً احد الاسماء التي تشعر باعتقاد النصرانية بالآخرة وخلودها فلا عجب ان يكون النصارى دعوا به اولادهم في الجاهلية كخالد بن سنان العبسي النبي الذي كان يدعو قومه الى النصرانية (راجع الصفحة ١٣٥) وخالد بن عمرو الشيباني (حماسة البحتري ص ٣٦) وخالد بن حِقّ الشيباني (سيرة الرسول ٤٦) ومن المحتمل ايضاً انهم عربوا ذلك من اعلام نصرانية يونانية (xix) او رومانية (Perennis, Perpetuus, f. Perpetua) . ومثل خالد تسميتهم بجالدة وُخلدة وُخويلد وُخلدة وُخلاد (اسد الغابة ١: ١١٩-١٢٢ و ١٢٧)

(الحِضْر) هذا الاسم الذي اختلف فيه المسلمون ايّ اختلاف فقالوا انه النبي الياس او النبي اليساع او النبي ادريس او القديس جرجس وجعلوه من غلمان موسى في شرحهم على سورة الكهف لم نجد له اثرًا بين اعلام الجاهليّة . ولو كان قديماً لدُعي به احد النصارى او اليهود قبل الاسلام وقد زعم البعض انه تعريب «Horus» (الحليل) اسم ابراهيم ابي المؤمنين الذي اصطفاه الله واحبّه . ورد هذا الاسم

في شعر ورقة بن نوفل الراهب النصراني^١ (اطلب شعراء النصرانية ص ٦١٨):

ثَلَاثِي خَلِيلَ اللَّهِ فِيهَا وَلَمْ تَكُنْ مِنَ النَّاسِ جَبَّارًا إِلَى النَّارِ هَاوِيَا
فَأَصْبَحْتَ فِي دَارِ كَرِيمٍ مَقَامُهَا تَعَلَّلُ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ لَاهِيَا

وجاء في القرآن في سورة النساء (٤ : ١٢٤) : « وَاَتَّخِذِ اللّٰهُ اِبْرٰهِيْمَ خَلِيْلًا » .

وسبقه السموءل فقال (راجع ديوانه الذي طبعناه ص ٣٠) :

فهذا خليلٌ صيّرَ الناسَ حوله رباحين جنّاتِ الفصون الذوابل

(سَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَأَسْعَدُ) دُعِيَ بهذه الاسماء بعض نصارى العرب في الجاهلية كَسَعْدِ بْنِ مَالِكِ ابْنِ الْمَرْقَشِ الَّذِي دَفَعَ ابْنَهُ إِلَى أَحَدِ نَصَارَى الْحَيْرَةِ لِيُعَلِّمَهُ الْخَطَّ (الآغاني ٥: ١٩١) وَسَعْدِ بْنِ الضُّبَابِ صَاحِبِ أَمْرِ الْقَيْسِ (٨: ٧١) وَسَعْدِ الَّذِي نُسِبَ إِلَيْهِ دِيرُ سَعْدٍ (يَاقُوت ٢: ٦٦٩) وَأَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ (أَسَدُ الْغَابَةِ ١: ٧١) فَلَا يَبْعُدُ أَنَّ النَّصَارَى اتَّخَذُوا هَذِهِ الْأَسْمَاءَ مَعْرَبَةً عَنْ لُغَاتِ الشُّعُوبِ الْمَجَاوِرَةِ كَلِسْمِ الشَّهِيدِ « Felix » مثلاً. وَإِلَى هَذَا الْبَابِ يَعُودُ اسْمُ سَعْدَانَ وَبِهِ سُمِّيَ « سَعْدَانُ بْنُ عَبْدِ يَسُوعَ » الْمَذْكُورُ فِي الْآغَانِي (٢٠: ١٢٨) فِي حُرُوبِ قَيْسٍ وَتَغْلِبِ

(سالم) نجد هذا الاسم لاحد اساقفة بلاد العرب الذي حضر المجمع الخلقيدوني ووقع على اعماله في اليونانية « Σωλόμενος » (راجع الشرق المسيحي Lequien : Oriens Christianus, II, 866)

(صالح) هذا الاسم سبق الاسلام. ومؤرخو العرب يزعمون ان نبياً بهذا الاسم أرسل الى قوم ثمود يدعوهم الى الله والى نبذ عبادة الاصنام واجترح الآيات تأييداً لدعوته فأبى اكثرهم ان يراعوا عن غيهم فضر بهم ضربة عظيمة واهلكهم الا الذين آمنوا فتوجه بهم الى مكة . وليس بالمستبعد ان النبي المذكور احد دُعاة النصرانية الذين سبق لنا ذكرهم . وما يؤكده كُتُبُ العرب (راجع سيرة الرسول لابن هشام ص ٢١، ed. Wüstenfeld) ان فيمبون الذي دعا اهل نجران الى النصرانية صحبه في دعوته ولزمه رجل اسمه صالح من عرب الشام وذكر في أسد الغابة (٣: ٩) مولى لرسول المسلمين يُدعى صالحاً كان اصله من نصارى الحبش . وكذلك ذكر ابن دريد في الاشتقاق (ص ٥٨) صالح بن عبدالله قال « قُتِلَ بِقُدَيْدٍ وَكَانَ صَالِحاً دِيناً ». فهذا الاسم على ما نرى مستعار من اعتقاد نصراني او هو معرب عن اسم اجنبي نحو « Justus » او « Innocens » او « Pius »

(صخر) احد اعلام الجاهلية المستفيضة فهو بمثابة كيفا (صُخْلَا) السريانية Petrus اللاتينية والصفة العربية وهو الاسم الذي ميز به السيد المسيح هامة رسله اذ جعله كصفاة عليها تُبنى بيعة . وليس لدينا برهان قاطع على ان العرب ارادوا باسم صخر الاشارة الى القديس بطرس كما زعم جرجي افندي زيدان (في كتاب العرب

قبل الاسلام ص ١٦٦) حيث قال ان العرب ترجموا الاسماء اليونانية فسمّوا بها

وضرب مثلاً على ذلك اسم الحارث كما مرّ واسم «صخر» فقال انه «ترجمة بطرس» (مالك) نظنّ أنّ هذا الاسم بين نصارى الجاهلية أمّا معرب عن اليونانية وأمّا مشير الى احد اولياء النصارى. والدليل على الاول ما رويناها سابقاً (ص ٨١) عن احد امراء العرب الوافدين على القديس سمعان العمودي سمّاه الكاتب (Basilicus) اي مالكا. والدليل على الثاني اسم رجلين من نساك النصارى اشترا باسم Malchus في ما بين النهرين والعراق (BHO, pp. 131-132)

(محمّد) مرّ في الفصول السابقة (ص ١٢٦ و ١٤٨) أنّ اسم محمّد من اعلام زمن الجاهلية. وإنّ النصارى عرفوا به كمحمّد بن سفيان بن مجاشع احد اساقفة تميم وكذلك محمد بن حمران من نصارى مذحج ومحمد بن خزاعي من ذكوان ومحمد احد بني سليم (Sprenger I, 161). وهذا الاسم يشبه بعنه عدة اسماء يونانية لرجال اشتهروا في بلاد العرب اخضعهم اوتيبيوس رسول العرب واودوكسيوس احد الشهداء الاولين فمن المحتمل ان يكون عرب عن بعضها

(منصور) نجد هذا الاسم بين اعلام الجاهلية. منهم في بني ايد النصارى منصور بن يقدم بن افصى بن دعي بن ايد. ومن بني ربيعة منصور بن جفونة قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٨٠): «كان شريفاً بالشام سيّداً». ومن قضاة منصور ابن جمهور من رجال كلب. واشتهر في دمشق ابن منصور في عهد بني امية وهو القديس العلامة يوحنا الدمشقي. وليس بالمستبعد ان يكون هذا الاسم معرب من اسم يوناني مثل (Nicon, Nicolas) او لاتيني مثل (Vincent, Victor)

٥. الاعلام النصرانية الجغرافية

نضيف الى اعلام الاشخاص النصرانية الاعلام الجغرافية التي تدلّ على معرفة العرب لمزارات النصارى واكرامهم لها

(أورشليم) عاصمة اليهود قبل المسيح اضحت بعده مدينة مقدّسة يكرمها النصارى ويتبركون بزيارتها. والعرب لم يدعوها بعد الاسلام بهذا الاسم وانما جاءت على هذا اللفظ القديم في شعر الاعشى قال (معجم البلدان ١: ٤٠٢ واللسان ٥: ٩٦):
وطوّفتُ (١) للمال آفاقه عُمانَ فحِصَصَ فأرِيشلِمَ

اتيتُ النجاشيَّ في داره وارضَ النبطِ وارضَ العجمِ
 ورووا: أوريسلم وأوراسلم. وذكروا حديثاً لطاء (اللسان ٥: ٩٦): «أبشري
 أورى سلم براكب الحمار» قالوا يريد بيت المقدس. وهذا الحديث منقول عن نبوة
 زكريا في السيد المسيح ودخوله الى اورشليم (متى ٢١: ٥): «قولوا لابنة صهيون
 هوذا ملكك ياتيك وديعاً راكباً على اتان وجحش ابن اتان»
 (إيليا) هو اسم آخر لبيت المقدس لكنه روماني الاصل دعاهُ به ادريانوس
 الملك بعد محاربته لليهود في القرن الثاني للمسيح فخرّب بقايا المدينة اليهودية وشيّد
 هيكلًا للمشتري ودعى المدينة لذلك «Ælia Capitolina» وروى ياقوت أنّ معنى
 ايليا بيت الله. والصواب أنّها مشتقة من اسم اسرة القيصر ادريانس المدعوة ايليا.
 وانشد في معجم البلدان (١: ٤٢٤) لبعض الاعراب يصف بعيدهُ وسيرهُ الحديث
 في جهات فلسطين:

فلوان طيراً كلّفتُ مثلَ سيره الى واسطٍ من ايليا كلّكتُ
 سمى بالمهاري من فلسطين بعدما دنا الفياء من شمس النهار فولّت
 فما غاب ذاك اليوم حتى اناخها بميسان قد حلّت عُراها وكلّكتُ

وكذلك دعاها الفرزدق بهذا الاسم فقال (ياقوت ١: ٤٢٤):
 وبيتان بيت الله نحن ولأته وقصرُ بأعلى ايلياء مُشرفُ
 (سدوم) مدينة ورد ذكرها في سفر التكوين عاقب الله اهلها لمآثمهم. وقد
 عرف العرب في الجاهلية امرها فقال عمرو بن درّاك العبدي (في التاج ٨: ٣٣٥
 واللسان ١٥: ١٧٧):

واني وان قطعتُ حبالَ قيسٍ وخالفتُ المرون على نعيم
 لأعظمُ فجرةً من ابي رغالٍ وأجنورٍ في الحكومة من سدوم (١)

وقال امية بن ابي الصلت (صحاح الجوهري ٢: ٢٩٧):
 كذلك قوم لوط حين أمسوا (٢) كعصف في سدومهم ريم
 (سينا) قال ياقوت (٣: ٢٢٠): «موضع بالشام يضاف اليه الطور فيقال
 طور سينا وهو الجبل الذي كلّم الله تعالى عليه موسى بن عمران عم ونودي فيه».

(١) يريد بابي رغال احد ملوك الطائف الذي دلّ الحبشة على الكعبة يوم اتوا ليخربوها.
 (٢) وروى: لاعظم صفة من شيخ مهو (٣: ٥٩) ياقوت (٣: ٥٩): حين أضحوا

وورد هذا الاسم في القرآن قال في سورة المؤمنين (٢٣: ٢٠): «وشجرة تخرج من طور سيناء». وربما دُعي بالطور دون اضافة كقوله (في سورة مريم ١٩: ٥٣): «ونادينا» (اي موسى) من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً». ومثله قوله عن رؤيا موسى للعوسجة (سورة القصص ٢٨: ٢٩): «آنس من جانب الطور نارا» (صهيون) احدى تلال القدس الشريف التي احتلها الملك داود ويراد بها مجازاً مدينة القدس او احدى كنائسها. وقد ورد الاسم في شعر الاعشى قال يمدح يزيد وعبد المسيح ابني الديان وقيل يمدح السيد والعاقب اسقفي نجران (ياقوت ٣: ٤٣٨):

ألا سيدي نجران لا بوصينكما بنجران فيما ناجا واعتراكما
فان تفعلوا خيراً وترتديا به فانكما اهل لذك كلاكما
وان تكفيا نجران أمر عظيمه فقبلكما ما سادها ابواكما
وان احلبت صهيون يوماً عليكما فان رحا الحرب الدكوك رحاكما

(القدس والمقدس ويقال بيت المقدس) من اسماء مدينة القدس الشريف.
قال مروان بن الحكم يتهدد الفرزدق (الاغاني ٢١: ١٩٧):

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ان كنت تارك ما خيتك فأجلس
ودع المدينة انما مذمومة واقصد لمكة او لبيت المقدس

روى في التاج (٢١٣: ٤) لشاعر يخاطب ناقتة:

لا نوم حتى تحبطني ارض القدس وتشري من خير ماء بقدس

وورد في شعر العجاج (ص ٨٠ ed. Ahlwardt):

ضراغم تنفي بأخذ خمس عن باحة البطحاء كل جرس
حتى ترول هضبات قدس

وقد مرّ بك (ص ١٩٨) انهم كانوا يدعون بالقدس الزائر لبيت المقدس
ويتباركون بثوبه كما اشار الى ذلك امرؤ القيس في وصف كلاب تنهش الثور:
فادر كننه يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس

الفصل الرابع

الاحداث النصرانية بين عرب الجاهلية

ظهر من الفصول السابقة ما استمدّه عرب الجاهلية من النصارى في مفرداتهم اللغوية واعلامهم الشخصية. وفي هذا الفصل الجديد نبين ما اخذوه عنهم من معارفهم التاريخية سواء جرت في العهد القديم من اول العالم الى السيد المسيح او من ميلاد المسيح الى الهجرة. فنقسم الفصل قسمين وفقاً لهذين الطورين

١ أحداث العهد العتيق

امكن العرب ان ينقلوا اخبار العهد العتيق عن اليهود او عن المسيحيين الا اننا نروي هنا ما قاله الشعراء النصارى او من عاشوا في جهات الجزيرة التي ازهرت فيها النصرانية. واليهود كما لا يخفى قلما يختلطون بامم غريبة عنهم. وزد عليه ان الاسفار الالهية والاناجيل المقدسة كما يظهر من عدة شواهد تؤيد ذلك كانت معربة وان كانت تلك الترجمة القديمة هي اليوم مفقودة. وها نحن نتبع تلك الاحداث مع ما ينوه بها من اقوال العرب

١ ﴿التكوين﴾ هو اول ما تفتتح به تورا موسى حيث يذكر اولاً خلق الله عز وجل للسماء ثم الارض مباشرة بالجماد ثم النباتات ثم الحيوان. اما تكوين السماء فقد مر ذكره في ما اوردناه من الالفاظ الدالة على الخالق سبحانه وتعالى ثم السماء وزينتها وعلى الارواح الساكنة فيها (المشرق ١٦ [١٩١٣]: ٢٢٩ و ٢٩٢). فبقي تكوين الارض في سبعة ايام الخليقة. فما جاء من ذلك ما رواه المقدسي (كتاب البد. ١: ١٥٠-١٥١) فقال: «وقد ذكرت حكماء العرب ومن كان يدين الله (كذا) منهم بدين الانبياء في اشعارها وخطبها كيف كان مبدأ الخلق. فنه قول عدي بن زيد وكان نصرانياً يقرأ الكتاب :

اسمع حديثاً لكى يوماً تجاوبه عن ظهر غيب اذا ما سائلُ سألَا
أن كيف أبدى إله الخلق نعمته فينا وعرفنا آياته الأولا
كانت رياحاً وماء ذا عرانية وظلمة لم يدع فتناً ولا خلاً

فَأَمَرَ الظُّلُمَةَ السُّودَاءَ فَانْكَشَفَتْ وَعَزَّلَ الْمَاءَ عَمَّا كَانَ قَدْ شَفَلَا
وَبَسَطَ الْأَرْضَ بَسَاطَةً ثُمَّ قَدَّرَهَا تَحْتَ الْمَاءِ سَوَاءً مِثْلَ مَا فَعَلَا (١)
وَجَعَلَ الشَّمْسَ مَصْرًا (٢) لَا خَفَاءَ بِهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلَا (٣)
قَضَى لِسِتَّةِ أَيَّامٍ خَلْقَهُ وَكَانَ آخِرُ شَيْءٍ صَوَّرَ الرَّجُلَا

روى في تاج العروس (٥٤٣:٣) البيتين الخامس والسادس لامية بن ابي الصلت
وكذلك ابن سيده في المخصص (١٦٤:١٣) روى البيت السادس لامية الا ان
شهادة كتاب البدء وكتاب الحيوان للجاحظ (٦٥:٤) اقدم واصح وكلاهما
يروى الابيات لعدي بن زيد

وروى في كتاب البدء (٦٥:١) وفي سيرة الرسول (ابن هشام ص ١٤٨)
لزيد بن عمرو بن نوفل في تكوين الارض قوله :

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثَقُلَا
دَحَامَا فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَوَتْ عَلَى الْمَاءِ أَرَسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَا
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْمِزْنَ تَحْمِلُ عَذْبًا زَلَالَا
إِذَا هِيَ يَسِيقُ (٤) إِلَى بَلَدَةٍ اطَاعَتْ فَصَبَّتْ عَلَيْهَا بِحَالَا

ومثلها لامية بن ابي الصلت (شعراء النصرانية ص ٢٢٦) :

وَشَقَّ الْأَرْضَ فَانْبَجَسَتْ عِيُونَا وَأَخْضَرَّا مِنْ الْعَذْبِ الزُّلَالِ
وَبَارَكَا فِي نَوَاحِيهَا وَزَكَّى جَا مَا كَانَ مِنْ كَرْثٍ وَمَالِ

وقال يذكر خلق الله للنيرين الكبيرين (شعراء النصرانية ٢٢٩ وسيرة
الرسول ٤٠) :

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا بَاقِيَاتٌ مَا يُمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ

(١) رواه في تاج العروس (٥٤٣:٣) على صورة اخرى :

وَالْأَرْضَ سَوًى بَسَاطَةً ثُمَّ قَدَّرَهَا تَحْتَ السَّمَاءِ سَوَاءً مِثْلَ مَا ثَقُلَا

(٢) روى الجوهري (٢٩٩:١) : وجاعل الشمس. وورد في الاصل: « مصيرا » وهو
غلط كما يظهر في كتاب المخصص (١٦٤:١٣) وفي تاج العروس (٥٤٤:٣) : قالوا
« والمصر » الحاجز والحد بين الشيتين

(٣) في الاصل « فضلا » وهو تصحيف اصلحه في المخصص وفي تاج العروس

(٤) وفي كتاب البدء روى : اذا هي سوقت. وهو غلط

خلق الليل والنهار فكل مستبين (١) حسابة مقدور
ثم يجلو النهار (٢) رب كريم بمهارة شعاعها منشور
وله ايضاً (شعراء النصرانية ٢٢٨) :

هو الله باري الخلق والخلق كلهم إماء له طوعاً جميعاً وأعبد
تسبحه الطير الجوانح في الخفي واذ هي في جو السماء تصعد
ومن خوف ربي سبح الرعد فوقنا وسبحه الاشجار والوحش أبد
وسبحه الثنان والبحر زائراً وما ضم من شيء وما هو مقلد (٣)

وقال امية يصف تكوين الحيوانات (كتاب الحيوان للجاحظ Ms de Vienne, ff. 397 طبعة مصر ١١٨ : ٢) :

هو أبدأ (٤) كل ما يثر النا س امائل باقيات سفورا
خلق النحل معصرات تراها تقصف الياسات والمخضورا (٥)
والتاسيح والسنادل (٦) والابل م شتي والرثم واليفورا
وصوارا من النواشط عيناً ونعاماً صواحبا (٧) وحميرا
واسودا عواديا وفيولا وسباعا والنمل (٨) والخزيرا
وديوكا تدعو الغراب لصلح وإورين اخرجت وصقورا

ثم ذكروا تكوين جسم الانسان من طين الارض ونفسه من نفخة خالقه . قال
الجاحظ في كتاب الحيوان (Ms de Vienne , ff. 213 وطبعة مصر ٦٥ : ٣) :
« سانشدك لعدي بن زيد وكان نصرانياً دياناً وترجماناً وصاحب كتاب ومن دهاة
ذلك الدهر قال يذكر شأن آدم . . » :

(١) ويروى : يخلق . . . فكل مستبين . . .

(٢) ويروى : ثم يجلو الظلام

(٣) رواه في اللسان وفي اساس البلاغة والتاج في مادة « قلد » . قالوا أقلد البحر على
الخلق اي أرتج عليهم وغرقهم وجعلهم في جوفه . ويروى : والبحر زائراً

(٤) في طبعة مصر (١١٨ : ٢) : « هو ابدى » فيختل الوزن

(٥) في طبعة مصر : خلق النخل مصعدات . . . والمخضورا

(٦) السنادل طيور كبار . وفي طبعة مصر : « والتمايل » وهو غلط

(٧) في طبعة مصر : خواضبا

(٨) وفي طبعة مصر : وذياباً والوحش

قضى لستة ايام خلائقة (١) وكان آخرها أن صور الرجل
دعاه آدم صوتاً فاستجاب (٢) له بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا

وقال امية بن ابي الصلت (حياة الحيوان ٢: ١١٣) :

والارض مقلنا وكانت امنّا فيها مقابرنا وفيها نواد

وقال ايضاً في الارض وخلقة الانسان (فيه) :

منها خلقتنا وكانت امنّا خلقت ونحن ابناؤها لو اننا شكر
والطوط (٣) تزرعه فيها فللبسه والصوف نجتزه ما أدقاً الوبر
هي القرار فما نبغي لها بدلاً ما ارحم الارض الا اننا كفر

وقال ايضاً (جمهرة شعراء العرب ص ١٨) :

كيف الجحود وانما خلق الفتى من طين صلصال له فخار

٢ ﴿ سكنى آدم في الفردوس وخطيئته ﴾ لعدي بن زيد وصف حلول آدم
في الجنة وتكوين حواء من ضلعه وتجربة الشيطان لهما على صورة الحية ثم عقاب
الابوين الاولين وطردهما من الفردوس فقال عن آدم (طبعة مصر ٤ : ٦٦ =
(Ms de Vienne, ff.213,

تمت اورثه (٤) الفردوس يعمرها وزوجة صنع من ضلع جعل
لم ينه ربه عن غير واحدة من شجر طيب ان ثم او اكلا
تعمدا (٥) للتي من اكلا نهيأ بأمر حواء لم تأخذ له الدغلا
كلاهما خاط اذ ير (٦) لبوسها من ورق التين ثوباً لم يكن غزلاً

(١) وفي طبعة مصر : خليفة. والبيت مختل الوزن

(٢) في طبعة مصر : اسجاب . غلط

(٣) الطوط هو القطن

(٤) طبعة مصر بالفاظ : اورثة

(٥) فيها : فعمدا

(٦) فيها : اذبرا (كذا)

فكانت الحيّة الرقشاء اذ خلقت كما ترى ناقّة في الخلق او سجلا (١)
فلاطمها الله اذ أغوت خليقته (٢) طول الليالي لم يجعل لها أجلا
ثمثي على بطنها في الدهر ما عمرت والترب تأكّله خزنًا وان سهلا
فأتعبا (٣) ابوانا في حياتهما ووجدا (٤) الجوع والاصاب والملا

ولعدي وصف آخر لتجربة ابليس لحواء وعقاب الحيّة رواه العصامي في تاريخه
بسط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي (نسخة مكتبتنا الشرقية ص ١٩)
قال :

سعى الرجيم الى حواء بوسوسة خالقان من مارج انشا خليقته
انشاها ليطيعاه فخالقته
فأبلس الله ابليسًا واسكنه (٥)
فاغتاظ ابليس من بغي ومن حسد
فأدخله بأيمان مؤكدة
هناك سار الى حواء بوسوسة
فأهبطوا من معاصيهم وكلهم
واهبط الله ابليسًا واعدّه
وانزل الله للطاوس رخمته
وأعقب الحيّة الحسناء حين عفت
وأعقب الله حواء بالذي فعلت
غوت جا وغوى معها ابو البشر
وآخر من تراب الارض والمدبر
ابليس عن امره للحين والقدر
دارًا من الخلد بين الروض والشجر
فاحتال للحيّة الرقطاء والطير (٦)
اعطاهما بيمين كاذب غدر
أردت بغراتها معها ابا البشر
نائي المحل فقيد العين والأثر
نارا تلهب بالاسعار والشرر
من صوته وري رجليه بالنكر
مسح القوائم بعد السعي كالبر
بالطمث والطلق والاحزان والفكر

(١) هذا البيت في طبعة مصر مقدّم على الاثنين السابقين. اما قوله انّ الحيّة كانت كالناقّة
او الجمل فذلك من مزاعم العرب الذين ذهبوا الى انها كانت بجنّة ذات اربعة قوائم فعوّقت
بنقص جناحها وقطع ارجلها والمشي على بطنها وباعراء جلدها حتى يقال « اعرى من حيّة » وبشق
لسانها. (راجع كتاب الحيوان للجاحظ ٤: ٦٦)

(٢) في طبعة مصر: خليقته بالفاء

(٣) في طبعة مصر: فأبقيا

(٤) فيها: ووجدوا

(٥) الضمير الى الانسان اي اسكن الانسان

(٦) يريد بالطير الطاوس والعرب يزعمون انّ ابليس استعان به وبالحية ليدخل الفردوس
ويخدع الانسان فسخه الله بتغيير صوته ودقّة رجليه

وروى في كتاب البدء (١: ٦١) وفي اللسان (١٣: ٤٥٧) والتاج (٦: ٦٥) عن الحية قول امية :

والحية الحقة الرقشاء اخرجها من بيتها اُمناتُ الله والكلمُ
اذا دعا باسمه الانسان او سمعت ذات الاله يرى في سعيها زرمُ

ورواها الزمخشري في الاساس : « اخرجها من جحرها اُمناتُ الله والقسمُ »
(قال) « ويُقال حية حقة اي قاتلة كما يقال امرأة عدلة »

وزوي هنا ابياتاً من ارجوزة نقلها صاحب كتاب البدء (٢: ٨٥) والمسعودي
في مروج الذهب اعلي بن جهم عن بدء الخليفة كما رواها له النصارى وان تأخر
زمانه عن الجاهلية :

يا سائلي عن ابتداء الخلق	مسألة القاصد قصّد الحق
أخبرني قوم من الثقات	أولو علوم وأولو هيات
تضرعوا في طلب الآثار	وعرفوا موارد الاخبار
ودرسوا التوراة والانجيل	واحكموا التأويل والتزيلا
ان الذي يفعل ما يشاء	ومن له القدرة والبقاء
انشأ خلق آدم انشاء	وقد منه زوجة حواء
مبتدياً وذاك يوم الجمعة	حتى اذا أكل حل فيه الصنعة
اسكنه وزوجه الجنان	فكان من امرها ما كانا
غرها الشيطان واغترأ به	كما ابان الله في كتابه
غرها الشيطان في ما صنعا	فأهبطا منها الى الارض معا
فوقع الشيخ ابونا آدم	بجبل الهند ويدعى واسم
لبس ما اعتاض من الجنان	والضعف من جبلّة الانسان
فشقيا وورثنا الشقاء	نسلها والكذب والعناء
ولم يزل مفتقراً (١) من ذنبه	حتى تلقى كلمات ربه
فأمن السخطة والمذابا	والله توأب على من تابا

والعرب يضربون المثل بآدم في القدام قال الاخطل بن ربيعة (الاغاني ١٢ :

١٦٥) يهجو بني منقر :

يا منقر بن عبيد ان لؤمكم
للضيف حق على من كان ذا كرم
مذ عهد آدم في الديوان مكتوب
والضيف في منقر عريان مسلوب

٣ ﴿ بنو آدم ﴾ وقد عرف شعراء العرب في الجاهلية نسل آدم وقصة ولديه كما ورد في قصيدة ابن جهم حيث قال عن آدم وحواء :

ثُمَّ تَنَسَّلَا أَحَبًّا (١) النَّسْلَا فَحَبَلْتُ حَوَاءُ مِنْهُ (٢) حَمَلَا
وَاقْتَنَا الْإِبْنَ فَسُمِّيَ قَايْنَا وَعَايْنَا مِنْ نَسْلِهِ (٣) مَا عَايْنَا
فَشَبَّ هَابِيلُ وَشَبَّ قَايْنُ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا تَبَايُنُ

ومن الشعر المتضمن لآخبار بني آدم رثاء يرويه العرب على لسان آدم وحواء عند قتل قايْن (ويقولون قابيل) لآخيه هابيل وهو لا محالة مصنوع إلا أنه قديم يُروى في أقدم كتب المسلمين كتاريخ الطبري (١: ١٤٦) ومروج الذهب للمسعودي (طبعة باريس ١: ٦٥) وغيرهما كثيرين (راجع المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٤٩٢) وهم ينسبون انشاده الى علي بن ابي طالب ما يدل على ان الشعر سبق الاسلام . قال آدم :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فُوجُهُ الْأَرْضِ مَغْبَرُهُ قَبِيحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي حَسَنٍ وَلَوْ لَوْ قُلَّ بِشَاشَةُ وَجْهِ صَبِيحُ (٤)
وَجَاوَرَنَا عَدُوٌّ لَيْسَ يَفِي لَعِينُ لَا يَمُوتُ فَتُسْتَرِيحُ
وَقَابِيلُ أَذَاقَ الْمَوْتِ هَابِيلُ وَأَحْزَنَا لَقَدْ فُقِدَ الْمَلِيحُ (٥)
فَمَا لِي لَا أَجُودُ بِسَكْبٍ دَمْعِي وَهَابِيلُ تَضَمَّنَهُ الضَّرِيحُ
أَرَى طَوْلَ الْحَيَاةِ عَلَيَّ غَمًّا وَمَا أَنَا مِنْ حَيَاتِي مُسْتَرِيحُ

ونسبوا الى حواء قولها كجواب على قول آدم :

دَعِ الشُّكُوى فَقَدْ هَلَكَا جَمِيعًا جَهْلَكَ لَيْسَ بِالْثَمَنِ الرَّبِيحُ (٦)
وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَنِ الْبَوَاكِي إِذَا مَا الْمَرْءُ غُيِّبَ فِي الضَّرِيحِ

(١) في الاصل « واحب » وهو غلط

(٢) في الاصل « منه حواء » بكسر الوزن

(٣) هكذا روى المسعودي (١: ٦٣) وفي كتاب البدء: وولدت ابناً... من امره...

(٤) والبيت يروى عادةً بالاقواء: بشاشة الوجه الصبيح. وروى المسعودي: كل ذي

طعم.

(٥) رواية المسعودي :

وَقَتَلَ قَايْنُ هَابِيلَ ظَلَمًا فَوَا إِسْفًا عَلَى الْوَجْهِ الْمَلِيحِ

(٦) رواه الطبري (١: ١٤٦) :

أَبَا هَابِيلَ قَدْ قُتِلَا جَمِيعًا وَصَارَ الْحَيُّ كَالْمَيِّتِ الذَّبِيحِ

فبك النفس منك ودع هواها فلت مخلصاً بعد الذبيح
واضافوا الى هذه الابيات قولاً على لسان ابليس لآدم :

تنح عن البلاد وساكنها ففي الجنات ضاق بك الفسيح
وكنت جاً وزوجك في رخاء وقلبك من اذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدي ومكري الى ان فاتك الثمن الربيع
فلولا رحمة الجبار اضحى بكفك في جنان الخلد ريح

وممن اشاروا في الجاهلية الى ولد آدم افنؤن الشاعر التغلبي (المفضليات
ص ٥٢٤ ed. Lyall) قال :

قد كنت اسبق من جاروا على مهل من ولد آدم ما لم يخلعوا رسي

٤ ﴿ نوح والطوفان ﴾ ليس في الكتاب الكريم بعد ذكر التكوين واقع
اخطر من الطوفان في عهد نوح ولا شك ان عرب الجاهلية نقلوا الخبر عن اهل
الكتاب ولا سيما النصارى منهم الاعشى الكبير حيث قال يمدح اياساً ويشبهه بنوح
في صنع سفينته (شعراء النصرانية ص ٣٨٩) :

جزى الاله اياساً خير نعمته كما جزى المرء نوحاً بعد ما شابا
في فلكه اذ بداها ليصنعها وظل يجمع ألواحاً وابواباً

ومنه امية ابن ابي الصلت روى له الجاحظ في كتاب الحيوان (طبعة مصر
١١٨: ٢ = Ms de Vienne, 212^v) والمقدسي في كتاب البدء (٢٤: ٣) ابياتاً
منها قوله يذكر نجاة نوح واهله وحلوله على جبل الجودي الذي فوقه نزلت سفينته
على زعم العرب :

الى أن يفوت المرء رحمة ربه وان كان تحت الارض سبعون (١) وادياً
كرحمة نوح يوم حل سفينة (٢) لشيعته كانوا جميعاً ثمانياً
فلما استنار (٣) الله تشور ارضه فقار وكان الماء في الارض ساحياً
ترفع في جري كأن اطيطة صريف محال يستعيد الدوالبا
على ظهر جؤن لم يعدد لراكب سراه وغيم ألبس الماء داجياً (٤)

- (١) في كتاب البدء (٢٤: ٣) : سبعين
- (٢) كذا في كتاب البدء ولعل الصواب : سفينة
- (٣) كذا فيه ولعل الصواب : استنار او استغار
- (٤) في طبعة مصر : « راجياً » وهو تصحيف

فصارت جا ايامها ثم سبعة وست ليل دائبات عواطيا
تشق جم تحوي باحسن امرأة (١) كأن عليها هادياً ونواتيا
وكان لها الجودي نهياً وغاية واصبح عنها موجه متراخيا

ومثلها قوله (كتاب البدء ٣: ٢٤) :

منجي ذي الخير من سفينة (٢) نوح يوم بادت لبنان من اخراها
فار تنوره وجاش باء طم فوق الجبال حتى علاها
قيل للعبد سر فسار وبالل على الهول سترها وسراها
قيل فاهبط فقد تناهت بك الفلك على رأس شاهق مرساها

وله ايضاً (رواه صاحب خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ٤: ٤) :

عرفت أن لن يفوت الله ذو قدم وانه من امير السو ينتقم
المسبح الخشب فوق الماء سخرها خلال جريتها كأخا عوم (٣)
تجري سفينة نوح في جوانبه بكل موج مع الارواح تقتحم (٤)
مشحونة ودخان الموج يرفعها ملأى وقد صرعت من حولها الامم (٥)
حتى نسوت على الجودي راسية بكل ما استودعت كأخا أطم (٦)

وروي له ايضاً في كتاب الحيوان للجاحظ (Ms de Vienne, ff 396^v)

بيتان في البهائم التي كانت في سفينة نوح :

تصرخ الطير والبرية فيها مع قوي السباع والافعال
مر فيها من كل ما عاش زوج بين ظهري غوارب كالجبال

(١) في الاصل : امره

(٢) لعل الصواب : من سفينه

(٣) وفي الاصل عن شارح ديوان امية ما نصه : « يقال سبج الرجل واسبحه الله .
والعوم جمع العومة كأخا حية تكون بممان . والعامة شبه الطوف ألا أنها اصغر منه يركب
فيه البحر » وروي في لسان (١٥ : ٢٢٨) : في اليم جريتها

(٤) في الاصل : في جوانبه اي جوانب الماء

(٥) في الاصل : مشحونة اي مملوءة يقال : اشحن سفينتك اي املاها . وفي خزانة الادب
قبل هذا البيت بيت آخر أقجم في القصيدة بالغلط وهو من بحر المنسرح كما نبه عليه في
الهامش والابيات كلها من البسيط وهو قوله :

نودي قم واركبن باهلك م ان الله موف للناس ما زعموا

(٦) الأطم والجمع أطام

ويحسن بنا ان نروي هنا ما قال القبطامي الشاعر النصراني في عهد بني امية عن نوح وسفينته (ديوانه ص ٨٤ ed. Barth ولسان العرب ٦: ٣٣٤):

وَأَنْذِرُكُمْ مَصَايِرَ قَوْمِ نُوْحٍ وَكَانَتْ أُمَّةً فِيهَا انْتِشَارُ
وَكَانَ يَسْبَحُ الرَّحْمَانُ شُكْرًا وَلِلَّهِ الْمَحَامِدُ وَالْوَقَارُ
فَلَمَّا اِنْ ارَادَ اللهُ امْرَأًا مَضَى وَالْمُشْرِكُونَ لَهُمْ جُؤَارُ (١)
وَنَادَى صَاحِبُ التَّنُورِ نُوحًا وَصَبَّ عَلَيْهِمْ مِنْهُ الْبَوَارُ (٢)
وَضَجُّوا عِنْدَ جَيْثِهِ وَفَرُّوا (٣) وَلَا يُنْجِي مِنَ الْقَدَرِ الْحَذَارُ
وَجَاشَ الْمَاءُ مِنْهُرًا إِلَيْهِمْ كَأَنَّ غَنَاءَهُ خَرَقَ نِشَارُ (٤)
وَعَامَتُ وَهِيَ قَاصِدَةٌ بِإِذْنِ وَلَوْلَا اللهُ جَارُهَا الْجَوَارُ (٥)
إِلَى الْجُودِيِّ حَتَّى صَارَ حِجْرًا وَحَانَ لِتَالِكِ الْغُمْرِ الْخَسَارُ (٦)
فَهَذَا فِيهِ مَوْعِظَةٌ وَحُكْمٌ وَلَكِنِّي أَمْرٌ فِيَّ افْتِخَارُ

وذكر امية الجودي في محل آخر مشيرًا الى حلول سفينة نوح عليه (كتاب سيوييه ١: ١٣٦ ed. Derenbourg) والبيت يروي لورقة بن نوفل في جملة ابيات شعراء النصرانية ص ٦١٧):

سَبَّحَانَهُ ثُمَّ سَبَّحَانَا يَبُودُ لَهُ وَمِثْلَنَا سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالْجُمُودُ
وَلَامِيَّةٌ يَذْكُرُ امْرَءَ الْغَرَابِ وَالْحَمَامَةِ الَّذِينَ ارْسَلَهَا نُوحٌ فَقَرَّ الْغَرَابُ وَعَادَتِ الْحَمَامَةُ
بَغْصَنِ الزَّيْتُونِ فَقَالَ (كتاب الحيوان للجاحظ طبعة مصر ٤: ٦٥ ثم Ms de Vienne, ff. 212^v ثم كتاب البدء ٣: ٢٥):
وَإِذَا هُمْ لَا لُبُوسَ لَهُمْ تَقِيهِمْ وَإِذَا هُمْ السَّلَامَ لَهُمْ رَطَابُ (٧)

(١) قالوا الجوار الماء الكثير (٢) في لسان العرب: نوح. وفي الديوان: الوبار. ونظمتها تصحيفاً (٣) رواية الديوان: جيئته اليهم. وجيئته اي حين جاء الطوفان (٤) في الاصل: «يريد كأن زبده ملاءة منتشرة مبسوطة». وفي اللسان: خرق فسار (٥) شرحه في الديوان: عامت سبحت الى الجودي. والجوار الجور اي لولا الله لجار بالسفينة الحيرة فكانت تجور ولا تهتدي (٦) قال في اللسان: الحاجر المنوع الذي له حاجز. وفي الديوان اي منع الجودي السفينة ان تبرح. الغمر والغمرات الشيء الذي يغمر ويفرق. والانحسار الانكشاف. وتالك مثنى تلك كتناك

(٧) رواه الالوسي في بلوغ الارب (٣: ٢٢١) عن الثعالبي «لهم عراة... صم الصلاب». وفي كتاب البدء: «واذ صخر السّلام» وفي البيت اشارة الى ما كان يزعمه العرب ان الحجارة كانت قبل الطوفان رطبة والطيور ناطقة ومن امثالهم «كان ذلك اذ كان كل شيء ينطق» و «كان ذلك والحجارة رطبة» ويدعون ذلك العهد «زمن الفطحل»

عشيّة أرسل الطوفانُ يجري وطاف الماءُ ليس له جرابُ
على امواج أخضرَ ذي حبيكُ كأنَّ سَعَارَ زَاخِرِهِ الهضابُ
بآيةٍ قام ينطقُ كلُّ شيءٍ وخانَ امانةَ الديكِ الغرابُ (١)
وأرسلت الحمّامةُ بعد سَمْعٍ تدلُّ (٢) على المهالك لا تحابُ
تلمّسُ هل ترى في الارضِ عيناً وعائنةً جها الماءُ العُبابُ (٣)
فجاءت بعد ما ركضتُ بقطفٍ عليه الثَّأطُ والطينُ الكُبابُ (٤)
فلما فرّسوا الآيات صاغوا لها طوقاً كما عُقد السّخابُ (٥)
إذا ماتت تورثهُ بنينا وإن تُقتلَ فليس لها استلابُ (٦)
جزى (٧) الله الاجلُ المرءَ نوحاً جزاءَ البرِّ ليس له كذابُ
بما حملتُ سفينتهُ وانجتُ غداةَ اتاهمُ الموتُ القُلابُ
وفيهَا من أرومتِهِ عيالٌ لديه لا الظاء ولا السّبابُ

وقال ايضاً في حمّامة نوح وطوقها (حياة الحيوان للجاحظ ٢: ١١٩) :

وما كان اصحاب الحمّامة جيفةً غداةً غدت منهم تضمُّ الخوافيا
رسولاً لهم واللهُ يحكم امرهُ يبين لهم هل يؤنس الثوب باديا
فجاءت بقطفٍ آيةً مستبينةً فأصبح منها موضعُ الطين جاريا
على خطمها واستوهبت ثمَّ طوّقها وقالت ألا لا تجعل الطوق حاليا
ولا ذهباً اني اخافُ بناهم يخالونه مالي وليس بماليّا
وزدني على طوقي من الحلّي زينةً تُصيب اذا أتبتُ طوقي خضابيا
وزدني لطرّف العين منك بعمّة وورث (٨) اذا مات طوقي حمّاميا
يكونُ لأولادي جمالاً وزينةً ويهوين زيني زينةً أن يرانيا (٩)

(١) روى في كتاب البدء: « بآية قام ». وروى الالوسي: « وكان امانة الديك » وكلاهما

تصحيف (٢) في كتاب البدء: « ترلُّ » (٣) في كتاب البدء:

وعائنه. وفي كتاب البدء: « به تبيس واضطراب » وهي رواية مصحّفة

(٤) القطف ما قُطف من الاغصان . والثأطُ الحمّامة . والكُبابُ الطين اللازب . وفي

كتاب البدء: « عليه الشلط والطين الكتاب » وهو تصحيف

(٥) في كتاب البدء: فرّسوا الآيات . ولعلّ المعنى ميزوا وفصلوا . والسّخاب القلادة .

ويروى: السحاب وهو تصحيف

(٦) في كتاب البدء: « تورثها . . وان قُتلت » . وفي البتين اشارة الى زعم العرب بان

الطوق الذي يملّي عنق الحمّامة انما هو جزاء امانتها لما عادت الى سفينة نوح

(٧) في كتاب البدء: فجازى . والبيت مختل الوزن

(٨) في الاصل: وأرث

(٩) وللشاعر بعد هذا ابيات ذكر فيها قصّة يروجها العرب جرت على زعمهم بين الديك

والغراب . يقولون ان الديك نادى الغراب وشربا الخمر ولم يعطيا الخمر حقّه فزعم الغراب

وروى البحري في حماسته (راجع طبعتنا ص ١٢٤) لرجل الكندي في نوح وسفينته فقال في تصرف الأيام :

وَأَصْبَحَ نَوْحًا بَعْدَ مَا بَلَغَتْ بِهِ أَثْنُ الْبِلَادِ سَفِينَةً لَمْ تَفْرَقْ
وَمَنْ ذَكَرُوا نَوْحَ وَسَفِينَتِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيَّ فِي مِيمَتِهِ الَّتِي أَوْلَاهَا :
الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ مَنْ لَمْ يَقْلُهَا فَنَفْسُهُ ظَلَمًا

ثم قال يذكر بأمر الله الى نوح ليُعدَّ له فلكاً (خزانة الادب ٤: ٤) :
نُودِي قُمْ وَأَرْ كَبْنُ بَاهْلِكُمْ إِنَّ اللَّهَ مُوفٍ لِلنَّاسِ مَا زَعَمُوا ١)
وفيها زعم الجعدي أن سفينة نوح كانت من خشب الجوز لصلابته وجودته
قال (لسان العرب ١٩٥: ٧) :

يرفع بالقار والحديد من م الجوز طوَالاً جُدُوعُهَا عُمُماً ٢)
ويضربون المثل في نوح بطول العمر ورووا الروبة (ديوانه ص ١٢٨) :
فَقُلْتُ لَوْ عُمِّرْتُ سَنَ الْحَسَلِ أَوْ عُمِرَ نَوْحٌ زَمَنَ الْفِطْحَلِ ٣)
والصخر مبتل كطين الوحل صرت رهين هرم أو قتل
ومثله لابي العتاهية ديوانه ص ٦٧ :

نُحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مَسْكِينُ إِنْ كُنْتَ تَنْوُحُ
لَسْتُ بِالْبَاقِي وَلَوْ مِثْرَ مَا عُمِرَ نَوْحٌ

٥ ﴿ابناء نوح﴾ لم نجد في شعر عرب الجاهلية ذكراً لابناء نوح إلا في قصيدة
لصلاة بن عمرو الشهيد بالافوه الاودي (راجع شعراء النصرانية ص ٧٠) ذكر
فيها ملوك التباينة والمثامنة وقد ورد منها ابيات في كتاب وصايا ملوك العرب
(ص ٢٠) فقال :

فَلَوْ دَامَ الْبَقَاءُ إِذْنُ جُدُودِي وَأَسْلَافِي بَنُو قَحْطَانَ دَامُوا
وَدَامَ لَهُمْ تَبَايَعُهُمْ مَلُوكًا وَلَمْ تَمُتِ الْمَثَامِنَةُ الْكِرَامُ
وَعَاشَ الْمَلِكُ ذُو الْأَذْعَارِ عَمْرًا وَعَمْرُو حَوْلَهُ اللَّجِبُ اللَّهَامُ
مَلُوكُ أَدَّتِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا إِتَاوَتْهَا وَدَانَ لَهَا الْإِنَامُ

الديك على حجة ان يذهب ويأتي بالثمن فلماً ذهب خاس بالديك وسخر به ولم يرجع فبقي
الديك محبوساً ١) وفي بعض الروايات : « ما رمعوا » وهو غلط . وقد مر ان

هذا البيت قد روي سهواً في جملة ابيات اخرى لاميّة بن ابي الصلت من بحر البسيط

٢) العُصَمَاءُ جمع عُمَمٍ وهو المجتمع الكثير

٣) الحَسَلُ ولد الضب ويروي : عُمَرُ الحَسَلِ . وَالْفِطْحَلُ السيل والطوفان . (راجع

ولما يَعْصِيهَا سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثٌ حَيْثَا حَلَّتْ وَلَامٌ (١)
 ٦ ﴿ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ وَابْنَهُ إِسْحَاقَ ﴾ ورد اسم ابراهيم في الشعر الجاهلي
 ويقال ابراهيم وابراهيم قال عبد المطلب (المعرب للجواليقي ص ٩ واللسان ١٤ :
 ٣١٤) ينسب ابتناء الكعبة الى ابراهيم :
 عُدْتُ بِمَا عَادَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ وَهُوَ قَائِمٌ إِنْ لَكَ اللَّهُمَّ عَانٍ رَاغِمٌ
 وَلَهُ : نَحْنُ آلُ اللَّهِ فِي كَيْبَتِهِ لَمْ يَزَلْ ذَاكَ عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ
 ودعاه ورقة بن نوفل باسم الخليل فقال (شعراء النصرانية ٦١٨) يخاطب
 زيد بن عمرو :

فَأَصْبَحْتَ فِي دَارِ كَرِيمٍ مَقَامُهَا تُعَلَّلُ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ لَاهِيَا
 تُلَاقِي خَلِيلَ اللَّهِ فِيهَا وَلَمْ تَكُنْ مِنَ النَّاسِ جَبَّارًا إِلَى النَّارِ هَاوِيَا
 وكذلك قال جرير (الطبري ١ : ٤٣٣) :

ابونا خليلُ اللهِ واللهُ ربُّنا رضينا بما أعطى الالهُ وَقَدَّرَا
 وفي شعرهم اشارة الى اسحاق ويدعونه الذبيح لما ورد في التوراة من طاعة
 ابراهيم لما امتحنه الله وامره بتقديم ابنه قال الاعشى يشبه لون الخمر بلون دم
 الذبيح :

وَمُدَامَةٍ عَمَّا تُمَتِّقُ بَابِلُ كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلَبَتْهَا جِرْيَاكُمَا
 وقد وصف امية بن الصلت تقديمة ابراهيم كما رويت في التوراة فقال (تاريخ
 الطبري ١ : ٣٠٨ وكتاب البدء ٣ : ٦٥ وقصص الانبياء ٩٣ وخزانة الادب ٢ :
 ٥٤٣) :

سَبَّحُوا لِلْمَلِكِ كُلِّ صَبَاحٍ طَلَعَتْ شَمْسُهُ وَكُلَّ هَلَالٍ (٢)
 ولابراهيم الموقى بالنسذ ر (٣ احتساباً وحامل الأجدال (٤)
 بَكَرَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَصْبِرَ عَنْهُ لَوْ رَأَهُ فِي مَعْشَرٍ أَقْتَالَ (٥)

- (١) جاء في كتب العرب ان لام ابن لنوح كسام وحام ويافث
- (٢) روي هذا البيت لابن صرمة الانصاري (خزانة الادب ٢ : ٥٤٣)
- (٣) كذا روى الطبري . وروي صاحب كتاب البدء : الموقى بنذر . وروي في شواهد مغني
 اللبيب (ص ٢٤١) : « لابراهيم الوافي بالنذر » والبيت مكسور
- (٤) الأجدال جمع جذل وهو القطعة الكبيرة من الحطب . وروي (الثعلبي في قصص الانبياء
 (ص ٨٢) : « حامد الاجزال » وهو غلط . وكذلك روي في كتاب البدء « الاجزال »
 بالزاي (٥) الأقتال جمع قتل وهو القرن والنظير والمقاتل . وروي الطبري :
 او يراه . وروي في بعض نسخه : معشر أقيال

- وله مَدِيَّةٌ تَحَايِلُ فِي اللَّحْمِ حُذَامٌ حَنِيتَةٌ كَالْهَلَالِ (١)
 أَنِّي أَنِّي نَذَرْتُكَ لِلَّهِ شَحِيحًا فَاصْبِرْ فِدَى لَكَ حَالِي (٢)
 فَأَجَابَ الْغَلَامُ أَنْ قَالَ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ اللَّهُ غَيْرِ اتِّحَالِ (٣)
 ابْنِي أَنِّي جَزَيْتُكَ بِاللَّهِ تَقِيًّا بِهِ عَلَى كُلِّ حَالِ (٤)
 فَاقْضِ مَا قَدْ نَذَرْتَ لِلَّهِ وَاكْفُفْ عَنْ دَمِي أَنْ يَمَسَّهُ سِرْبَالِي
 وَأَشَدُّ الصَّفْدِ لَا أَحِيدَ عَنِ السَّكِينِ حَيْدَ الْأَسِيرِ ذِي الْأَغْلَالِ (٥)
 أَنِّي أَلَمْ الْحَزْ وَأَنِّي لَا أَمْسُ الْأَذْقَانِ ذَاتِ السَّبَالِ (٦)
 جَعَلَ اللَّهُ حَيْدَهُ مِنْ نَحَاسٍ إِذْ رَأَاهُ زَوَلًا مِنَ الْإِزْوَالِ (٧)
 يَبْنِي بَيْنَا يَخْلَعُ السَّرَابِيلَ عَنْهُ فَكَمُ رَبُّهُ بِكَبْشٍ جَلَالِ (٨)
 قَالَ خُذْهُ وَأَرْسِلْ ابْنَكَ إِنِّي لِلَّذِي قَدْ فَعَلْتُمَا غَيْرُ قَالَ (٩)

(١) مَدِيَّةٌ حُذَامٌ وَخُذَامٌ أَي قَاطِعَةٌ. وَحَنِيتٌ مُسْتَدِيرَةٌ. وَتَحَايِلُ أَي تَلُوحُ. وَرَوَى فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ: «تَحَايِلُ فِي اللَّحْمِ غَلَامًا جَبِينُهُ كَالْهَلَالِ» وَهِيَ رَوَايَةٌ مُصَحَّفَةٌ. وَرَوَاهُ فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ:

وله مَدِيَّةٌ تَحَايِلُ فِي اللَّحْمِ حُذَامٌ جَلِيَّةٌ كَالْهَلَالِ
 قَالَ جَامِعُ دِيْوَانِ أُمَيَّةَ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ: الْمَدِيَّةُ السَّكِينُ. تَحَايِلُ فِي اللَّحْمِ تَغْضِي فِيهِ مِنَ الْخِيَلَاءِ. وَهَذَا الْقَاطِعَةُ السَّرِيعَةُ مِنَ الْهَذْمِ وَهُوَ الْقَطْعُ وَالْأَكْلُ فِي سُرْعَةٍ. وَجَلِيَّةٌ مَجْلُوءَةٌ
 (٢) الشَّحِيحُ الَّذِي يَشْحَطُ أَي يَضْرِبُ فِي دَمِهِ يَرِيدُ نَذَرَ أَنْ اضْطَحِكَ اللَّهُ. وَرَوَى فِي كِتَابِ الْبَدءِ: سَحِيحًا. وَفِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ: فَذَلِكَ حَالِي. وَفِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ: فِدَا لَكَ حَالِي. وَلَعَلَّهَا كُلُّهَا مُصَحَّفَةٌ

(٣) قَالَ شَارِحُ الدِّيْوَانِ: غَيْرِ اتِّحَالٍ أَي غَيْرِ كَذِبٍ وَإِدْعَاءٍ بَلْ هُوَ حَقٌّ
 (٤) وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ وَمَا يَلِيهِ فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ. قَالَ: «جَزَيْتُكَ بِاللَّهِ أَطْعَمْتُكَ بِاللَّهِ»
 (٥) قَوْلُهُ «لَا أَحِيدَ» أَي لَيْثًا أَحِيدَ. وَيُرْوَى: «أَنْ أَحِيدَ» قَالُوا مَعْنَاهَا خَشْيَةٌ أَنْ أَحِيدَ أَي أَمِيلَ عَنْهُ. وَيُرْوَى: مِنَ السَّكِينِ. وَالصَّفْدُ الْحَبْلُ الَّذِي يُرْبِطُ بِهِ
 (٦) قَالَ (الشارح في خزانة الأدب: يقول لم أَمْسَسْ ذِقْنِي أَي لَا أَجْزَعُ وَلَا أَمْنَعُ. وَذَقْنُ الْإِنْسَانِ مَجْمَعُ لَحْيَتِهِ وَاصِلُهُ فِي الْجَمَلِ يَحْمِلُ الثَّقِيلَ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّهَوُّصِ فَيَعْتَمِدُ بِذَقْنِهِ عَلَى الْأَرْضِ. وَالسَّبَالُ جَمْعُ سَبَلَةٍ وَهِيَ عِنْدَ الْعَرَبِ مَقْدَمُ الْحَيَّةِ
 (٧) الزَّوَلُ الشَّجَاعُ وَالْعَجَبُ. وَالْحَيْدُ الْعُنُقُ. وَيُرْوَى: جَعَلَ اللَّهُ حَيْدَهُ. وَالْحَيْدُ الْمَثَلُ وَالنَّظِيرُ

(٨) رَوَى فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَشَوَاهِدِ الْمَغْنِيِّ: «بَيْنَا يَخْلَعُ السَّرَابِيلَ... بِكَبْشٍ حَلَالٍ».

وَالْجُلَالُ الْجَلِيلُ وَالْعَظِيمُ
 (٩) رَوَى فِي شَرْحِ شَوَاهِدِ الْمَغْنِيِّ: فَخُذْنِ ذَا فِدَاءٍ ابْنُكَ أَنِّي. وَرَوَى الطَّبْرِيُّ: فَخُذَا ذَا. وَفِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ: فَخُذْنِ ذَا فِدَى لِابْنِكَ. وَيُرْوَى: فَأَرْسَلْ ابْنَكَ عَنْهُ إِنِّي مَا قَدْ فَعَلْتُمَا. وَقَوْلُهُ «غَيْرُ قَالَ» أَي غَيْرُ مَبْغُضٍ لَهُ أَي رَاضٍ بِهِ

والدُّ يَتَّقِي وَآخَرُ مَوْلُو دُ فطارا عنه بِسَمْعٍ مُعَالٍ ١)
رُبَّمَا تَجَزَعُ النفوس من الأمر له فَرَجَةً كَعَلَّ الْعِقَالِ ٢)
وقد اختصر ذلك السموءل في ديوانه (راجع طبعتنا ص ٣٠) فقال :

فهذا خليلٌ صيرَ الناسَ حوله رِياحِينَ جَنَّاتِ الفُصُونِ الذَوَابِلِ
وهذا ذبيحٌ قد فداهُ بِكَبْشِهِ بَرَاهُ بَدِيحًا لَا نِتَاجَ الثِيَابِلِ

٧ ﴿ ذَكَرَ لُوطَ وَعِقَابَ سَدُومَ ﴾ لوط اخو ابراهيم . ذكره العرب ورووا ما جرى
لسدوم من العقاب في عهده . ورد في المعاجم (الصحاح والتاج واللسان في مادة
سَدَمَ) لشاعر لم يذكروا اسمه ولعله هو الشاعر الآتي ذكره :

كذلك قومُ لوطٍ حينَ أَمْسَوْا ٣) كَعَصَفَ في سَدُومِهِمُ الرَّيْمِ

وجاء في التاج واللسان لعمر بن درّك العبدي يشير الى مثل العرب : « أجور
من قاضي سدوم » فقال :

وَأَتَى وَإِنْ قَطَعْتُ حَبَالَ قَيْسٍ وَخَالَفْتُ المُرُونَ عَلَى تَقِيمِ
لَأَعْظَمُ فِجْرَةً مِنْ أَبِي رِغَالٍ وَأَجُورُ فِي الْحُكُومَةِ مِنْ سَدُومِ

وقال امية بن ابي الصلت يذكر قصة سدوم وفجور اهلها وعقابهم (سفر
التكوين ف ١٩ ثم معجم البلدان لياقوت ٥٩: ٣ وكتاب البدء ٥٨: ٣ وآثار البلاد
للقرطبي) :

ثُمَّ لُوطٌ اخُو ٤) سَدُومِ اِتَاهَا اِذْ اَتَاهَا بِرُشْدِهَا وَهَدَاهَا
رَاوِدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ثُمَّ قَالُوا قَدْ خَيَّنَاكَ اِنْ تُقِيمَ قَرَاهَا
عَرَضَ الشَّيْخُ عِنْدَ ذَاكَ بَنَاتٍ كَطَبَاءٍ بِأَجْرَعٍ تَرَعَاهَا ٥)

١) قال الشارح : اي ذهب سمعه في الناس . والمعال المرتفع اي صار لها شرفاً يُذكران
به . و يروى : « بِسَمْعٍ مُعَالٍ » وهو تصحيف

٢) روي هذا البيت لشعراء كثيرين والارجح انه من هذه القصيدة لامية . قال في
خزانة الادب : « المشهور انه لامية من قصيدة طويلة عدتها تسعة وتسعون بيتاً ذكر فيها
شيثاً من قصص الانبياء داود وسليمان ونوح وموسى وذكر قصة ابراهيم واسحق وزعم انه
هو الذبيح وهو قول مشهور للعلماء . » وروي في كتاب البدء : « رُبَّمَا تَكَرَّهُ النفوس . » وفي
الحزارة : « من الشر » ٣) وفي معجم البلدان لياقوت (٥٩: ٣) : حين أضحوا

٤) في كتاب البدء : ثُمَّ لُوطًا اخَا

٥) روى القزويني : « غرض الشيخ » وهو تصحيف . وفي كتاب البدء : فرعاها

غضبَ القومُ عند ذاك وقالوا أيجأ الشيخ خطبةً نأبأها
أجمعَ القومُ أمرهم وعجوزُ خبيبَ الله سَعِيها ولحأها (١)
أرسلَ الله عند ذاك عذاباً جعلَ الأرضَ سُفلها أعلاها
ورماها بحاصبٍ ثم طينَ ذي جروفٍ مُسَوِّمٍ اذ رماها (٢)

٨ ﴿يعقوب وبنو اسرائيل﴾ يعقوب ابو الاسباط الاثني عشر الذي دُعي
اسرائيل ويقول العرب اسرائين. قال بعض القدماء. (اللسان ١٧: ٣٥١):
قد جَرَتِ الطيرُ أيا منينا قالت وكنتُ رجلاً فطيئاً هذا لعمري اسرائينا
رواهُ في القلب والابدال لابن سَكَيْت (ص ٩ ed. Haffner): «هذا وربّ
البيت اسرائينا». وسَمَّاهُ اميَّة بن ابي الصلتِ إِسْرا ل (نقد الشعر لقدامة ص ٨٣):
ما ارى مَنْ يغيثني في حياتي غير نفسي الا بني إِسْرا ل
وروى الجاحظ (في البيان والتبيين ١: ١٩٠) لبعض بني اِيادِ النصارى قوله وفيه
اشارة الى رؤيا يعقوب عند مسيره الى ما بين النهرين اذ رأى سَلَمًا تصعد عليه
ملائكة الله وتنحدر (تكوين ٢٨: ١٢) فقال:

ونحن اِيادُ عيدُ الاله ورهطُ مناجيه في السَلَمِ

ونسبوا الاسباط الى يعقوب. قال السموءل (اطلب طبعتنا لديوانه ص ١٢):
وبقايا الاسباطِ اسباطُ يعقوبَ بَ دراسِ التوراة والتابوتِ
وذكره في محل آخر وخص بالذكر يوسف ابنه وقصته في مصر (ص ٣١):
وهذا رئيسُ مجتبيٍ ثم صَفَوُهُ وسَمَّاهُ اسرائيلَ بَكْرِ الاوائلِ
ومن نسله السامي ابو الفضلِ يوسف م الذي اشبع الاسباط قَمَحِ السنايلِ
وصار بمصر بعد فرعون امره بتعبير احلامِ حلِّ المشاكلِ
ومن بعد احقابِ نَسُوا ما اتي لهم من الخير والنصر العظيمِ الفواضلِ

٩ ﴿موسى الكليم﴾ قد اكثر شعراء الجاهلية النصارى من ذكر موسى كليم الله
وروا ما جرى له مع فرعون ونجاة بني اسرائيل على يده من رق المصريين. فمن
ذلك ما ورد في كتاب البدء (١: ٧٥) وفي سيرة الرسول (ابن هشام ص ١٤٥ -

(١) لحأها اي لعنها. روى القزويني: «عزم القوم امرهم بعجوز... ومحاها». وفي
ياقوت: سَعِيها ورجاها

(٢) في معجم البلدان: ذي حروفٍ. والمسوِّم المكلَّف والمسخَّر

(١٤٦) وفي خزانة الادب (١: ١١٩ و ٤: ٢٤٣ في الهامش) يزيد بن عمرو ورويت ايضاً لأمية:

رضيتُ بكَ اللَّهُمَّ رَبَّاً فلن أرى
وانتَ الذي من فَضْلٍ من (٢) ورحمة
وقُلْتَ لَهُ فاذْهَبْ وهَارُونَ فَادْعُوا
وقولا لَهُ أَأَنْتَ سَوَّيْتَ هذه
وقولا لَهُ أَأَنْتَ رَفَعْتَ هذه
وقولا لَهُ أَأَنْتَ سَوَّيْتَ وسطها
وقولا لَهُ مَنْ يُرْسِلُ الشمسَ غدوةً
وقولا لَهُ مَنْ أَنْتَبَ الحَبَّ في الثرى
ويُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّةً (٨) في رَوْسِهِ
أَدِينُ الهَا غَيْرَكَ اللهُ ثانياً (١)
بعثتَ الى موسى رسولاً منادياً
الى الله فِرْعَوْنَ الذي كان طاغياً (٣)
بلا وتَدَّ حتى اطمأَنَّتَ (٤) كما هيا
بلا عَمَدٍ أَرْفِقُ إِذَا بكِ بانيا (٥)
مُنيراً إِذَا مَا جَنَّهُ اللّيلُ ساريا
فَيُصْبِحُ (٦) ما مَسَّتْ من الارضِ صاحيا
فأصبحَ مِنْهُ البَقْلُ يَهْتَرُ رابياً (٧)
وفي ذاك آياتٌ لمن كان واعياً

وروى المقدسي في كتاب البدء (٣: ٨٢) لأمية بن ابي الصلت يذكر صَلفَ فرعون وعقابه:

ولفرعونَ إِذْ تُسَاقُ لَهُ الما ٤ فهِلَّا اللهُ كان شَكُوراً
قال اني انا المُجِيرُ على الناسِ ولا رَبَّ لي عِليَّ مُجْبِراً
فجَاهُ اِلَالُهُ من درجاتٍ نامياتٍ ولم يكن مقهوراً (٩)
سُلبَ الذِّكْرَ في الحِياةِ جزاءً واره العذابَ والتغييرا
وتداعى عليهمُ البَحْرُ حتى صار موجاً وراءَهُ مستطيراً

- (١) وفي خزانة الادب (٤: ٢٤٣): راضياً
- (٢) فيها (١: ١١٩): من فضل سَيِّبٍ
- (٣) روى في كتاب البدء: فادعو. وهو مكسور الوزن. وروى في الخزانة: «وقلت لهارون اذها فتظاهرا على المرء...» وهي رواية مفلوطة
- (٤) في كتاب البدء: «أنت سمكتَ هذه بلا عمد حتى استقرت. وفي بلوغ الارب لشكري افندي الالوسي (٢: ٢٨٢): «أنت الذي سَوَّيْتَ» ووزنه مختل
- (٥) في سيرة الرسول: بك هاديا
- (٦) في كتاب الخزانة: «من اخرج الشمس بكرةً فأصبح»
- (٧) صحفه في كتاب البدء بروايته: «من ينبت الحى والثرى فتصبح... راسيا»
- (٨) في الخزانة: «فأصبحَ مِنْهُ حَبَّةً»
- (٩) كذا في الاصل. ولعلَّ في البيت تصحيفاً. والمقهور المفلوب

فدعا الله دعوة لا تُحْضَأُ بعد طغيانه فصار مُشيراً (١)

وَمَنْ ذَكَرُوا مُوسَى وَفِرْعَوْنَ السَّمَوِّلَ حَيْثُ قَالَ (راجع ديوانه ص ٣١) :

أَلَسْنَا بَنِي مِصْرَ الْمُنْكَلَّةِ الَّتِي لَنَا ضُرِبَتْ مِصْرُ بَعْشَرٍ مَنَا كُلِّ
أَلَسْنَا بَنِي الْبَحْرِ الْمَفْرَقِ وَالَّتِي لَنَا غُرِقَ الْفِرْعَوْنُ يَوْمَ التَّحَامِلِ

ومثله للقطامي في غرق فرعون (ديوانه ص ٨٤ ed. Barth) :

وَشَقَّ الْبَحْرُ عَنْ أَصْحَابِ مُوسَى وَغُرِقَتْ الْفِرَاعْنَةُ الْكِفَارُ

وقال الاعشى مشيراً الى اكل بني اسرائيل المن والسلوى في البرية (سيرة

الرسول لابن هشام ٣٦٨ ولسان العرب ١١: ١٩) :

لَوْ أَطْعَمُوا الْمَنَ وَالسَّلْوَى مَكَانَهُمْ مَا ابْصَرَ النَّاسَ طُعْمًا فِيمَ تَجْعَلُ

وللسموئل يصف ما جرى في البرية لبني اسرائيل (ديوانه ص ٣١) :

واخرجهُ الباري الى الشعب كي يرى
وكيما يفوزوا بالنعمة اهلهما
أَلَسْنَا بَنِي الْقُدْسِ الَّذِي نَصَبَ لَهُمْ
من الشمس والامطار كانت صيانة
أَلَسْنَا بَنِي السَّلْوَى مَعَ الْمَنِّ وَالَّذِي
على عدد الاسباط تجري عيونها
وقد مكثوا في البر عمراً محدداً (٢)
فلم يبل ثوب من لباس عليهم
وارسل نوراً (٣) كالعمود امامهم
أَلَسْنَا بَنِي الطُّورِ الْمُقَدَّسِ وَالَّذِي
ومن هبة الرحمان دُكَّ تَذَلُّلاً (٤)
وناجي عليه عبده وكيمة
اعاجيبه مع جوده المتواصل
من الذهب الابرز فوق الحائل
غمام يقيم في جميع المراحل
تجير نواديهم نزول الفوائل
لهم فَجَرَ الصَّوَّانُ عَذَبَ الْمَنَاهِلِ
فَرَاتًا زَلَالًا طَعْمُهُ غَيْرَ حَائِلِ
يغذيهم العالي (٥) بنجر الماك
ولم يحوجوا للنعل كل المنازل
ينير الدجى كالصبح غير مزايل
تَدَخَّدَخَ (٦) للجبار يوم الزلازل
فشرفه الباري على كل طائل
فقدسنا للرب يوم التباهل

١٠ ﴿ القضاة الى داود ﴾ كان خلف موسى في قيادة شعب اسرائيل يشوع بن

نون ولم نجد اسمه في الشعر الجاهلي . وانما ذكر الشريشي في شرح مقامات الحريري (١) :

٨٠ (بيتين للرصافي الشاعر يخاطب وجيهاً اسمه موسى فيهما اشارة ايقاف يشوع
للشمس فقال :

(١) نظن ان الرواية مصحفة (٢) في الاصل: مجدداً (٣) وبرى: الباري

(٤) وبرى: وانصب نوراً (٥) وبرى: تدكدك

(٦) وبرى: أليس تطأ بالجليل تذلاً

وعشيَّ أنسى للسرور وقد بدا من دون قرص الشمس ما يتوقع
سقطت ولم تملك يمينك ردها فوددت يا موسى لو أنك يوشع

وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ١: ٩٨) أبياتاً لشاعر
جاهلي اسمه عوف بن سعد الجرهمي يذكر فيها حرب يشوع للعمالقة وقتله للملكهم
ملك آيلة الذي دعاه السميندع بن هوبر فقال :

ألم تر أن العمليقي بن هوبر بأيلة أمسى لحمة قد نزعاً
تداعت عليه من يهود جحافل ثمانين الفا حاسرين ودرعاً
فأمتت عداداً للعالمى بعده على الارض مشياً مضعين وفرعاً (١)
كان لم يكونوا بين اجبال مكة ولم ير راء قبل ذاك سميندا

ثم ذكروا أول ملك بني اسرائيل المسمى شاول وهم يدعونه طالوت قال
السموئل (ديوانه ص ١٢):

وانفلاق الامواج طورين عن موسى وبعد المملك الطالوت
وذكره صاحب القرآن في سورة البقرة (٢٤٨) : « ان الله قد بعث لكم
طالوت ملكاً »

١٢ ﴿ داوود الملك ﴾ تكرر اسمه في الشعر الجاهلي . ولم يكد الشعراء يذكرون
من امره غير وضعه للزبور وسرده للدروع . الا ان سموئل اشار الى قتله جليات
وهو يدعوه جالوت قال (ديوانه ص ١٣):

ومصاب الافريس حين عصى الله واذ صاب حينه الجالوت
وفي القرآن (٢: ٢٥٢): « وقتل داود جالوت »

وقد ذكره عبيد بن الابصر (خزانة الادب ١: ٣٢٣) بياناً لطول عمره:
وطلبت ذا القرنين حتى فاتني ركضاً وكدت ان ارى داودا

وقال الاعشى يذكر حوادث الدهر (حماسة البحتری ص ٩٠):

ومر الليالي كل وقت وساعة يزغزن ملكاً او يباعدن دانيا
وردن على داود حتى أبدنه وكان يقادي العيش اخضر صافيا

وقد اكثروا من ذكر داود ونسجه للدروع ولا نعلم على اي نص استندوا في
اثبات ذلك قال طرفة (شعراء النصرانية ٣٠٩ وديوانه ص ٥٨ ed. Seligson):

وَهُمْ مَا هُمْ إِذَا مَا لَبِسُوا نَسَجَ دَاوُودَ لِبَاسٍ مُخْتَصِرٌ
 وَقَالَ حُصَيْنُ بْنُ الْحُمَامِ الْمَرِّي (حماسة ابي تمام ص ١٨٩) يصف كتاب كان
 يقودها عمرو بن هند ملك الحيرة الملقب بالمرقوق:
 عليهن فتیان کسام مُحَرَّقٌ وكان اذا يكسو أجاداً واکرماً
 صفائح بصرى أخلصتها فيونها ومطرّداً من نسج داوود مَبْهًا (١)
 وكذلك جاء في حماسة ابي تمام (ص ٢٨٤) لَحْسِيلُ بْنُ سُجَّعٍ الضبيّ في
 وصف الدرع:

وبيضاء من نسج ابن داوود نثرةٍ تخيرتها يوم اللقاء ملبسا
 ومثله للبيد (حماسة البحري ص ٨٤) وديوانه طبعة الخالدي (٨٣) في كوارث
 الزمان:

وتزَعَنَ من داوودَ احسن صنعه ولقد يكونُ بقوةٍ ونعيمٍ
 صنعَ الحديدَ لحفظه اسراده لينال طول العيش غير مَرُومٍ
 ومثلهم قال الاعشى (شعراء النصرانية ٣٨٨):

واعددتُ للحرب اوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذُكُورا
 ومن نسج داوود يُخَدَى بها على أثر العيس عيراً فَعَبِيراً
 وكذا اسلامة بن جندل (الاصمعيات ص ٥١) في وصف درع:
 مداخله من نسج داوود شكها كعب الجنا من أبلَمٍ مفرّقٍ
 وله ايضاً (راجع طبعتنا لديوانه ص ١٤):

لبسوا من الماذي كلّ مفاضة كالنهي يوم رياحه الرّفاق
 من نسج داوود وآل محرقٍ غالٍ غرائبهنّ في الآفاق

امّا زُبُور داوود فقد مرّ لنا ما ورد فيه من شعر العرب (راجع ما سبق
 ص ١٨٤):

﴿سليمان الحكيم﴾ اطنب شعراء الجاهلية في حكمة سليمان وسمو سلطانه
 وابنيته العجيبه التي ذكرها الكتاب الكريم في سفر الملوك الثالث واخبار الايام الثاني
 ويزيد العرب ان سليمان كان يقهر الحيوان ويسخر الجن للقيام باعماله الجبارية . فمن

ذلك قول النابغة من قصيدة مدح فيها النعمان فجعله مقتفياً لآثار سليمان في تسخير
الجنّ لبناء تدمر (ديوانه في العقد الثمين ص ٧ وشعراء النصرانية ٦٦٣):

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه ولا أحاشي من الاقوام من أحد (١)
ألا سليمان إذ قال الاله له قم في البرية فأخذوها عن الفند (٢)
وخيس الجنّ اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد (٣)
فمن أطاعك فأنفعه بطاعته (٤) كما اطاعك وادلته على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمّد (٥)

وكذلك قد نسب اعشى قيس بناء قصر الابلق الفرد الى سليمان بن داود
حيث قال (معجم البلدان ١: ٩٣ وشعراء النصرانية ص ٣٧٥):

ولا عاديا لم يمنع الموت ماله وورّد بنياء اليهودي ابلق
بناء سليمان بن داود حقبة له ارج عال وطي موثق
يوازي كبيداء السماء ودونه بلاط ودارات وكس وخندق

وللاعشى ايضاً في سليمان وسعة ملكه وتسخير الجنّ (كتاب البدء
١٠٨: ٣):

فلو كان حياً خالداً ومعمراً لكان سليمان البري من الدهر
براه الهى واصطفاه عبارة وملكه ما بين سرفى الى مصر (٦)
وسخر من جنّ الملائك شيعة (٧) قياماً لديه يعملون بلا أجر (٨)

- (١) ويروى: «وما ارى . . وما احاشي»
- (٢) ويروى: ولا سليمان إذ قال المليك له . ويروى: كن في البرية . عن العند .
ويروى: واردوها عن الفند . ويروى: وازجرها عن الفند . والفند الخطأ
- (٣) خيسه ذلله . وتدمر المدينة الشهيرة التي ذكر في سفر الملوك الثالث (١٨: ٩) ان
سليمان بانها . والصفاح الحجارة العراض . وروى الثعلبي في قصص الانبياء :
وجيش الجيش اني قد أبحث لهم بناء تدمر بالاحجار والعمد
(٤) ويروى: فاعقبه لطاعته اي جازره
- (٥) الضمّد الذلّ والظلم
- (٦) قوله «عبارة» لعله تصحيف «عباده» . امّا سرفى فلم نجد لها ذكراً في كتب البلدان
وقد زعم المسيو هوارت (Ch. Huart) انها صرفند وان الاعشى اشتقها من اليونانية
«Σαρπενδα»

(٧) روى في لسان العرب (٢٥١: ١٦) والتاج (١٦٥: ٩): تسعة

(٨) روى في التاج (١٦٥: ٩): «يعملون محاربا» بتغيير القافية غلطاً

وقال الاعشى (حماسة البحتري ص ٩٠) في تسخير الجن لسليمان :
فذاك سليمانُ الذي سَخَّرَتْ لَهُ مع الانس والجن الرياحَ المَرَّاحِيا

ولامية بن ابي الصلت في قهر سليمان للجن (اللسان ١٩: ٢١٥):
أَيُّ شَاطِينٍ مِصَاهُ عَكَاهُ ثُمَّ يُلْقَى فِي السَّجْنِ وَالْأَغْلَالِ

ومثاهُ لشاعر حميري (حماسة البحتري ص ٨٧) في صروف الدهر :
خَطَفَنَ سُلَيْمَانَ الَّذِي سَخَّرَتْ لَهُ شَاطِينُ جَنٍّ مِنْ بَرٍّ وَذِي جُرْمٍ

وكذا قال عدي بن زيد (حماسة البحتري ص ٨٦):
وَمُلِكَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ زَلَزَلَتْ وَرِيدَانَهُ قَدْ أَلْحَقْنَهُ بِالصَّعَائِدِ
وقد مرَّ سابقاً ان اسم سليمان ورد على صور اخرى كسالم وسلام وسليم (راجع
الصفحة ٢٣٢):

﴿يُونَانَ النَّبِي﴾ لم نجد في الشعر الجاهلي ذكراً لاحد ملوك بني اسرائيل بعد
سليمان. وكذلك الانبياء الا يونس النبي فانهم يدعونه يونس ويشيرون الى قصته
وبعثه الى اهل نينوى فيذكرون ابتلاع الحوت له. قال امية بن ابي الصلت (شعراء
النصرانية ص ٢٣١ وسيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٦):

وانت بفضلٍ منك بُحِيتَ يُونَسًا وقد بات في أضعاف حوت ليلاليا
رسولاً لهم واللهُ يُحْكَمُ امرُهُ يُبَيِّنُ لهم هل يُونَسُ التُّرْبُ باديا

وقد ضربوا المثل في حوته فقالوا: «آكل من حوت يونس» و«أنهم من حوت
يونس» وكذلك ورد ذكره في القرآن في سورة الصافات حيث قال (ع ١٣٩ -
١٤٨): «وَأَنَّ يُونَسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ
الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ. فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَّتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى
يَوْمٍ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ وَارْسَلْنَاهُ
إِلَى مِائَةِ الْفِ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ». وقد ورد للفرزدق ابيات في
نجاة يونس من بطن الحوت فقال في ابن هبيرة حين ثقب سجن خالد بن عبد الله
القسري وعبر الفرات (محاضرات الادباء ١١٤: ٢) والفرج بعد الشدة للتخوي
: (١٢٨: ١)

ولمَّا رَأَيْتَ الْإِرْضَ قَدْ سُدَّ ظَهْرُهَا وَلَمْ تَرَ إِلَّا بَطْنَهَا لَكَ مَخْرَجَا
دَعَوْتَ الَّذِي نَادَاهُ يُونَسُ بَعْدَ مَا ثَوَى فِي ثَلَاثِ مَظَلَّاتٍ فَفَرَّجَا

وروى في كتاب البدء (١: ٧٣) بيتاً لصرمة بن أنس المعروف بالراهب فيه إشارة الى قصة يونس. ولعل البيت مصحّف:

وله الراهب الحبس تراه رهن يونس (١) وكان ناعم بال

وقد وجدنا في بعض مخطوطات باريس العربية «كتاب تاريخ الحيوان والنبات والجماد» (Ms 687 de Paris, ff. 65) بيتاً لامية يذكر فيه الیقطينة التي انبتها الله ليستظلّ تحتها وايبستها الشمس (سفر يونا ٤: ٣-٧):
فأنبت یقطيناً علیہ برحمة من الله لولا الله أبقي (٢) صاحباً

ونضيف الى ما سبق بيتاً رواه الجاحظ لامية (كتاب الحيوان ٧: ١٧) ذكر فيه نبوة حزقيال التي رآها حيث ظهر له رجل ثم اسد ثم ثور ونسر وهي الحيوانات الرمزية المشار بها الى الاربعة الانجيليين اعني متى الذي بدأ انجيله بذكر ناسوت السيد المسيح ونسبه ثم مرقس الذي افتتح انجيله ببشارة يوحنا المعمدان كنزير الاسد في البرية ثم لوقا الذي ذكر في بدء انجيله ضحية زكريا في الهيكل واخيراً يوحنا الذي ارتفع كالنسر بوصف مولد ابن الله الكلمة الازلية. وهذا هو البيت:

رجل (٣) وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث موصد (٤)

وكذلك ورد في الشعر الجاهلي اسم حيقار او حيقر المذكور في الترجمة اليونانية من سفر طوبياً (١: ٢٣) وله قصة طويلة عند العرب نشرها حضرة الاب انطون صالحاني في ملحقات الف ليلة وليلة. قال عدي بن زيد (حماسة البحاري ص ٨٦) في بلایا الدهر:

عصّفن علی الحیقار وسط جنوده ویتنّ فی لذّاته ربّ ماردٍ

هذا ما وقفنا عليه في الشعر الجاهلي من منقولاتهم عن العهد القديم الا ان في رواياتهم النثرية ما كان اوسع وادل لولا ان معظمها قد فقد وانما حفظ منها قسم في تاريخ المؤرخين الاقدمين كتاريخ الطبري او كتبهم الادبية ككتب الجاحظ وكثير

(١) كذا في الاصل. ولعل الصواب: «رهن يونا» بدلاً من يونا ليستقيم الوزن

(٢) كذا في الاصل ونظن الصواب: ما بقي صاحباً

(٣) رواه الدميري في حياة الحيوان: «زحل» وهو تصحيف

(٤) وفي عجائب المخلوقات للقزويني (ص ٥٦) وليث ملبد

منها مدوّن في القرآن. ومن هذه الروايات ما هو موافق لنصوص الكتب المقدسة منقول عنها بحرفها او بمعناها. ومنها ما تجده في كتب مصنوعة نسبت زوراً الى انبياء او رسل او صالحين كـ بعض كتب الرؤى (Apocalypses) او الوحي المزعوم كوصية آدم وكتاب اخنوخ وصعود اشعيا ومناجاة موسى وكتاب مغارة الكنوز المنسوب الى مار افرام وكتب أخرى عديدة دخلت في بلاد العرب بواسطة النصارى لاسيما الرهبان او بواسطة اهل البدع واليهود فشاعت مضامينها الفرية ولم يميزوا بين صحيحها وكاذبها وربما استند اليها بعض اعداء النصرانية في عهدنا لتخطئة الكتب المنزلة لكنّ سهامهم طائشة لا تصيب هدفاً

٢ أحداث العهد الجديد

كما عرف العرب في الجاهلية الاخبار المدونة في اسفار العهد العتيق كذلك عرفوا احداث العهد الجديد واشاروا اليها نظماً ونثراً ومعلوم أنّ مدار اخبار هذا العهد على ما رواه الانجيليون الاربعة عن السيد المسيح وسيرة حياته وتعليمه وموته وقيامته يُضاف اليها امور ورد ذكرها في التقليد الراقى الى قرون النصرانية الاولى ودوّنت في تأليف عديدة بعضها صحيحة صادقة كمصنفات الآباء والكتبة القدماء وبعضها امتزج فيها الغش بالسمين واختلط الباطل باليقين كـ بعض اناجيل الزور التي سبق لنا وصفها في المشرق سنة ١٩٠٨ (١١: ١٦٤-٢٠٥) وانتشر قسم منها في بلاد العرب بين اهل الجاهلية فمما عرفوه أنّ عيسى اي يسوع الناصري هو المسيح. قال السموئل (راجع طبعتنا لديوانه ص ٣٢):

وفي آخر الأيام جاء مسيحنا فأهدى بني الدنيا سلاماً (التكامل)

والعرب لم يطلقوا هذا الاسم على غيره بل صرحوا انه هو اسمه الخاص به. وكذلك نسبوه الى امه مريم كما مرّ لعمر بن عبد الحق: وما سبّح الرهبان في كلّ هيكلي ابيلى الابيلين المسيح ابن مريم يؤيده قول القرآن في سورة آل عمران (ع ٤٠): «اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم»

وقد عرفوا من التقليد أنّ مريم العذراء مباركة بين النساء تفوق شرفاً على نساء

العالمين فطهرها الله مُنذُ حُبْلِهَا بالبطن وذلك بنعمة خاصة منه تعالى حتَّى انَّ الثعلبي روى في كتاب قصص الانبياء المسَّمَّى بالعرائس (ص ٣٣٧ من طبعة مصر) حديثاً رفعه باسناده الى ابي هريرة عن نبي المسلمين وهو قوله: « ما من مولود الا والشيطان يَمَسُّهُ حين يولد فيستهلّ صارخاً من مسّ الشيطان الا مريم وابنها » ولعلّ القرآن اشار الى هذه النعمة الجليلة حيث يقول (سورة آل عمران (ع ٣٧) : « يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين »

وذكر الثعلبي ايضاً (ص ٣٣٥-٣٣٨) وروى قبله المقدسي ابن طاهر في كتاب البدء والتاريخ (ج ٣ : ١١٨-١٢٠ ed. Huart) خبر مولد مريم العجيب من حنة العاقر بعد نذر والدتها ثم اعترلها في هيكل اورشليم لخدمة الكهنة ثم كفالة زكرياً لها في الهيكل الى حين اقترانها بالقديس يوسف وكل ذلك منقول عن التقليد المسيحي القديم وهو مروى في سورة آل عمران (ع ٣١-٣٣) :

« اذ قالت امرأة عمران : ربّ اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني انك انت السميع العليم فلما وضعنها قالت : ربّ اني وضعتها أنثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالأُنثى واني سميتها مريم واني اعوذها بك وذريتها من شيطان الرجيم فتقبلها ربّها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا . كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم : انّى لك هذا . قالت : من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب »

ولم يفتهم ذكر يوحنا المعمدان السابق أمام وجه المسيح فرووا ما ورد مسطّراً في انجيلي لوقا ومرقس عنه اعني ميلاده العجيب على كبر سن والديه وبينوا مقامه بين الانبياء وتقدمه امام وجه المسيح وموته على يد هيرودوس انتيباس اذ نهاه عن الزواج بأمرأة اخيه كما ورد في تاريخ الطبري (ج ١ ص ٧١١-٧٢٠) وفي كتاب البدء والتاريخ (٣ : ١١٦-١١٨)

وتما روه بتفصيله بشارة الملاك للعدراء مريم بالمسيح وحبلها من الروح القدس وإن دخل في روايتهم منقولات ضعيفة عن كتب غير قانونية كما رأيت في القصيدة التي اثبتناها سابقاً (ص ١٨٧-١٨٨) عن امية بن ابي الصلت التي اولها :

وفي دينكم من ربّ مريم آية منبئة بالبعد عيسى بن مريم

ومثلها ما روه من المعجزات عن يسوع الطفل كتكلمه في المهد وكآياته في

هربه الى مصر من وجه هيرودوس وفي حياته في الناصرة كالحناء اغصان النخل امام

أمه لتجني من تخرها وكنبات البلسان في الطرية لما سقت ارضها بماء غسله وكإحلام يسوع لاستاذة في الناصرة بما كان يعرضه عليه من المشاكل وكنفخه في طير يصطنعه من طين فيحيا ويطير واخبار كثيرة مثلها رويت في الانجيل الموضوعة التي شاعت في جزيرة العرب اخضاها انجيل الطفولية فتناقلها اهل الجاهلية وروى بعضها في القرآن في السور الموسومة بآل عمران والنساء والمائدة ومريم

وذكروا من حياة المسيح العلنية جمعة لسله وانصاره الحواريين فنوهوا بهم في شعرهم (راجع الصفحة ١٨٩-١٩٠ وكرر ذكرهم في القرآن. وذكروا ايضا الآيات التي اجتدحها ورويت في الانجيل كتطهير البرص وفتح عيون العميان ورد النطق للبكم والسمع للصم واحياء الموتي حتى ضرب المثل بطب عيسى وشفاء عيسى قال الثعالبي في كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (طبعة مصر ص ٤٧) :

طب عيسى - يضرب به المثل لانه كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتي باذن الله.
ومن امثال العرب: فلان يتطبب على عيسى بن مريم قال المتنبي :

فأجرك الاله على عليل بعث الى المسيح به طبيباً

وكثيراً ما ذكروا الانجيل الذي بشر به السيد المسيح فاشاروا الى ما فيه من الهدى والنور والوعظة للمتقين « (سورة المائدة العدد ٥٠) قال عدي بن زيد (كتاب الحيوان للجاحظ ٤: ٦٦) :

وأوتيا الملك والانجيل نقرأه نشفي بحكمته احلامنا عللاً
من غير ما حاجة الا ليجعلنا فوق البرية ارباباً كما فعلاً

ومثله قول النابغة في بني غسان وقد دعا الانجيل بالمجلة :

مجلتهم ذات الاله ودينهم قوم فارجون غير العواقب

وأذكر كما اسرار حياة المسيح في ختامها كدخوله اورشليم يوم الشعانين (راجع الصفحة ٢١٥) وكعشائه السري في خميس العهد ورسمه لسر القربان الاقدس وآلامه وصلبيه وموته وان اختلطت في اقوالهم شبهات نقلوها عن الكتب المزورة التي رذلتها الكنيسة منذ ظهورها. وقد سبق لنا (ص ٢٠٩-٢١٠) ايراد اقوالهم في القربان. وتسميتهم له بالشبر. وقلنا هناك انه ليس بمستبعد ان القرآن في سورة المائدة (ع ١١٢-١١٦) بذكره للمائدة التي انزلها السيد المسيح على الحواريين اغما

اشار الى المائدة السموية اي القربان الاقدس (راجع تاريخ الطبري ج ١ ص ٧٣٥)
وكذلك عرفوا في عهد الجاهلية ان النصارى يعبدون المصلوب (راجع الصفحة
٢٠٣ - ٢٠٤) كقول حنّار بن ايجر في بني عجل النصارى :

يهدّني عجلٌ وما خلتُ انّي خلاَةٌ لعجلٍ والصليبُ لها بَعْلُ
وكقول الأقفشِر :

« في فنية جعلوا الصليبَ إلههم »

ومّا ألعوا اليه ذكر قيامة المسيح يوم الفصح وابتهاج النصارى فيه بعد الصوم
الاربعيني (راجع الصفحة ٢١٦) كما قال الاعشى في هوزة بن علي لما فكّ اسارى
تميم :

فكّ عن مئةٍ منهم إسرهمُ واصبحوا كلّهم من غلّه خلعا
جم تقرب يوم الفصح ضاحيةً يرجو الاله بما أسدى وما صنعاً

وآخر ما روي من اعمال المسيح صعوده الى السماء وهو عيد السّلاق (راجع ص
٢١٧) وقد دعا القرآن ذلك برفع عيسى (سورة آل عمران ع ٢٨) حيث قال : « قال
الله يا عيسى اني متوكل بك ورافعك الي »

ويضيفون الى ذلك ان السيد المسيح هو الذي يدين البشر في آخر العالم بعد
انتصاره على المسيح الدجال كقول القائل « اذ المسيح يقتلُ المسيحاً » (لسان
العرب ٣ : ٤٣٠) وكما قال امية بن ابي الصلت (راجع الصفحة ١٧٨) :

ايّام بلقي نصاراهم مسيحهُم والكاثنين له ودّا وقربانا

وهذا بلا شك اخذوه من قول السيد المسيح في انجيل يوحنا (٢٢ : ٥) :
« انّ الآب لا يدين احداً بل اعطى الحكم كلّهُ للابن ليكرم الابن جميعُ الناس »
او من قوله في انجيل متى (٢٧ : ١٦) : « ان ابن البشر مزعم ان يأتي في مجد ابيه
مع ملائكته ليجازي كل احد بحسب اعماله »

وكما وقف العرب في الجاهلية على كثير من اخبار السيد المسيح المدونة في
اسفار العهد الجديد اطلعوا ايضاً على بعض الاحداث التي جرت للنصارى في الفترة التي
كانت بين السيد المسيح وظهور الاسلام . من ذلك بعثة رسل المسيح الى اقطار العالم
ليدعوا الأمم الى دينه كما روى ذلك اقدم كتبة العرب كالطبري في تاريخه (ج ١ ص

٧٣٧-٧٣٩) وابن طاهر المقدسي في كتاب البدء والتاريخ (ج ٣ ص ١٢٧). ويقول مفسرو القرآن ان ما ورد في سورة يس عن مُرْسَلَيْن أُرسلا الى قرية ليدعوا اهلها الى نفي عبادة الاصنام والايان بالله انما يشير الى حواريين وهما شمعون الصفا هامة الرسل وبولس الرسول قدما الى انطاكية ليردّا اهلها فقبل دعوتهم رجلٌ يدعونه حبيباً النجّار قُتل شهيداً عن ايمانه وعاقب الله قاتليه (اطلب تاريخ الطبري ج ١ ص ٧٨٩-٧٩٣) ونما روه من اخبار النصارى نقلاً عن كتبهم قصة شهداء أفسس السبعة الذين اراد الملك دقيوس في اواسط القرن الثالث للمسيح ان يضطرهم على عبادة الاصنام فهربوا من وجه الحكّام واختفوا في مغارة حيث قيل ان الله ضرب على آذانهم فناموا ولم يستيقظوا الا بعد سنين طويلة مرّت عليهم كليلة فبعثهم الله ليكونوا آية لقيامه الموتي. فهذه القصة التي شاعت في عدّة بلاد وروتها مجاميع اخبار القديسين تحت اسم « السبعة النّوام » (les Sept Dormants) بلغت عرب الجاهلية فدعوههم اصحاب الكهف اشارة الى الكهف الذي رقدوا فيه. وقد ذكرهم اميّة بن ابي الصلت في ابيات لم يُعرف منها غير بيت استشهد به البيضاوي في تفسير القرآن (طبعة ليدن ص ٥٥٥):

وليس بها الا الرقيم مجاوراً وصيّدُهُم والقوم في الكهف هُجِدُّ

وكذلك وردت اخبارهم في القرآن في سورة الكهف. وقد اتسع كتبة العرب في تفاصيلها كما نقلناها في كتابنا مجاني الادب (٢: ٢٣٦) ملخّصة عن الديميري وتجدها ايضاً مفصّلة في تاريخ الطبري (ج ١: ٧٧٥-٧٨٢)

وقد عرف العرب في الجاهلية شهيداً آخر للنصرانية وهو القديس جرجس المستشهد في عهد ديقلسيانوس في اوائل القرن الرابع للمسيح نحو السنة ٣٠٢ وهم يدعونه بالخضر جعلوه من الانبياء. وزعم الطبري (ج ٧ ص ٧٩٥) « انه ادرك بقايا من حواربي عيسى ابن مريم » ورووا في استشهاده العجائب الغرائب (١). وقد وجدوا بين الكنائس المشيئة لآكرامه كنيسة ترقى الى القرن الرابع للمسيح في

(١) راجع في المشرق ٦ [١٩٠٣]: ٣٨٥-٣٩٥) مقالة جمعنا فيها ما يُعرف من آثار هذا الشهيد ثم اضعنا اليها اثراً آخر اثبتناه في المجلة عنها (١٠ [١٩٠٧]: ٤١٤-٤٣٠) (اطلب ايضاً تاريخ الطبري (١ ص ٧٩٥-٨١٢)

جهات العرب وهي اقدم الكنائس على اسم ذاك الشهيد العظيم بُنيت سنة ٣٦٧ في مدينة شقّة من اعمال حوران (١)

وقد سبق لنا (اطلب الجزء الاول ص ١٠٣ - ١٠٤) انّ عرب الجاهليّة عرفوا ايضاً القديسين الشهيدين سرجيوس وباخوس وانّ اقدم أثرٍ كُتب بالعربيّة انما كان لتذكارهما . وقد رسمنا هناك صورة ذاك الأثر الراقى الى سنة ٥١٢ للمسيح وروينا ما اثبتّه احد مشاهير السريان عن تعبد العرب في الجاهلية للقديس سرجيوس كما اننا ذكرنا اقوال الشعراء في خروجهم الى الحرب تحت راية ذاك الشهيد (ص ٩٩ - ١٠٠)

واشتهر بينهم شهداء نجران الذين ماتوا في سبيل دينهم في وسط العرب فعرفوهم باصحاب الاخدود لأنّ ذا نوّاس الطاغية الحميري اليهودي القاهم في اخايد اضرم فيها النار فاستشهدوا لكرامة دين المسيح واليهم اشار القرآن في سورة البروج حيث قال (ع ١ - ٩) :

والسّاء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قُتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السماوات والارض والله على كل شيء شهيد

امّا ذو نوّاس فخاربه الحبش وغلّبه وانتزعوا بلاد اليمن من يده وفيه يقول عمرو بن معدي كرب (كتاب العرائس للثعلبي ص ٣٨٦ وكتاب البدء والتاريخ ٣ : ١٨٣) :

أَنُوهْدُنِي كَأَنَّكَ ذُو رُعَيْنِ بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ أَوْ ذُو نَوَّاسٍ
وَقَدِمًا كَانَ قَبْلَكَ فِي نَعِيمٍ (٢) وَمَلِكٍ ثَابِتٍ فِي النَّاسِ رَاسٍ
فَقَدُتُمْ عَهْدَهُ (٣) مِنْ عَهْدِ عَادٍ عَظِيمٍ قَاهِرِ الْجَبَرُوتِ قَاسٍ
فَأَمْسَى أَهْلُهُ بَادُوا وَأَمْسَى يُنْقَلُ (٤) فِي أَنْاسٍ مِنْ أَنْاسٍ

ومما درى به ايضاً عرب الجاهليّة من امور النصارى نظام كنيستهم من رئيس

(١) راجع مجموع الكتابات اليونانية (CIG n° 8609) وكتابات وادنتن (Wadington, n° 1981, 2038, 2092, etc)

(٢) روى في كتاب البدء والتاريخ (٣ : ١٨٣) : وكان كان قبلك من نعيم

(٣) وفيه : قدم عهده (٤) وفيه : يحول

ومرووس كالبطاركة والمطارنة والكهنة والمؤمنين مع ما لهم من الطقوس الدينية والاسرار المقدسة والعادات التقوية وقد اثبتنا ذلك في الفصول السابقة بياناً لانتشار النصرانية في جزيرة العرب فليراجع

الفصل الخامس

في الامثال العربية المنقولة عن الاسفار المقدسة

يعرف القراء ما كان للامثال الدارجة من الشهرة والاعتبار بين عرب الجاهلية فانهم اودعوها اخبارهم وضمنوها حكمهم وكانوا يحلون بها صدور محافلهم ويُدرجونها في خطبهم وينظمونها في اسلاك قصائدهم وينقلونها في النخاء جزيرتهم حتى ضرب المثل في سيرها فقالوا: أسير من مثل وانما فضلها لاربعة فوائد وجدوها فيها كما قال احدهم: اجتمع في المثل اربعة لا تجتمع في غيره من الكلام ايجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية. وهذه الخواص تنطبق كلها مع غرائز العرب واطباعهم اذ عرفوا بالرزانة والتروي في الكلام وايراد الحكم البليغة باللفظ الوجيز. وقد اشار صاحب سفر الملوك الثالث الى حكمة العرب هذه عند كلامه عن حكمة سليمان وقد سماهم هناك باهل المشرق فقال (٤ : ٣٠) : « ففاقت حكمة سليمان حكمة جميع اهل المشرق » ثم ذكر بعض العرب المشهورين بذلك ولما ظهر الاسلام واخذ اللغويون يحولون في احياء العرب ليجمعوا شعرهم وماثرهم الادبية جعلوا لامثالهم شأناً عظيماً. وكان اول من اخذ بجمعها عبيد بن شريّة وصحار العبدي كانا في عهد الخليفة معاوية بن ابي سفيان ولكليهما كتاب في الامثال واشتهر بعدهما المفضل الضبي في اوائل الدولة العباسية وقد طبعت امثاله في الاستانة ثم تبعه ابو عبيد القاسم بن سلام وله كتاب الامثال السائرة ثم الاصمعي وابو زيد وابو عبيدة النحوي ثم هشام الكلبي صاحب كتاب امثال حنير ثم ابن الاعرابي وله تفسير الامثال وابن قتيبة مؤلف حكم الامثال ثم العسكري مؤلف جمهرة الامثال حتى قام الميداني شهاب الدين احمد النيسابوري (٥٣٩ - ١١٤٥ م) فوضع كتابه مجمع الامثال وضمّنه نيفاً وستة الاف مثل جمعها من اكثر من خمسين

كتاباً ورتبها على حروف المعجم (ونحن نشير في كلامنا الى طبعة بولاق سنة ١٢٨٤) وقد راجعنا ما تيسر لنا من هذه المجاميع لعلنا نقف على اصول تلك الامثال فوجدنا عدداً منها نُقل بلفظه او بمعناه عن اسفار العهدين القديم والحديث ما يدل على ان قائلها عرفوا كتب النصارى المنزلة وخالطوا النصارى ولعل قوماً منهم كانوا نصارى فلم يصعب عليهم ان يضربوا الامثال نقلاً عن كتب كانوا يسمعونها في مجتمعاتهم الدينية

وها نحن نورد هنا هذه الامثال اثباتاً لقولنا ونشير الى الآيات الكتابية المأخوذة عنها. ولم ننقل غير الامثال الراقية الى عهد الجاهلية او اوائل الاسلام ما يدل على هذا النفوذ النصراني بين العرب ونقسم هذا الفصل اربعة اقسام

١ ان بين الامثال العربية قسماً كبيراً ورد على صورة أفعال التفضيل ذكره الميداني في آخر كل باب من حروف المعجم . وهذه الامثال مبنية على ما خُصت به المواليد الطبيعية من الصفات اللازمة لها كنور الشمس وحلاوة العسل وشجاعة الاسد . فهذه الامثال التي نُقلت عن العرب ليست خاصة بهم وقد سبقهم الى استعمالها اصحاب الاسفار المنزلة في العهدين القديم والحديث سواء قيل ان العرب استعاروها من تلك الاسفار او انهم اوردوها بمجرد نظرهم الى الطبيعة

فمنها امثال مبنية على الطبيعة الجامدة كالفلك وظواهر الجو والمعادن نذكر هنا ما عثرنا عليه من ذلك . يقول العرب : احسن من الشمس والقمر (الميداني ٢٠١ : ١) وابهى من القمرين (م ١٠١ : ١) واشهر من البدر (م ٣٤٣ : ١) وانقب من النجوم وارفع من السماء (م ٢٧٨ : ١) وأبين من فلَق الصبح (م ١٠٣ : ١) وأنور من وضع النهار (م ٢٦٢ : ٢) فهذه الامثال قد سبق اليها كلها الكتاب الكريم مثال ذلك قول سفر الحكمة (٢٩ : ٧) عن الحكمة : « أنها ابهى من الشمس واسمى من كل مركز للنجوم واذا قيست بالنور تقدّمت عليه » وكقول ابن سيراخ (٣٠ : ١٧) : « اي شيء اضاء من الشمس » وكقول سفر الاناشيد (٩ : ٦) : « مَنْ هذه المشرفة كالصُّبح الجميلة كالقمر المختارة كالشمس »

ويقول العرب آكل من النار (م ٧٤ : ١) وقال اشعيا النبي قبلهم (٣٠ :

٢٧) : « هوذا اسم الرب يأتي من بعيد . . . وشفتاه مملوءتان سخطاً ولسانه كنار

آكلة». و ضربوا المثل في سرعة البرق (م ٣١٥:١) وقال الرب قُبَلًا في الانجيل عن سقوط ابليس من السماء (لوقا ١٠: ١٨): «اني رأيتُ الشيطان ساقطاً من السماء كالبرق»

ومن امثالهم في الحسن: «احسن من الدُّمِية» (م ٢٠٠:١) وكان داودُ قال في مزاميره (١٢: ١٤٣): «انَّ بَنَاتنا كاعدة الزوايا مزيَّئات كدُمِية هيكَل»

وقد ضربوا المثل بصلابة الصخر فقالوا: «أقسى من صخرة ومن حجر» (م ٦٢: ١) وايبس من صخر (م ٣٢٢: ٢) وارسب من حجارة (٢٧٨: ١) ومثله في اشعيا (٧: ٥٠) عن ثبات المسيح بازاء اعدائه: «السيد الرب ينصرني لذلك لم اخجل بل جعلت وجهي كالصَوَّان» وقال موسى في تثنية الاشتراع (٨: ١٣) لبني اسرائيل عن الرب: «انه اخرج لك الماء من صخرة الصَوَّان» وقد اشار السيد المسيح الى ثبات بيعته لما دعا رسوله بطرس الهامة بالصخرة واكد له انه «يبنى بيعته على تلك الصخرة فلا تقوى عليها ابواب الجحيم» (متى ١٦: ١٨). ويشبهه مثل العرب في ثقل الرصاص فقالوا: اثقل من الرصاص (م ١٣٨: ١) وارسى من الرصاص (م ٢٧٨: ١) وقد شبه موسى قبلهم غرق المصريين في البحر بالرصاص (خروج ١٥: ٥ و ١٠): «غطَّتهم اللَّجَجُ فهبطوا في الاعماق كالْحِجَارَةُ... وغرقوا كالرصاص في غمر المياه» وكذلك قولهم: «اثقل من طود» (م ١٣٨: ١) وقد شبه الملك داود في الزبور (١: ١٢٤) المتكلمين على الرب «بجبل صهيون الغير المترعز الثابت الى الابد»

ومما ضربوا فيه الامثال من الجادات مروق السهم ومضاء السيف وحدة موسى وعدل الميزان وسحابة الصيف وحلاوة العسل وشهوة الخمر وحقارة الارض فقالوا: «أَمَرَقَ من السَّهْم» (م ٢٣٣: ٢) وامضى من السيف (م ٢٣٦: ٢) وأحد من موسى (م ٢١٢: ١) واعدل من ميزان وأخلف من سحابة صيف وأحلى من العسل (م ٢٠١: ١) واشهى من الخمر (م ٣٤٢: ١) واحتر من التراب (م ٢٠٢: ١). وكل ذلك قد شبهت به الكتب المقدسة فقال اشعيا (٢: ٤٩) «جعل (الرب) في كسيف ماض... وجعلني سهماً مختاراً وفي جعبته سترني» وقال بولس الرسول في رسالته الى العبرانيين (١٢: ٤): «انَّ كلمة الله هو حيّ عامل أمضى من كل سيف ذي حدّين» وقال داود النبي (مز ٦: ٤٤): «نبألك مسنونة... هي في يدي»

قلوب اعدائك» وقال ايضاً (مز ٥١ : ٤) في الرجل الظالم : « لسانك يخترع الظلم عاملاً بالغش كاللوسى المسنونة » وقال موسى في عدل الميزان (اخبار ١٩ : ٣٥ - ٣٦) : « لا تجوروا في الوزن والكيل بل موازين عادلة وعبارات عادلة تكون لكم » وقد شبه القديس يهوذا في رسالته (١ : ١٢) المناققين بالسحابة المخافة فقال : « هؤلاء سُحِبَ بلاماء تحملها الرياح » . امّا حلاوة العسل فتكرّر ذكرها في الكتاب المقدس قال ابن سيراخ عن لسان الحكمة (٢٤ : ٢٧) : « انّ روحي احلى من العسل وميراثي اذ من شهد العسل » وقال صاحب الزمير (١٨ : ١١) : « خشية الرب اشهى من الذهب والابريز الكثير واحلى من العسل وقطر الشهاد » . وقال في سفر نشيد الاناشيد في شهوة الخمر (١ : ٣) : « نفرح ذاكرين حبك الذي هو اطيب من الخمر » . وقال في الزمير (١١٢ : ٧) في حقارة التراب : « انّ الرب ينهض المسكين عن التراب ويقيم البائس من المزبلة ليجلسه مع عظماء شعبه »

وكما سبقت الكتب المقدسة العرب في امثالهم المنقولة عن الجهاد كذلك تقدّمهم في استعارة الامثال عن الحيوان ومميّزاته . فمن ذلك ضربهم المثل بشجاعة الاسد فقالوا : « اجروا من قسورة ومن ذي لبّد » (م ١ : ١٦٤) واشجع من أسامة واشدّ من أسد (م ١ : ٣٤٣) . وقال قبلهم بقرون عديدة صاحب سفر القضاة (١٤ : ١٨) : « اي شيء احلى من العسل واي شيء اشدّ من الأسد » . وقال في سفر الامثال (٢٨ : ١) : « الصديقون كسبل يطمثنون » . وقال يعقوب في نبوته على يهوذا (تك ٤٩ : ٩) : « يهوذا سبل اسد . . . جثم وربض كأسد وكلبوة فمن ذا يقيمه »

وضربوا المثل في ظلم الذئب وعداوته وفي خبث الثعلب فقالوا : « اظلم من ذئب » (م ١ : ٣٩٢) وأعدى من ذئب (م ١ : ٤٣٠) وأسلط من سلقة وهي الذئبة (م ١ : ٣١١) وأزوغ من ثعالة . قال طرفة : « كلهم اروج من ثعلب » (م ١ : ٢٧٩) . وتقدّمهم الكتاب الكريم فقال يعقوب (تك ٤٩ : ٢٧) : « بنيامين ذئب يفترس » وقال السيد المسيح لتلاميذه (لو ١٠ : ٣) : « ها انا مرسلكم مثل خراف بين ذئاب » وقال ايضاً (متى ١٥ : ٧) : « احذروا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بلباس الحملان وهم في الباطن ذئاب خاطفة » وقد شبه لذكره المجد هيرودوس بالثعلب لخبثه (لو ١٣ : ٣٢) . وقالوا على خلاف ذلك : « اذل من النّقد »

اي الغنم . وقال اشعيا يصف وداعة المسيح بازاء اعدائه (٧ : ٥٣) : « كشاة سيق الى الذبيح وكحمل صامت امام الذين يجزونه »

وقد ضرب العرب الامثال في الفرس وسرعته وشدته وكرم طباعه فقالوا : « أجود من الجواد المبر » (م ١٦٧ : ١) وأسرع من فريق الخيل (م ٣٠٧ : ١) وأشأى من فرس واشد من فرس (م ٣٤١ : ١) . وقد وصف الكتاب الكريم الفرس بكل هذه الصفات في آيات شتى ولا سيما في وصف سفر أيوب (١٩ : ٣٩ - ٢٥) : « أنت الذي يوتي الفرس قوة ويقلد عنقه رعداً . . . »

وكذلك ضربوا الامثال في الكلب وفي السوس وفي النملة فقالوا : « ألف من كلب (م ٧٥ : ١) وأطوع من كلب (م ٣٨٧ : ١) وأحرص من كلب على جيفة (م ٢٠١ : ١) وقالوا : « آكل من السوس (م ٧٤ : ١) ووصفوا النملة بالحرص فقالوا : أجمع من النملة (م ١٦٦ : ١) وأكسب من نملة وذرة (م ٩٨ : ٢) وأحرص من نملة (م ٢٠٢ : ١) . وفي الكتب المنزلة اوصاف مثلها نجاء في سفر طوبيا (١١ و ٦) وصف ألفة الكلب . وقال اشعيا يصف رقباء اسرائيل وطمعهم (١١ : ٥٦) : « كلاب نهمة النفوس لا تعرف الشبع » . وقال في سفر الامثال (٢٥ : ٢٠) عن السوس والعث : « كالعث في الثوب والسوس في الحشب هكذا الكتابة في قلب الرجل » . وقال الرب لتلاميذه (متى ١٩ : ٦) : « لا تكنزوا لكم كنوزاً على الارض حيث يفسد السوس والآكلة وينقب السارقون فيسرقون » واما النملة وحرصها على جمع الطعام فقد المع اليها سفر الامثال بقوله للكسلان (٦ : ٦) : « اذهب الى النملة ايها الكسلان انظر طرقها وكن حكيماً »

ومن امثالهم في الطيور ما قالوه في منعة العقاب وسرعة طيرانه وحدة بصره وفي عمر النسر وفي ألفة الحمام ونهم الجراد : « اعز من عقاب الجو » (م ٤٣٧ : ١) وأبصر من عقاب ملاح (م ١٠٠ : ١) وأعمر من نسر (م ٤٣٤ : ١) وألف من حمام (م ٧٥ : ١) واجرد من الجراد (م ١٦٧ : ١) . وكذلك ورد في الكتب المنزلة عن منعة النسر قول ايوب (٢٧ : ٣٩) : « أبأمرك يخلق النسر ويجعل وكره في العلاء مسكنه الصخر وفيه مبيته وعلى انف الصخر معقله من هناك يبحث عن قوته وعينه تنظران من بعيد » وقال داود في رثائه لشاول وليونatan (٢ ملوك ١ :

(٢٣) : « أَسْرَعَ مِنَ النُّسُورِ وَاشْدَّ مِنَ الْاَسْوَدِ » . وقال السيد المسيح ممثلاً بوعاء الحمام (متى ١٠: ١٦) : « كونوا ودعاء كالحمام » ثم في تثنية الاشتراع (٣٩: ٢٨) يتهدد الرب شعبه « بالجراد القارض »

وقد قالوا في الحية والافعى : « اظلم من حية واطلم من افعى » (م ١: ٣٩١) واعدى من الحية (م ٢: ٤٢٩) . ومثل هذا في سفر ايوب يصف المنافق (١٦: ٢٠) : « يرضع سُمَّ الْأَصْلَالِ فَيَقْتُلُهُ لِسَانُ الْأَفْعَى » وفي الكتب المقدسة آيات كثيرة تشير الى خبث الحية وسمها القاتل . وفي الانجيل الكريم (متى ١٠: ١٦) : « كونوا حكماء كالحيات » قال ذلك لأن الحية تحرص على رأسها لئلا تصاب بأذى فتصونه دون جسمها . واعلّ العرب ارادوا ايضاً ذلك بقولهم « أعدى من الحية » يريدون العدو اي السرعة لتسرّعها الى جحرها لتنجو من العدو . هكذا شرحها الدميري في حياة الحيوان (١: ٣٢٠) بخلاف الميداني الذي اشتقها من العداوة والظلم . وقد روى ابن قتيبة هذا المثل في عيون الاخبار (ed. Brockelmann, p. 459) على صورة اخرى فقال : « احلم من الحية » ثم روى (ص ٤٦٠) كلام الانجيل هكذا : « انّ المسيح (عم) قال للحواريين : كونوا حكماء كالحيات وبُلهاً كالحمام »

*

٢ ومن امثال العرب الدالة على اختلاطهم باهل الكتاب وعلى الاختصاص بالنصارى ما روه منسوباً الى الانبياء او الى مشاهير رجال العهد القديم والجديد وقد جاء اشياء كثيرة من ذلك في كتاب الامثال للميداني (م) وقد صنّف ابو منصور الثعالبي كتاباً جليلاً في هذا المعنى دعاه « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » في مكتبتنا الشرقية منه نسخة حسنة وقد طبع في مصر طبعاً سقيماً سنة ١٣٢٦ نشر الى بحري في « مض » ونشبع زمن التاريخ مباشرة بآدم

(آدم) عرفوه بابي البشر وضربوا به المثل بالشهرة (مض ٢٩) وبالقدم (اطلب الصفحة ٢٨٣) = (أنوش) هو ابن شيث ويدعى اخنوخ ينسب اليه العرب الآثار القديمة والخط فقالوا : « أَنَا خَدَشُ الْخَدُوشِ أَنْوَشُ » (م ١٥: ١) = (نوح) ذكروا سفينة نوح وغراب نوح وعمر نوح (مض ٢٩-٣١ اطلب ص ٢٨٥) = (ابراهيم الخليل) ذكروا (مض ٣١-٣٤) « مقام ابراهيم » ف ضربوا به المثل

اكل مكان شريف . و نار ابراهيم زعموا انَّهُ نجى منها باذن الله . وُصِفَ ابراهيم
لِحُكْمِهِمْ قَالُوا انَّ الله انزلها عليه . و ضيف ابراهيم و تحفة ابراهيم اشارة الى الله تعالى
الذي ترآى لابراهيم على صورة ثلاثة رجال (سفر التكوين ف ١٨) ف اضافهم
وقدّم لهم خبزاً و لحماً . (اطلب القرآن سورة الحجر ٤٩) : « و نأتهم عن ضيف ابراهيم
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ٠٠٠ = (اسماعيل) نسبه الى الصديق فقالوا : « صدق
اسماعيل » (مض ٣٣ - ٣٤ و سورة مريم) = (يعقوب) قالوا « احزان يعقوب »
مشيرين الى حزنه على يوسف لما اخبره بنوه بموته (مض ٤٤) = (يوسف الصديق)
ضربوا المثل (مض ٣٤ - ٣٨) برويا يوسف اشارة الى الرويا الصادقة . و بذنب
يوسف اُتُهِمَ كاذبة . و بقميص يوسف المضرّج بالدم . و بحسن يوسف . و سني يوسف
السبع المخصبة ثم السبع المجذبة : (راجع سفر التكوين ف ٣٧ وما يليه ثم في القرآن
سورة يوسف) = (موسى) ممّا يذكرون له (مض ٣٨) عصاة موسى التي فلق بها بحر
القانم . و نار موسى التي تجلّى له فيها الله . و يد موسى التي لاحت عليها آثار البرص .
وُصِفَ موسى المتزلة عليه و مناجاته لله (راجع سفر الخروج و بعض سور القرآن
كالبقرة و الاعراف) = (فرعون) نسبوا اليه الصلف و النخوة فقالوا : « نخوة فرعون »
(مض ٦٣) = (قارون) هو قورح احد الذين خُصفت بهم الارض لمعارضتهم
موسى . و قد زعموا انه كان مثيراً فقالوا « كنوز قارون » (مض ٦٤ و القرآن سورة
القصص ٧٦) = (بنو اسرائيل) ضربوا بهم المثل في التيه فقالوا (م ١ : ١٣١) :
« أتيه من قوم موسى عم » = (ايوب) ضربوا به المثل في الصبر « صبر ايوب »
(مض ٤١) = (داود) ذكر العرب في امثالهم مزامير داود و نغمته في تلاوتها
وزعموا انَّهُ برع في نسج الدروع (مض ٤٣ - ٤٤ و اطلب فصولنا السابقة ص ٣٤٩) =
(سليمان) ضربوا به المثل في عزّة الملك و اتساعه فقالوا : « مُلك سليمان » و نسبوا
الى خاتمه المعجزات فقالوا : « خاتم سليمان » كما قالوا : « جنّ سليمان و سير سليمان »
لزعيمهم بانّ الله سخّر لخدمته الجنّ و الشياطين و انَّهُ كان يعلم منطق الطير و الحشرات
(راجع سورة النمل في القرآن) و يسير على بساط الريح (سورة سبأ في القرآن .
اطلب مض ٤٤ - ٤٦ و فصولنا السابقة ص ٣٥٠) = (الخضر) قيل انَّهُ الياس النبيّ
فقالوا : « فلان خليفة الخضر » اي جواب في الآفاق (مض ٤٢) = (يونس) هو النبيّ

يونان ضربوا المثل في الحوت الذي ابتلعه فقالوا: «أنهم من حوت يونس» (مض ٤٣) = (عزير) هو عزرا صاحب السفرين الواردين باسمه في الكتاب المقدس. ضربوا بحماره المثل فقالوا: «حمار عزير» لأن الله على زعمهم أمده به في نكبتة (مض ٤٦) = (هامان) وزير الملك احشورش نسبوا اليه صرحاً فقالوا «صرح هامان» زعموا أنه بناه لفرعون (راجع القرآن سورة القصص ومض ٦٣) = (عيسى) اي السيد المسيح ضربوا المثل في نطقه بالمهد (مض ٤٠) ثم في طبعه فقالوا: «طب عيسى» لكثرة معجزاته في احياء الموتى وشفاء المرضى (مض ٤٧) وفي حمارة الذي ركبه يوم دخوله اورشليم في احد الشعانين (مض ٤٦) ونسبوه الى الله فقالوا «روح الله» و «كلمة الله» (مض ١٥) = (مريم العذراء) ضربوا المثل بعفتها فقالوا «عفة مريم» (مض ٤٤) وسورة آل عمران) وقالوا «تحفة مريم» كما قالوا تحفة ابراهيم يريدون بها الرطب اي التمر (مض ٣٣) وكذلك قالوا «نحلة مريم» لأنهم زعموا أنها كانت تنجني أمامها لتأكل من ثمرها (مض ٢٤٤) = (يحيى) وهو يوحنا المعمدان فقالوا «دم يحيى ابن زكريا» (مض ٤٧) لقتله ظلماً على يد هيرودوس = (الحواريون) وهم رسل السيد المسيح ضربوا المثل في صفاء قلوبهم (قصص الانبياء للشعلي ص ٣٤٣) = ومن امثالهم النصرانية (كعبة نجران) وهي كنيسة كان يحج اليها اهل اليمن لحسنها (مض ٤١٢) و (قس نجران) وهو قس بن ساعدة المضروب به المثل في الخطابة (مض ١٨٥) و (أبدال اللكام) و (أبدال لبنان) وهم قوم من النساء الصالحين زهدوا في الدنيا وعبدوا الله في جبل اللكام وجبل لبنان (مض ١٨٦) - (١٨٧) و (نوم اصحاب الكهف) وهم شهداء النصرانية في افسس قيل انهم أورا الى مغارة لينجوا من المغتصبين فباتوا فيها ثمانين سنين عديدة (مض ٦٥) وسورة الكهف في القرآن) و (كنيسة الروا) قالوا انها من عجائب الدنيا (مض ٤١٦) و (دير هرقل) كانوا يعالجون فيه المجانين (مض ٤١٩)

*

٣ وبين امثال العرب في الجاهلية واول الاسلام ما هو منقول بحرفه او بمعناه من الكتب المقدسة. فدونك ما اخذوه عن اسفار العهد القديم بين الامثال التي رواها الميداني في مجموعه (طبعة بولاق ٢: ٢٢٩) قولهم :

« المرأة من المرء وكل ادماء من آدم » . و اردف : « ويقال ان هذا اول مثل جرى للعرب » . وهو منقول عن سفر التكوين (٢ : ٢٣) حيث روى موسى كيف خلق الله حواء من ضلع آدم فقال : « هذه تسمى امرأة لأنّها من امرئ أخذت »
ومنها مثلهم (م ١ : ٤٣) : « ان لم يكن وفاق ففراق » ينظر الى قول ابراهيم الى لوط في السفر المذكور بعد نزاع حصل بين رعائهما (١٣ : ٨ - ٩) : « لا تكن خصومة بيني وبينك انما نحن رجلان اخوان » . اعتزل عني امّا في الشمال فأتيا من عنك وامّا الى اليمين فأتياسر »

ومنها قولهم (م ١ : ٢١٣) : « خير قليل وفضحت نفسي » لا يبعد عن قول يوناتان لما اراد ابوه شاول ان يقتله لقليل من عسل ذاقه وقت الحرب (املوك فقال ١٤ : ٤٣) : « ذقت ذوقاً برأس العصا قليل عسل وهاءنذا اموت »
ومن امثالهم لمن يسهو عن الحديث (م ١ : ٤٠) : اليك يساق الحديث فكأنه ترجمة قول ناتان النبي لداود (٢ مل ١٢ : ٧) بعد ان عرض عليه مثل الغني المضحي لشاة الفقير اشارة الى خطيئته مع امرأة اوريا : « انت هو الرجل »
ومنها ايضاً (م ٢ : ٨٤) : « كل امرئ فيه ما يرمى به » هو كآية سفر الملوك الثالث (٨ : ٤٦) : « ليس انسان لا يخطئ » وكذلك ورد في سفر الجامعة (٧ : ٢١) : « ليس من صديق على الارض يصنع الخير بغير ان يخطأ » . ويشبهه قول السيد المسيح في الانجيل (مرقس ١٠ : ١٨) : « لا صالح الا الله وحده »
وتما روي بين امثال علي (١ ص ٨) : « جُدْ بما تجِدْ » فهو مثل قول طوبيا (٤ : ٨) يوصي ابنه : « تصدّق من مالك . ان كان لك كثير فابذل كثيراً وان كان لك قليل فابذل عن نفس طيبة »

ومن امثال العرب في الميداني (٢ : ٢١٥) : « المنية ولا الدنية » نظمها الحريري فقال :

المتايا ولا الدنيا وخير من ركوب الخي ركوب الجنازة

وقد سبق العازر الشيخ فقال في سفر المكابيين الثاني (٦ : ٢٣ - ٢٧) : « سبق

الى الجحيم . . . ولا اجلب على شيخوختي الرجس والفضيحة «
وقالوا (م ١ : ٩٢) : « البطنة تأفُنْ الفطنة » ومثله قول علي : « البطنة تذهب
بالفطنة » وقد قال النبي هوشع قبلًا (١١ : ٤) : « الزنى والخمر والسلاف تستهوي
القلب »

وروى الميداني (١ : ٢٥) للعرب : « ان كنت ريحاً فقد لاقيت اعصاراً » .
ومثله لهوشع ايضاً (٨ : ٧) : « انهم يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة »
وله (م ٢ : ٢٠٣) عن لسان احد الاعراب لكلبه : « ما لك لا تنبح يا كلب
الدّوم قد كنت نبأحاً » وجاء في نبوة اشعيا (١٠ : ٥٦) الى رقباء بني اسرائيل :
« ان رقباءه كلهم كلاب بُكم لا يستطيعون النباح »
ومن امثالهم في من لا يميز الخير من الشر (م ٢ : ١٨٦) : « ما يعرف قبيلًا من
دبير » او : « ما يعرف الحو من اللو » وجاء قبله عن لسانه عز وجل في سفر يونس
(١١ : ٤) : « افلا اشفق انا على نينوى المدينة العظيمة التي فيها اكثر من اثنتي
عشرة ربوة من اناس لا يعرفون عيّنهم من شالمهم »
ومما ورد بين امثال علي (ص ٨٦) : « طعنُ اللسان امضى من جرح السنان »
سبق اليه النبي داود في مزاميره (٥ : ٥٦) عن المنافقين : « أسنانهم اسنة وسهام
والسنتهم سيوف حادة »
ومنها ايضاً قوله (ص ١٦) : « زينة الباطن خير من زينة الظاهر » فكأنه
نظر الى قول صاحب المزامير في وصفه للمالكة السريّة (مز ٤٤ : ١٤) : « بنت
الملك جميع مجدها في الداخل »

وللعرب عدة امثال في الاخاء والصدقة فيقولون (م ١ : ٦٣) : « ان اخاك
من آساك » ويقولون (م ١ : ٤٢٢) : « عند الامتحان يكرم المرء او يهان »
ويقولون ايضاً : « عند النازلة تعرف اخاك » ومثله قول علي (ص ٢) : « اخوك
من واساك في الشدة » وقول اكثم بن صيفي (العقد الفريد لابن عبد ربه ١ : ٣٢٨) :
« اخوك من صدقك » وقوله : « خير اهلك من كفالك » وقول الشاعر :

فما اكثر الاصحاب حين تمدمم ولكنهم في النائبات قليل

فهذه كلها كالاية الواردة في سفر امثال سليمان (١٧ : ١٧) : « الخليل عند

الضيق يُضحى اخاً « وكقوله (٢٢: ١٨) : « رُبَّ صديقٍ اقربَ علاقةٍ من الاخ »
 وقوله (١٠: ٢٧) : « جارٌ قريبٌ خيرٌ من اخ بعيد » وقول ابن سيراخ (٨: ١٢) :
 « لا يُعرف الصديق في السراء ولا يُخفى العدو في الضراء »

ومن امثال العرب عن المشابهة بين الاقران والاخلاء قولهم (م ٢: ١٩١) :
 « المرءُ بجليه » اي مقيسٌ بجليه قال الميداني : « يروى عن النبي صلعم » ومثله عليّ
 (ص ٨) : « جليس المرء مثله » وله (ص ١٠) : « خليل المرء دليل عقله » . وله
 (ص ٣٠) : « قرين المرء دليل دينه » واطرفة الشاعر في معاقته :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وكل ذلك في معنى قول سليمان (امثال ١٣: ٢٠) : « مسير الحكماء يصير
 حكيمًا وموائس الجهلاء يصير شريرًا »

ومما قالوا في حفظ اللسان (م ٢: ٢١١) : « مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ » وقالوا (م ١ :
 ١٤) : « انَّ البلاء موكل بالمنطق » وقالوا (م ٢: ١٨١) : « مقتل الرجل بين فكَّيه »
 وقول عليّ : « بلاء الانسان من اللسان » وقوله (ص ٢٠) : « صلاح الانسان
 في حفظ اللسان » وقد قال قبلهم سليمان في امثاله (١٠: ١٩) : « كثرة الكلام لا
 تخلو من زلة ومن ضبط شفَّته فهو عاقل » وقال (٣: ١٣) : « مَنْ ضَبَطَ فَاهُ صَانَ
 نَفْسَهُ وَمَنْ فَتَقَ شَفَتَيْهِ خَطَّهُ الدِّمَارُ » وقال (٧: ١٨) : « لِمَ الْجَاهِلُ دِمَارُهُ وَشَفَتَاهُ
 شَرَكٌ لِنَفْسِهِ » وقال (٣٢: ٢١) : « مَنْ يَحْفَظُ فَاهُ وَلِسَانَهُ يَحْفَظُ مِنَ الْمَضَاقِقِ نَفْسَهُ »
 وللقديس يعقوب في رسالته (٢: ٣) : « ان كان احد لا يزل في الكلام فهو رجل
 كامل » فكانَّ الشاعر عقد هذه الامثال فقال :

احفظ لسانك اُجَا الانسان لا يلدغَنَّك انَّه ثعبانٌ
 كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعانُ

ومن امثال عليّ (ص ١٨) : « سمو المرء التواضع » فهو على شبه قول سليمان
 امثال (٣٣: ١٥) « قبل المجد التواضع »

ومن امثال العرب : « كل طير يأوي الى جنسه وقد سبق ابن سيراخ (١٣ :
 ١٩) فقال : « كل انسان يحب قريبه وكل حيوان يحب نظيره »

وروي بين امثال علي وغيره من العرب قولهم : « رأس الحكمة مخافة الله »

وأول من قال ذلك بلفظه داود في مزاميره (١٠:١١٠) وابن سيراخ (١٦:١).
وروى سليمان في امثاله (٧:١) : « مخافة الرب رأسُ العلم »
ومن امثالهم (م ١:٩) : « انَّ الحديد بالحديد يُفلح » او (م ٢:١٥٢) :
« لا يفلُ الحديدُ الا الحديد » نظمه الشاعر فقال :

قومنا بعضهم يقتلُ بعضاً لا يفلُ الحديدُ الا الحديدُ

وكان سليمان قد قال (امثال ١٧:٢٧) : « الحديد يصقل الحديد »
ويقول العرب (م ١:١٢٧) : « تضرَّع الى الطيب قبل ان تمرض » كانهم
اخذوه من قول ابن سيراخ (١:٣٨) : « اعطِ الطيب كرامته لاجل فوائده
(اي وقت المرض) »

ومن امثال العرب (م ٢:٢٢) : « في التجارب علمٌ مستأنف » وكان ابن
سيراخ قال (١٠:٣٤) : « الذي لم يجتبر يعلم قليلاً »
وكذلك قالوا في النظر الى العواقب (م ٢:٢٢) : « في العواقب شافٍ او
مُريح » ومثله قولهم (م ٢:١٢٨) : ليس للامور بصاحب من لم ينظر في العواقب »
سبق ايضاً اليه ابن سيراخ قائلاً (٧:٤٠) : « في جميع اعمالك اذكر عواقبك فلن تخطأ
الى الابد »

ومن امثال العرب (م ٢:٢٠٤) في الاستشارة : « ما هلك امرؤ عن مشورة »
قالة ابن سيراخ (٣٢:٢٤) : « لا تعمل شيئاً من غير مشورة فلا تندم على عملك »
ويقول العرب في امثالهم (م ٢:٢١١) : « من حفر مغواة وقع فيها » ومثله
لحسان بن ثابت (حماسة البحرى ص ٧١) :

وكم حافر حفرةً لامرئٍ سيصرعه البغيُ فيما احتفرَ

وكان داود قال في مزاميره (١٦:٧) يصف الشرير : « كرى بئراً وحفرها
فسقط في الهوة التي صنع » ولسليمان ابنه (امثال ٢٦:٢٧) : « من يحفر هوة يسقط
فيها » راجع ايضاً سفر الجامعة (٨:١٠) وابن سيراخ (٢٧:٢٩)

ولا يبعد ان يكون قول العرب في الحُببة (م ٢:٨٠) : « كالقابض على
الماء » منقولاً عن امثال سليمان (١٦:٢٧) : « انما يضبط على الريح ويقبض بيمينه
على زيت »

ومن امثال العرب (اغاني ١٥: ١٢١): «التوبة تُذهب الحوبة». وقد تكرر هذا مراراً في الاسفار المقدسة على صور شتى (راجع نبوة حزقيال ف ١٤ و ١٨). وفي اعمال الرسل (١٩: ٣) «توبوا وارجعوا تُغفر خطاياكم»

ومن امثالهم ايضاً (م ١٧: ١): «انَّ من لا يعرف الوحي احمق» ومثله ما ورد في سفر الحكمة (١: ١٣): «ان جميع الذين لم يعرفوا الله حُتق»

٤ وكما اخذ العرب كثيراً من امثالهم عن اسفار العهد القديم كذلك رووا عدّة امثال عن اسفار العهد الجديد ولا سيما الانجيل الطاهر

فمن ذلك مثل لعلي (ص ٢): «أحسن الى السيء تُسد» فهو صدّي ضعيف لقول الرب في متى (٥: ٤٤): «أحسنوا الى من يبغضكم لتكونوا بني ابيكم الذي في السموات»

ومثله المثل الذي رواه ابن قتيبة في عيون الاخبار (١: ٣٣٢): «احلم تُسد» فانه كقول الانجيل (متى ٥: ٤): «طوبى للودعاء فانهم يرثون الارض»

وروى الميداني في امثاله (م ١: ٢٩٧): «اسمَح يُسمَح لك» وكذلك

روى ابن عبد ربه (١: ٣٢٨): بين امثال اكثم بن صيفي: «أَحْسِن يُحْسِن اليك»

وكلاهما كقول الرب في لوقا (٦: ٣٨): «أَعْطُوا تُعْطَوْا». ومثله قول اكثم

ايضاً: «إِرْحَم تُرْحَم» وقوله: «من بَرَّ يوماً بُرَّ به» نُقل عن تطويبات الرب

(متى ٥: ٧): «طوبى للرحماء فانهم يُرحَمون» وكان سليمان قال في امثاله (١١):

(١٧): «ذو الرحمة يُحسن الى نفسه»

ومن اقوال الرب الشهيرة (متى ٧: ٧-٨): «اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا

اقرعوا يُفتح لكم لأن كل من يسأل يُعطى ومن يطلب يجد ومن يقرع يُفتح له»

اخذه العرب فقالوا في امثالهم (م ١: ٣٠٢): «سائل الله لا يجيب» وقالوا

(م ١: ٣٨٣): «اطلب تظفر» وقالوا (م ٢: ٢٢٦): «من طلب شيئاً وجده»

وقالوا (م ٢: ٤٧): «اقصدي تصيدي» وكذلك نظم صالح بن عبد القدوس

هذا المثل فقال (حماسة البحتري ص ١٣٤):

مَنْ يَسْأَلُ يُعْطَى وَمَنْ يَسْتَفْتِحُ م الباب يَفْتَحُهُ بطيخ او سريع

ومن اقوال السيد المسيح ايضاً (متى ٧: ١-٢ ولوقا ٦: ٢٧): «لا تدينوا لئلا

تُدانوا فانكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم . فقد اخذه العرب بلفظه « كما تدين تُدان » هكذا رواه الميداني (٢ : ٨٥) وقد رواه ابن عبد ربه (١ : ٣٢٨) للاكثم بن صيفي . وروى في التاج (٩ : ٢٠٧) لخويلد بن نوفل الكلبي يخاطب الحرث بن شمر :
يا حارِ أيقن انَّ مُلكك زائلٌ واعلم بأنَّ كما تدينُ تُدانُ
ومثل الكيل رواه الميداني (١ : ١٤٨) على هذه الصورة : « جزيته كيل الصاع بالصاع »

وقال الرب (متى ٣ : ٧ ولوقا ٦ : ٤١) لن يغير غيره داء يكون في نفسه اعظم : « ما بالك تنظر القذى الذي في عين اخيك ولا تفتن للخشبة التي في عينك » نقله العرب فقالوا (م ٢ : ٨٥) : « كيف تبصر القذى الذي في عين اخيك وتدع الجذع المعترض في عينك »

وقال الرب ايضاً (متى ١٦ : ٧ ولوقا ٦ : ٤٤) : « هل يُجتنى من الشوك عنب او من العوسج تين » اخذه العرب فقالوا (م ٢ : ١٥٢) « لا تجن من الشوك عنباً » روي لاکثم بن صيفي . وقالوا (م ١ : ٤٣٦) في العجز : « أعجز من جاني العنب من الشوك » وقال الشاعر (م ٢ : ١٥٢) :

إذا وترت امرئاً فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يخصد به العنبا

ومن اقواله تعالى (متى ١٩ : ٢٤ ومر ١٠ : ٢٥) : انه لأسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غني ملكوت الله . فاخذه العرب وضربوه مثلاً للضيقة فقالوا (م ١ : ٣٧٤) : « اضيق من خرت الابرة وسم الخياط » وضربوه مثلاً ايضاً لصعوبة الشيء فقالوا (م ٢ : ١٤٤) : « لا افعل كذا حتى يلج الجمل في سم الخياط » ومثله في القرآن في سورة الاعراف (٧ : ٣٨) : « لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط »

وقال في الانجيل (لوقا ٣٩ : ٦) : « هل يستطيع اعمى ان يقود اعمى أليس كلاهما يسقطان في حفرة » فرووه بين امثال علي (ص ١٠٠) على هذه الصورة :
« كيف يهدي غيره من يضل نفسه »

وكذلك روى علي (٦٦) : « خير الصدقة إخفاؤها » وكان الرب اعلن في

انجيله (متى ٦: ٣-٤): « اذا عملت صدقةً فلا تعلم شمالك ما تصنع يمينك لتكون صدقتك في خفية و ابوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك »
ومن امثال الميداني (١: ٢٧٥): « رُبَّ زارعٍ لنفسه حاصد سواء » قاله الرب في انجيله (يوحنا ٤: ٣٧): ان واحداً يزرع وآخر يحصد »

والرب في الانجيل افعال كثيرة في الصبر كقوله تعالى (لو ٢١: ١٩): بصبركم تقتنون انفسكم » وقوله (متى ١٠: ٢٢): « الذي يصبر الى المنتهى فذلك يخلص » .
وقال يعقوب في رسالته (١: ٤): « العمل الكامل للصبر » . والى ذلك تنظر اقوال العرب (م ١: ١٣٥): « ثمرة الصبر نبح الظفر » وقولهم وهم يروونه لاكم بن صيفي (العقد الفريد ١: ٣٢٩): « عواقب الصبر محمودة » وقول علي (ص ٨): « بشر نفسك بالظفر بعد الصبر » وقوله (ص ٢٠): « صبرك يورث الظفر »

وكذلك التواضع فقد وردت فيه آيات عديدة في الانجيل كقوله (لوقا ١٤: ١١ و ١٨: ١٤): « كل من رفع نفسه اتضع » . وقال القديس بطرس في رسالته الاولى (٦: ٥): « اتضعوا تحت يد الله القادرة ليرفعكم » . فروى العرب لعل قوله (ص ٥٨) وهو كالايات السابقة: « تواضع لرَبِّك يرفعك » . وقوله: « التواضع يرفع والتكبر يضع » وقوله (ص ١٠٦): « من توقَّر وُقر ومن تكبر حُقر » ويشبهه قول سويد ابن ابي كاهل (شعراء النصرانية ص ٤٣١ والمفضليات ص ٣٩٩):

كتب الرحمانُ والحمدُ له سعةَ الاخلاقِ فينا والضلَعُ
وبناءً للمعالي انما يرفعُ اللهُ ومن شاء وضعُ

وعلى شبه هذا قول العرب (حماسة ابي تمام ١٢٢): « سيّد القوم خادُهم » وهو عين ما قاله الرب لتلاميذه (لوقا ٢٢: ٢٦): « ليكن الاكبر فيكم كالاصغر والذي يتقدم كالذي يخدم... وانا في وسطكم كالذي يخدم »

وكذلك يروى للعرب (م ٢: ١٨٨): « ما جعل العبدُ كرتبه » وهو عين قول الرب (متى ١٠: ٢٤): « ليس عبدٌ افضل من سيّده » كما ان مثلهم (م ٢: ١٣٥): « ليس عبدٌ باخ لك » هو مثل قوله (يوحنا ١٥: ١٥): « لا اسميكم عبيداً بعد لأن العبد لا يعلم ما يصنع سيّده ولكني سميتكم احبائي »

وقال الرب لبطرس لما سل سيفه فقطع اذن عبد رئيس الكهنة (متى ٢٦: ٢٦):

(٥٢): « اردد سيفك الى غمده لأن كل من يأخذ بالسيف بالسيف يهلك » روي علي في نهج البلاغة على صورة: « من سل سيف البغي قتل به »
ومن الامثال التي استشهد بها المخلص في الناصرة (لو ٢٣: ٤): « ايها الطبيب اشف نفسك » وهو كمثل العرب (م ٢٠٧: ٢): « يا طبيب طب لنفسك »
وروي بين امثال علي بن ابي طالب قوله (ص ١٠٦): « من أكرم نفسه اهانتة » وقوله (ص ١٠٨): « من اطاع نفسه قتلها » وهو من اقوال الرب (يوحنا ٢٥: ١٢): « من احب نفسه فانه يهلكها ومن ابغض نفسه في هذا العالم فانه يحفظها للحياة الابدية »

ومن امثال العرب (م ٣٢١: ٢): اليسير يجني الكثير » يروي لاكم بن صيفي . وقريب منه قولهم (م ٣٢١: ١): الشر يبدوه صغاره . وقد قال الرب في معناه (لوقا ١٠: ١٦): « الامين في القليل يكون اميناً في الكثير والظالم في القليل يكون ظالماً في الكثير » والى هذا المعنى يعود قول ابن سيراخ (١: ١٩): الذي يحتقر اليسير يسقط شيئاً فشيئاً »

وقال الرب في عدم الاهتمام بالغد (متى ٣٤: ٦): « فلا تهتموا بشأن الغد فالغد يهتم بشأنه يكفي كل يوم شره » اخذه العرب فقالوا (م ٦١: ١): « ان غداً لناظره قريب » وهو يروي لامرئ القيس الذي قال ايضاً (م ٣١٣: ٢): « اليوم خمر وغداً امر » وكذلك يقول العرب في امثالهم (م ١٢٩٠: ٢): « لكل غد طعام »

وقال الرب ايضاً في شر الاقارب (متى ٣٦: ١٠): اعداء الانسان اهل بيته (راجع نبوة ميخا ٦: ٧) . وهو شبه مثل العرب المروي لاكم بن صيفي : « الاقارب عقارب »

وقال العرب في الشهرة (م ٣٤٣: ١): « اشهر من علم » و « واشهر من نارٍ على علم » وعلى ظننا انه مأخوذ من قول الرب (متى ١٤: ٥ - ١٥): « لا يمكن ان تخفى مدينة مبنية على جبل ولا يوقد سراج ويوضع تحت مكيال ولكن على المنارة اينير على كل من في البيت » (راجع ايضاً نبوة ميخا ١: ٤)

وكذلك في قول العرب (م ٣٣: ١): « ان اردت المجازة فقبل المناجزة »

وفي قولهم (م ٢: ٢٣٧) : « من ستم الحرب اقتوى للسلم » تنويه الى قول الرب في لوقا (١٤: ٣١-٣٣) : « اي ملك يخرج ليحارب ملكاً آخر ولا يجلس أولاً ويشاور نفسه هل يستطيع ان يلاقي بعشرة آلاف من يأتي اليه بعشرين ألفاً والّا فيرسل سفارةً وهو بعيد ويلتمس ما هو من امر الصلح »

ومن امثالهم في التقرير (م ١: ٢٣) : « انه لصل أصلال » وقد سبى يوحنا المعمدان (لوقا ٣: ٧) فقرع بني اسرائيل فدعاهم « باولاد الافاعي »

وقد روى العرب بعض الامثال التي ضربها السيد المسيح دون الاشارة الى اصلها . فمن ذلك مثل رب البيت الذي شارب العملة على دينار واعطاهم أجرتهم على اختلاف ساعات شغلهم (متى ف ٢٠) فدونك هذا المثل كما رواه البخاري في صحيحه في كتاب الاجارة ونسبه الى محمد (طبعة ليدن ٢: ٥٠) :

« حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ . . . عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
أَتَمَّا مَثَلُكُمْ وَمِثْلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عَمَالًا فَقَالَ : مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ نَحَارٍ عَلَى قَبْرَاطٍ قَبْرَاطٍ ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ عَلَى قَبْرَاطٍ قَبْرَاطٍ ثُمَّ عَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قَبْرَاطٍ قَبْرَاطٍ ثُمَّ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قَبْرَاطَيْنِ قَبْرَاطَيْنِ فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا : نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلَّ عِزًّا . قَالَ : هَلْ ظَلَمْتُمْ مَنْ حَقَّكُمْ شَيْئًا . قَالُوا : لَا . قَالَ فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مِنْ أَشَاءَ »

وكذلك ابو الحسن علي بن هذيل (ص ٨٨-٨٩) روى مثل السيد المسيح للزراع الذي وقع زرعه في الطريق وبين الاشواك وعلى الصخور وفي الارض الجيدة (لوقا ف ٨) ونسبه الى بعض الحكماء قال :

وقد ضرب بعض الحكماء مثل الحكمة والحكيم الذي يلقيها الى القلوب قال : ان الباذر خرج يبذر الطيب لبذرته فنثره فوقه بعضه في ارضٍ محجرة بل في جنّبات الطريق فلم يلبث ان اختطفه الطير فذهب به . ووقع بعضه في ارضٍ محجرة الا ان عليها ندى وطينا فرسخ البذر في ذلك الندى والطين ونبت شيئا حتى اذا وصلت عروقها الى الحجر لم يجد مساعداً ينفذ فيه فتلف وفسد ويبس . ووقع بعضه في ارضٍ رخوة الا ان فيها شوكة نابتا فنبت حتى اذا كان عند الإثمار خنقه الشوك فلم يأت بشمره . ووقع بعضه في ارضٍ طيبة نفية ليست على ظهر طريق ولا على حجر ولا فيها شوك فلما وطب وزكا ونبت وانثر فجاءت الحية بأضماف مضاعفة . ثم فسره فقال : فالباذر هو الحكيم الزارع الحكمة في القلوب وبذرهُ الطيب هو حكمته وموعظته الحسنة التي يلقيها الى القلوب وهي في تلقاء ذلك منقسمة الى الاربعة المذكورة فمنها القاسي الذي اذا سمع الحكمة لم يعقد عليها لقساوته فلم تلبث فيه . ومنها قلب

ظاهره رقة وباطنه قساوة فهو في أول سماع الحكمة يرق لها ويلذ بسماعها ويحن الى ذلك بتلك الرقة الظاهرة على قلبه ولا يعقد عليها بعزم لقساوته . ومنها قلب يسمع الحكمة ويحبها ويجب العمل بها إلا انه قلب قد امتحن بلصوق الشهوات به حتى صارت له طباعاً فاذا عزم على العمل بما سمع اعترضت له تلك الشهوات فمنعته من اقامة وظائفها وافسدت عليه ما سمع فاختلط عليه امره ولم يتم له مراده . ومنها القلب النقي الصافي العالم بفضل الحكمة المؤثر لها الذي لا همّة له في غيرها ولا شغل له إلا بما ولم تعلق به شهوة تناقضها ولا داء يقطع عنها فهذا القلب الذي تنسي فيه الحكمة ايماناً وفهماً وحفظاً وعلماً وقولاً وعملاً وتبلغ به افضل العوالم واعلى المراتب «

فهذه كلها من الاناجيل يضاف اليها بعض امثال من بقية اسفار العهد الجديد كقولهم (م ١ : ١٢٠) : « اترك الشر يتركك » وقولهم (م ٢ : ١١٩) : « ليس اخو الشر من توقاه » فمثله قول القديس يعقوب في رسالته (٤ : ٧) : « قاوموا ابليس فيهرب منكم » وكان ابن سيراخ قال قبلاً (١ : ٧) : « لا تعمل الشر فلا يلحقك الشر »

ويقول العرب (م ٢ : ١٩٣) : « كما تزرع تحصد » فهو كما قال بولس في رسالته الى اهل غلاطية (٦ : ٨) : « الانسان اما يحصد ما زرع » وفي امثال سليمان (٨ : ٢٢) « من زرع الظلم حصد السوء »

وجاء في امثال علي (ص ٨) : « جلّ من لا يموت » وقال الرسول بولس في رسالته الاولى الى تيموتاوس : « لله وحده الخلود . . . له الكرامة والعزة الموبدة »

ويضرب العرب المثل بالسحابة الفارغة من المطر المخيية لا مال الزارع فقالوا (م ٢ : ٢٠٢) : « ما هو الا سحابة ناصحة » وقالوا (م ١ : ٢٦٧) : « ارى خالاً ولا ارى مطراً » وكان الرسول يهوذا سبق ووصف المنافقين بقوله (١ : ١٢) : « هؤلاء سحب بلا ماء تحملها الرياح »

ولعل مثلهم (م ٢ : ١٩٧) : « ما انت بخل ولا خمر » له علاقة بقول صاحب الرؤيا (٣ : ١٦) : « انك لست بارداً ولا حاراً . . . فقد اوشكت ان اتقيأك من في »